سلسلة عقائد الشيعة الإمامية
(٤)

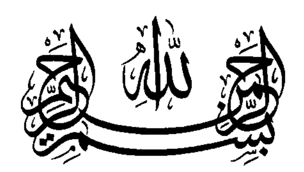
عقيدة الشيعة الرافضة
في
الإمام المنتظر (الغائب)

محمد بن الحسن العسكري

تأليف

د. ندا الجبر

دار عمار



عقيدة الشيعة الرافضة

في

الإمام المنتظر (الغائب)

محمد بن الحسن العسكري

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٨/١١/٤٠٣٠)

٢٧٧,١

جبر، دندل صالح
عقيدة الشيعة الرافضة في الإمام المنتظر (الغائب)/دندل صالح جبر .- عمان : دار عمار ، ٢٠٠٨ .
(   )ص.
ر.إ.: (٤٠٣٠ / ١١ / ٢٠٠٨).
الواصفات: / الشيعة // الفرق الإسلامية / الإسلام /

- أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية
- يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى .



دار عمار للنشر والتوزيع

عمّان- ساحة الجامع الحسيني- سوق البتراء - عمارة الحجيري
تلفاكس ٤٦٥٢٤٣٧ -ص.ب ٩٢١٦٩١ عمّان ١١١٩٢ الأردن
E-mail: dar_ammar@hotmail.com

الفصل الأول
عصر الحيرة بعد وفاة الحسن العسكري[1]

أدت وفاة الإمام الحسن العسكري (ع) في مدينة سامراء سنة ٢٦٠ للهجرة، دون أن يعلن عن وجود خلف له في الإمامة، وأوصى إلى أمه المسمّاة بـ«حديث»، إلى تَفَجُّر أزمة عنيفة في صفوف الشيعة الإمامية الموسوية[2] الذين كانوا يعتقدون بضرورة استمرار الإمامة الإلهية إلى يوم القيامة، وحدوث نوع من الشك والحيرة والغموض والتساؤل عن مصير الإمامة بعد وفاة الإمام العسكري، وتفرقهم في الإجابة على ذلك التساؤل إلى أربع عشرة فرقة. كما يقول النوبختي في «فرق الشيعة» وسعد بن عبد الله الأشعري القمي في «المقالات والفرق»، وابن أبي زينب النعماني في «الغيبة»، والصدوق في «إكمال الدين»، والمفيد في «الإرشاد»، والطوسي في «الغيبة» وغيرهم وغيرهم.

ويقول المؤرخون الشيعة: إن جعفر بن علي الهادي أخا الإمام الحسن العسكري حاول أن يحوز كل تركة الإمام، إلا أنه لما وصل خبر وفاة الحسن إلى أمه «حديث» وهي في المدينة المنورة خرجت حتى قدمت (سر من رأى)، وادعت الوصية، وأثبتت ذلك عند القاضي[3].

---

(١) انظر: «تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه»: السيد أحمد الكاتب ـ ط١ ـ ١٩٩٧م ـ (ص ١١٣ ـ ١٢٠).

(٢) نسبة إلى الإمام موسى الكاظم.

(٣) الطبري: «دلائل الإمامة» ـ (ص ٢٢٤). الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٤٤).

ويذكر المؤرخون الشيعة أيضاً: أن جارية للإمام الحسن العسكري تسمى (صقيل) ادعت أنها حامل منه، فتوقفت قِسمةُ الميراث. وحمل الخليفة المعتمد الجارية صقيل إلى داره، وأوعز إلى نسائه وخدمه ونساء الواثق ونساء القاضي ابن أبي الشوارب بتعهد أمرها والتأكد من حملها واستبرائها، ولم يزل الذين وكلوا بحفظ الجارية ملازمين لها حتى تبين لهم بطلان الحمل فَقُسِّمَ ميراثُ الإمام الحسن بين أمه وأخيه جعفر[1].

ادعاء جعفر بن علي بالإمامة:

ولما كانت الإمامة تثبت عادة بالوصية من الإمام السابق للاحق، فقد استغل أخو الإمام العسكري: جعفر بن علي الهادي، الذي كان ينافس أخاه على الإمامة في حياته، الفراغ الظاهري بعدم وجود ولد لأخيه، وعدم وصيته أو إشارته إلى أحد، فادعى الإمامة لنفسه وقال للشيعة: «مضى أخي ولم يخلف أحداً لا ذكراً ولا أنثى، وأنا وَصِيُّه» وكتب إلى بعض الموالين في قم ـ التي كانت مركزاً للشيعة يومذاك ـ يدعوهم فيها إلى نفسه، ويُعْلِمهم أنه القيّم بعد أخيه، ويدعي أن عنده من علم الحلال والحرام. ما يحتاج إليه غيره، وغير ذلك من العلوم كلها[2].

وينقل الصدوق في كتابه «إكمال الدين» (ص ٤٧٥) حديثاً عن أبي الأديان البصري ـ الذي يصفه بأنه خادم الإمام الحسن العسكري ورسوله إلى الشيعة في مختلف الأمصار: أن عامة الشيعة عزّوا جعفراً وهنَّؤوه، وكان من ضمنهم (النائب الأول): عثمان بن سعيد العمري.

ويذكر النوبختي والأشعري القمي والمفيد: أن بعض شيعة الإمام العسكري، اعترفوا بالظاهر، وسَلَّموا بعدم وجود ولد للعسكري، وآمنوا بإمامة أخيه جعفر الصادق، والذين لم يكونوا يشترطون الوراثة العمودية دائماً في الإمامة.

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) «الاحتجاج» للطبرسي (٢ / ٧٩)، «إكمال الدين» للصدوق (ص ٤٧٥). «الهداية الكبرى» للخصيبي (ص ٣٩١). «الغيبة الصغرى» للصدر (ص ٣٠٧).

وكان رئيس هؤلاء والداعي لهم إلى ذلك رجل من أهل الكوفة يقال له (علي بن الطاهي الخزاز) وعلماء بني فضال، وأخت الفارس بن حاتم بن ماهويه القزويني[1].

وكاد أهل قم أن يستجيبوا لجعفر، لأنهم لم يكونوا يعرفون غيره، وقد اجتمعوا إلى شيخهم أحمد بن إسحق، وكتبوا إلى جعفر كتاباً... طلبوا فيه أن يجيبهم على عدة مسائل، قالوا: «إن أسلافنا سألوا عنها آباءك، فأجابوا عنها بأجوبة، وهي عندنا نقتدي بها ونعمل عليها، فأجبنا عنها بمثل ما أجاب عنها آباؤك المتقدمون، حتى نحمل إليك الحقوق التي كنا نحملها إليهم» وأرسلوا وفداً إلى جعفر لمحاورته.

فأوصل الوفد الكتاب وسأله في البداية عن كيفية انتقال الإمامة إليه مع وجود خبر يقول بعدم جواز انتقال الإمامة إلى أخوين بعد الحسن والحسين، فاعتذر جعفر بالبداء من الله لعدم وجود ولد لأخيه الحسن[2].

ويقول الخصيبي في كتابه «الهداية الكبرى» : «إن الوفد أقام عليه مدة يسأله عن جواب المسائل فلم يُجِبْ عنها، ولا عن الكتاب بشيء منه أبداً»[3].

لكن الصدوق، والطوسي، والصدر، لا يتحدثون عن هذه المشكلة البسيطة التي لا تصعب على من يدعي الإمامة مثل جعفر، وإنما يقولون: «إن الوفد سأل جعفراً عن الغيب وطالبه بإخباره عن كمية الأموال التي يحملها من قم وعن أصحابها، وقال: إن الحسن كان يخبرهم بذلك فرفض جعفر التحدث بالغيب واستنكر نسبته إلى أخيه»[4].

ويقول الخصيبي: إن جماعة من أهل قم هم: أبو الحسن بن ثوابة، وأبو عبد الله الجمال، وأبو علي الصائغ، والقزويني. كانوا يأخذون الأموال من الشيعة باسم جعفر

---

(١) الأشعري القمي: «المقالات والفرق» (ص ١١٠). النوبختي: «فرق الشيعة» (ص ٩٨ ـ ٩٩). المفيد: «الفصول المختارة» (ص ٢٥٩).

(٢) الخصيبي: «الهداية الكبرى» (ص ٣٨٣ ـ ٣٩١).

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٤٧). الطوسي: «الغيبة». الصدر: «الغيبة الصغرى» (ص ٣١٦).

ويأكلونها ولا يوصلونها إليه، ويتهمونه بالكذب، مما يشير إلى أن قسماً من شيعة قم قد آمنوا بإمامة جعفر بالفعل وأخذوا يرسلون إليه الأموال[1].

القائلون بانقطاع الإمامة:

يقول النوبختي والأشعري القمي والكليني والمفيد والطوسي والصدوق والحر العاملي: إن قسماً من الشيعة الإمامية ذهبوا إلى القول بالتوقف وانقطاع الإمامة، والقول بالفترة، كالفترة بين الرسل. وأنهم علّلوا ذلك ببعض الأخبار عن الإمامين محمد الباقر، وجعفر الصادق: حول إمكانية ارتفاع الأئمة وانقطاع الإمامة، خاصة إذا غضب الله على خلقه، وقالوا: إن هذا عندنا ذلك الوقت[2].

المتراجعون:

يقول المؤرخان الشيعيان الأولان المعاصران لتلك الفترة: النوبختي والأشعري القمي: «إن وفاة الإمام الحسن العسكري من دون ولد ظاهر تستمر الإمامة فيه، أدت إلى تراجع بعض الشيعة عن القول بإمامة الحسن العسكري نفسه، كما تراجع بعض الشيعة (الموسوية) قبل مائة عام عن القول بإمامة عبد الله الأفطح بن جعفر الصادق، الذي أصبح إماماً بعد أبيه، ولكنه لم ينجب ولداً تستمر الإمامة فيه. وقال هؤلاء: «إن القول بإمامة الحسن كان غلطاً وخطأ، وجب علينا الرجوع عنه إلى إمامة جعفر، وأن الحسن قد توفي ولا عقب له، فقد صح عندنا أنه ادعى باطلاً، لأن الإمام بإجماعنا جميعاً لا يموت إلا عن خَلَفٍ ظاهر معروف يوصى إليه ويقيمه مقامه بالإمامة، والإمامة لا ترجع في أخوين بعد الحسن والحسين، فالإمام لا محالة جعفر بوصية أبيه إليه»[3].

وكان السبب في تراجع هؤلاء عن القول بإمامة الحسن العسكري هو إيمانهم

---

(١) الخصيبي: «الهداية الكبرى» (ص ٣٩٢).

(٢) «الكافي» للكليني (١ / ٣٤٣). الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٢٣٠). الطوسي: «الغيبة» (ص ٢٤٤)، النوبختي: «فرق الشيعة» (ص ١٠٥). الأشعري القمي: «المقالات والفرق» (ص ١١٥). المفيد: «الفصول المختارة» (ص ٢٦٠). الحر العاملي: «إثبات الهداة» (٣ / ٤٧٧).

(٣) «فرق الشيعة» للنوبختي (ص ١١٤). «المقالات والفرق» للأشعري القمي (ص ١١٠).

بقانون الوراثة العمودية، وعدم جواز انتقال الإمامة إلى أخ أو ابن أخ، أو عم أو ابن عم.

القائلون بمهدوية الإمام الحسن العسكري:

وقد ذهب قسم آخر من الشيعة إلى إنكار وفاة الإمام الحسن العسكري، والقول بمهدويته وغيبته، وذلك بناء على عدم جواز وفاة الإمام دون ولد معروف ظاهر له، لأن الأرض لا تخلو من إمام، واعتبروا اختفاء الإمام نوعاً من الغيبة عنهم[1].

ومنهم من اعترف بموته ولكنه قال بعودته إلى الحياة مرة أخرى، وذلك استناداً إلى حديث حول معنى (القائم): «أنه يقوم بعد الموت» ويقوم لا ولدَ له، وإنْ كان له ولد لَصحَّ موتُه ولا رجوع، لأن الإمامة كانت تثبت لخلفه، ولا أوصى إلى أحد، فلا شك أنه القائم، والحسن بن علي العسكري قد مات لا شك في موته ولا ولد له ولا خلف ولا أوصى إذ لا وصيةَ له ولا وصي، فلا شك أنه القائم، وأنه حيٌّ بعد الموت. وقالوا: إنه قد عاش بعد الموت! وقد رووا: «أن القائم إذا بلغ الناسَ خبرُ قيامه قالوا: كيف يكون فلان إماماً وقد بليت عظامه؟» فهو اليوم حي مستتر لا يظهر، وسيظهر ويقوم بأمر الناس ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً[2].

ومنهم من قال: إنه سيعود إلى الحياة في المستقبل، وإنما سمي القائم لأنه يقوم بعدما يموت. وقد اختلق هؤلاء أو استوردوا أحاديث بهذا المضمون من بعض الحركات الشيعية الواقفية السابقة[3].

ويقول الصدوق: إن هؤلاء سموا بالواقفية على الحسن، وقد ادعوا: أن الغيبة وقعت به لصحة أمر الغيبة عندهم وجهلهم بموضعها[4].

---

(١) النوبختي: «فرق الشيعة» (ص ٩٨). الأشعري القمي: «المقالات والفرق» (ص ١٠٦).

(٢) النوبختي: «فرق الشيعة» (ص ٩٦ ـ ٩٨). الأشعري القمي: «المقالات والفرق» (ص ١٠٧).

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) «إكمال الدين» للصدوق (ص ٤٠).

المحمدية والنفيسية:

وذهب قسم من هؤلاء المتراجعين عن القول بإمامة الحسن العسكري لعدم وجود ولد له، إلى القول بإمامة أخيه محمد ـ ولا يجوز أن يشير الإمام بالوصية والإمامة إلى غير إمام، إذن فإنه لم يمت في الحقيقة، كما هو الظاهر، بل إن أباه قد أخفاه (تقية) كما أخفى الإمام الصادق ابنه إسماعيل ـ حسب قول الإسماعيلية ـ وأنه المهدي المنتظر[١].

وعرفت هذه الفرقة بـ (المحمدية).

وقال قسم من هذه الفرقة فيما بعد: إن محمد بن علي ـ أخا الحسن العسكري ـ قد توفي، وأنه أوصى إلى غلام لأبيه اسمه (نفيس) ودفع إليه الكتب والعلوم والسلاح وما تحتاج إليه الأمة وأوصاه: إذا حدث بي حَدَثُ الموت أن يؤدي ذلك إلى أخيه جعفر[٢].

وكانت هذه الفرقة تتخذ موقفاً عنيفاً من الإمام الحسن العسكري، وتُكَفِّرُ كل من يقول بإمامته، وتغلو في جعفر، وتدعي أنه القائم. وقد عرفت هذه الفرقة المتطرفة باسم (النفيسية)[٣].

الواقفون:

في مقابل المتطرفين كان هناك فريق آخر من شيعة الإمام الحسن العسكري، ذهب ـ نتيجة الصدمة والحيرة ـ إلى إنكار وفاة الإمام، وقالوا بغيبته ومهدويته، وذلك بناء على عدم جواز وفاة الإمام دون ولد معروف ظاهر، لأن الأرض لا يمكن أن تخلو من إمام حسب عقيدتهم[٤].

وهذا الفريق انقسم إلى عدة فرق، فمنهم من اعترف بموت الإمام الحسن

---

(١) النوبختي: «فرق الشيعة» (ص ١٠١). المفيد: «الفصول المختارة» (ص ٢٦٠).
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) النوبختي: «فرق الشيعة» (ص ١٠٨).
(٤) النوبختي: «فرق الشيعة» (ص ٩٨). الأشعري: «المقالات والفرق» (ص١٠٦).

العسكري، ولكنه قال بعودته إلى الحياة بعد ذلك بوقت قليل، وذلك استناداً إلى حديث حول معنى كلمة (القائم): أنه يقوم من بعد الموت. ومنهم من قال: إنه مات ولم يعد إلى الحياة، ولكنه سوف يعود في المستقبل[١].

وقد استورد هؤلاء أحاديث بهذا المضمون من بعض الحركات الشيعية الواقفية السابقة، وسموا بـ(الواقفية على الحسن) وقد ادعوا: أن الغيبة وقعت به وأنه المهدي المنتظر.

الحيارى:

دفعت أزمة وفاة الإمام العسكري دون ولد ظاهر، بكثير من الشيعة الإمامية الذين كانوا يعتقدون باستمرار الإمامة إلى يوم القيامة، إلى البحث والتمحيص والتفتيش عن ولد يحتمل أن يكون الإمام العسكري قد أخفاه لسبب من الأسباب، كالخوف من الأعداء مثلاً، وأحجم بعضهم عن القول بأي شيء انتظاراً لجلاء الأزمة، فلم يقولوا بإمامة جعفر كما لم يقولوا بانقطاع الإمامة، ولم يقولوا بمهدوية الحسن العسكري، بل قالوا: «لا ندري ما نقول في ذلك، وقد اشتبه الأمرُ علينا، فلسنا نعلمُ هل للحسن بن علي العسكري ولد أم لا؟ أَمِ الإمامةُ صَحَّتْ لجعفر أم لمحمد؟ وقد كثر الاختلاف، إلا أنا نقول: إن الحسن بن علي كان إماماً مُفترَضَ الطاعة ثابتَ الإمامة، وقد توفي وصحت وفاته، والأرض لا تخلو من حجة، فنحن نتوقف ولا نقدم على القول بإمامة أحد بعده، إذ لم يصح عندنا أن له خلفاً، وخفي علينا أمره ولا نقطع على إمامة أحد من ولد غيره، فإنه لا خلاف بين الشيعة: أنه لا تثبت إمامة إمام إلا بوصية أبيه إليه وصية ظاهرة»[٢].

الجنينيون:

في غمرة أجواء الشك والحيرة والخلاف والبحث عن الحقيقة هذه، اعتمد بعض

---

(١) النوبختي: «فرق الشيعة» (ص ٩٦ ـ ٩٨). الأشعري القمي: «المقالات والفرق» (ص ١٠٨). الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٤٠).

(٢) النوبختي: «فرق الشيعة» (ص ١٠٨). الأشعري القمي: «المقالات والفرق» (ص ١١٥). المفيد: «الفصول المختارة» (ص ٢٦٠).

الشيعة الإمامية على دعوة الجارية (صقيل) و (نرجس) بالحمل من الحسن العسكري، عند وفاته، وقالوا بولادة ابن له، ولد بعد وفاة الحسن بثمانية أشهر، وأنه مستتر لا يعرف اسمه ولا مكانه، واستندوا إلى حديث رووه عن الإمام الرضا يقول فيه: «إنكم سَتُبْتَلُونَ بالجنين في بطن أمه والرضيع»[1].

وذهب قسم من هؤلاء الذين قالوا بوجود الحمل عند الوفاة، إلى ادعاء استمرار الحمل في بطن أمه إلى أمدٍ غير منظور، وذلك بصورة إعجازية، وقالوا بحتمية ولادة الجارية لولد ذكر تستمر الإمامة فيه وفي ذريته إلى يوم القيامة[2]!

القائلون بوجود الولد المسبق (الاثنا عشريون):

بالرغم من عدم توصل كثير من الشيعة الذين بحثوا عن ولد للعسكري إلى أية نتيجة، وفيما كانت الحيرة تعصف بعامة الشيعة الإمامية، والغموض يلف موضوع الخلف، والاختلاف يمزق الناس يميناً وشمالاً، كان بعض أصحاب الإمام الحسن العسكري يهمسون بتكتم شديد بوجود ولد له في السر، ولد قبل وفاته بسنتين أو ثلاث، أو خمسٍ أو ستٍّ أو ثماني سنين، ويقولون إنهم قد رأوه في حياة أبيه وإنهم على اتصال به، ويطلبون من عامة الشيعة التوقف عن البحث والتفتيش عنه أو التصريح باسمه ويحرمون ذلك[3].

وكانوا يفسرون ادعاء الجارية صقيل بوجود الحمل عند وفاة العسكري بأنه محاولة منها للتغطية على وجود الولد في السر.

وعُرِفَ هؤلاء الذين قالوا بوجود ولد مغمور للإمام العسكري بالفرقة الاثني عشرية.

---

(١) النوبختي: «فرق الشيعة» (ص ١٠٣). الأشعري القمي: «المقالات والفرق» (ص ١١٤). المفيد: «الفصول المختارة» (ص ٢٦٠).

(٢) النوبختي: «فرق الشيعة» (ص ١٠٤). الأشعري القمي: «المقالات والفرق» (ص ١١٤). المفيد: «الفصول المختارة» (ص ٢٦٠).

(٣) «فرق الشيعة» (ص ١٠٢). «المقالات والفرق» (ص ١١٤). «الفصول المختارة» (ص ٢٦٠).

عصر الحيرة:

كان القول بوجود ولد للحسن العسكري قولاً سرياً باطنياً، قال به بعض أصحاب الإمام العسكري بعد وفاته، ولم يكن الأمر واضحاً وبديهياً ومجمعاً عليه بين الشيعة في ذلك الوقت، حيث كان جوٌّ من الحيرة والغموض حول مسألة الخلف يلف الشيعة، ويعصف بهم بشدة، وقد كتب عدد من العلماء المعاصرين لتلك الفترة كتباً تناقش موضوع الحيرة وسبل الخروج منها، منهم الشيخ علي بن بابويه الصدوق الذي كتب كتاباً أسماه: «الإمامة والتبصرة من الحيرة».

وقد امتدت هذه الحيرة إلى منتصف القرن الرابع الهجري حيث أشار الشيخ محمد بن علي الصدوق في مقدمة كتابه «إكمال الدين» إلى حالة من الحيرة التي عصفت بالشيعة وقال: «وجدت أكثر المختلفين إليّ من الشيعة قد حيّرتهم الغيبة، ودخلت عليهم في أمر القائم الشُّبهةُ». وذكر الكليني والنعماني والصدوق مجموعة كبيرة من الروايات التي تؤكد وقوع الحيرة بعد غيبة صاحب الأمر، واختلاف الشيعة وتشتتهم في ذلك العصر، واتهام بعضهم بعضاً بالكذب والكفر والتفل في وجوههم ولعنهم، وانكفاء الشيعة كما تكفأ السفينة في أمواج البحر، وتكسُّرهم كتكسر الزجاج أو الفخار[1].

وقال محمد بن أبي زينب النعماني في «الغيبة» يصف حالة الحيرة التي عمت الشيعة في ذلك الوقت: «إن الجمهور منهم يقول في (الخلف): أين هو؟ وأنى يكون هذا؟ وإلى متى يغيب؟ وكم يعيش؟ هذا وله الآن نيِّفٌ وثمانون سنة؟

فمنهم من يذهب إلى أنه ميت.

ومنهم من ينكر ولادته ويجحد وجوده بواحدة ويستهزىء بالمصدق به.

ومنهم من يستبعد المدة ويستطيل الأمد»[2].

---

(١) «الكافي» للكليني (١ / ٣٦٦ و٣٣٨ و٣٤٠). «الغيبة» للنعماني (ص ٨٩ و٢٠٦ و٢٠٨). «عيون أخبار الرضا» للصدوق. «إكمال الدين» للصدوق (ص ٤٠٨).

(٢) محمد بن أبي زينب النعماني: «الغيبة» (ص ١١٣).

ويقول أيضاً: «أي حيرة أعظم من هذه الحيرة التي أخرجت من هذا الأمر الخَلْقَ الكثير والجم الغفير؟ ولم يبق ممن كان فيه إلا النزر اليسير. وذلك لشك الناس»[١].

وهذا يدل على أن قضية (وجود ابن للإمام الحسن العسكري) لم تكن قضية مُجمعاً عليها بين صفوف الشيعة الإمامية في ذلك العصر، وأن دعاوى الإجماع والتواتر والاستفاضة التي يدعيها البعض على أحاديث وجود وولادة ومهدوية الإمام الثاني عشر (محمد بن الحسن العسكري) لم يكن لها وجود في ذلك الزمان.

ولا بد أن نضع علامة استفهام على دعاوى الإجماع والتواتر المتأخرة والمناقضة تماماً للتاريخ، خاصة وأن دعوى الإجماع والتواتر لا تمنع من المراجعة والنقد والتمحيص. بالإضافة إلى أن الإجماع لا يشكل لدى الشيعة الإمامية الاثني عشرية حجة بديلة عن الأدلة العلمية، وحسبما يقول علماء الأصول: إن الإجماع يمكن أن يؤخذ به في غياب الدليل الشرعي، فإذا علمنا استنادَ دعوى معينة على أدلةٍ نقلية أو عقلية فعلينا مراجعة تلك الأدلة وعدم التشبث بالإجماع. ومن المعروف أن دعوى ولادة الإمام الثاني عشر (محمد بن الحسن العسكري) تأتي بأدلة عقلية ونقلية وتاريخية، فلا بد إذن من مراجعتها والتحقق منها، وعدم الانسياق وراء المتكلمين أو التسليم لدعاواهم وفرضياتهم واجتهاداتهم.

* * * * *

(١) المصدر السابق (ص ١٨٦).

الفصل الثاني
أدلة وجود الإمام (محمد بن الحسن العسكري)

تستدل الشيعة الرافضة على وجود الإمام (محمد بن الحسن العسكري) بعدة أدلة في:

١ ـ الاستدلال الفلسفي (العقلي).

٢ ـ الدليل الروائي (النقلي).

٣ ـ الدليل التاريخي.

٤ ـ الدليل الإعجازي.

٥ ـ دليل الإجماع.

وسنبحث كل دليل على حدة:

الدليل الأول: الفلسفي أو (العقلي)[١]:

يعتبر الشيعة الرافضة الدليل الفلسفي أو العقلي على رأس الأدلة التي تبحث في وجود(محمد بن الحسن العسكري)، فماذا يقول هذا الدليل؟ وعلى ماذا يرتكز؟

يقول هذا الدليل:

أولاً: بضرورة وجود الإمام (أي الرئيس) في الأرض، وعدم جواز بقاء البلاد

---

(١) انظر: «تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه»: السيد أحمد الكاتب، ط١، ١٩٩٧م، (ص ١٢٣ ـ ١٣٠).

فوضى بلا حكومة.

ثانياً: ضرورة عصمة الإمام من الله، وعدم جواز حكومة الفقهاء العدول، أو الحكام العاديين.

ثالثاً: وجوب كون الإمامة وحصرها في أهل البيت وفي أبناء علي والحسين إلى يوم القيامة.

رابعاً: الإيمان بوفاة الإمام الحسن العسكري، وعدم القول بغيبته ومهدويته.

خامساً: الالتزام بقانون الوراثة العمودية، وعدم جواز انتقال الإمامة إلى أخوين بعد الحسن والحسين.

قدم المتكلمون الذين كتبوا حول (المهدي محمد بن الحسن العسكري) قديماً وحديثاً، دليلَ العقل كأهم الأدلة على وجوده، وأَوْلَوهُ أهميةً كبرى في عمليات الاستدلال.

وقد نقل الشيخ الصدوق قول المتكلم الشيعي المعاصر لتلك الفترة: أبي سهيل إسماعيل بن علي النوبختي، الذي استدل على وجود (الإمام المهدي) بالعقل، وذكر في كتابه «التنبيه» ـ الذي ألفه بعد ثلاثين عاماً من (الغيبة) ـ: «**إن الشيعة قد علموا بوجود ابن الحسن بالاستدلال، كما عرفوا الله والنبي وأمور الدين كلها بالاستدلال**»[1].

واعتبر الشيخ المفيد (٣٣٨ ـ ٤١٣): «**الدليل العقلي** الذي يقتضي وجود الإمام المعصوم في كل زمان... دليلاً كافياً على وجود ابن الحسن وحصر الإمامة فيه، وقال: **إن هذا أصل لن يحتاج معه إلى رواية النصوص لقيامه بنفسه في قضية العقول وصحته بثابت الاستدلال**»[2].

واستخدم الشيخ الكراجكي (ـ ٤٢٧) الدليل العقلي، القائم على ضرورة

(١) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٩٢).
(٢) «الإرشاد» للمفيد (ص ٣٤٧).

الإمامة، وضرورة العصمة في الإمام، في عملية الاستدلال على وجود ولد للإمام الحسن العسكري وثبوت الإمامة فيه وصحة غيبته، وذلك لانحصار (العصمة) فيه مع عدم عصمة أدعياء الإمامة الآخرين[1].

وقال السيد المرتضى علم الهدى (٣٥٥ ـ ٤٣٦): «إن العقل يقتضي بوجوب الرئيس في كل زمان، وأن الرئيس لا بد من كونه معصوماً، وإذا ثبت هذان الأصلان فلا بد من القول: إنه (صاحب الزمان) بعينه، لأن الصفة التي اقتضاها ودلّ على وجوبها لا توجد إلا فيه، وتساق الغيبة بهذا سوقاً ضرورياً لا يقرب من شبهة، ولأنه إذا بطلت إمامة من أثبتت له الإمامة بالاختيار لفقد الصفة التي دلّ العقل عليها، وبطل قول من خالف من شذاذ الشيعة، فلا مندوحة عن مذهبنا، فلا بد من صحته، وإلا خرج الحق عن الأمة»[2].

ونفى السيد المرتضى الحاجة إلى مشاهدة الإمام للإيمان به، بعد إمكانية التعرف عليه بالاستدلال العقلي، وردّ في كتاب «الشافي» على القاضي المعتزلي عبدالجبار الهمداني الذي نفى في «المغني» وجود الإمام الثاني عشر، وقال: «**إن قول الشيعة بالعصمة أداهم إلى إثبات أشخاص لا أصلَ لهم، وأنهم أثبتوا في هذا الزمان إماماً مختصاً بنسب واسم من غير أن يُعرفَ منه عين أو أثر**»[3] وقال المرتضى في «الشافي»: «إن قوله هذا مبني على مجرد دعوى ومحض اقتراح، وقد دللنا على وجوب الإمامة في كل زمان، بما لا حيلة فيه ولا قدرة على دفعه»[4].

وقال الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠) في «تلخيص الشافي»: «إن كل من قطع على وجوب اعتبار الدليل العقلي قطع على وجود (صاحب الزمان) وإمامته»[5].

---

(١) «كنز الفوائد»: الكراجكي (ص ٣٤٥).

(٢) المرتضى علم الدين: «رسالة في الغيبة» (ص ٢ ـ ٣).

(٣) إن القاضي المعتزلي عبد الجبار هو من الذين أَعْلَوْا من شأن العقل إلى حد كبير لم يتحمل عقله إثباتَ إمام مختصاً بنسبٍ واسمٍ من غير أن يُعرف منه عين أو أثر. (الناشر).

(٤) الشافي: المرتضى علم الدين (١ / ٧٩ ـ ٨٠).

(٥) الطوسي: «تلخيص الشافي» (ص ٢١١).

وقال الطوسي أيضاً في «مسائل كلامية / المسائل العشر»: «إن الإمام اليوم هو: الخَلَفُ الحجة القائم المنتظر المهدي محمد بن الحسن صاحب الزمان... وإن المهدي حي موجود في زمان أبيه الحسن العسكري إلى زماننا هذا بدليل: أن كل زمان لا بد فيه من إمام معصوم، مع أن الإمامة لطف واللطف واجب على الله تعالى في كل وقت»[1].

وقسم الطوسي في كتابه «الغيبة» الأدلة على ولادة صاحب الزمان إلى قسمين عقلية ونقلية، وركز على أهمية القسم الأول (العقلية) بصورة مستقلة، فقال: «أما الكلام في ولادة صاحب الزمان وصحتها فأشياء اعتبارية، وأشياء إخبارية، فأما الاعتبارية فهو: إذا ثبتت إمامته بما دللنا عليه من الأقسام وإفساد كل قسم منها إلا القول بإمامته، علمنا بذلك صحة ولادته، وإن لم يرد فيه خبر أصلاً»[2].

وقال أيضاً بعد أن استعرض دليل العصمة وأن الإمام لا بد أن يكون معصوماً، وأن الحق لا يخرج من الأمة: «إذا ثبتت هذه الأصول ثبتت إمامة صاحب الزمان، لأن كل من يقطع على ثبوت العصمة للإمام قطع على أنه الإمام»[3].

واستدل الفتال النيسابوري في «روضة الواعظين» على وجود (صاحب الزمان) وإمامته بـ «ما يقتضيه العقلِ من الاستدلال الصحيح من استحالة خلو الزمان من معصوم يكون لطفاً للمكلفين»[4].

واعتبر الحسن بن أبي الحسن اليلمي صاحب «إرشاد القلوب» في كتابه «إعلام الدين في صفات المؤمنين»: انحصار العصمة في أئمة أهل البيت، دليلاً على وجود الإمام الثاني عشر (الحجة بن الحسن)[5].

---

(١) الطوسي: «مسائل كلامية ـ المسائل العشر» (ص ٩٩).
(٢) الطوسي: «الغيبة» (ص ١٣٨).
(٣) المصدر السابق: (ص ١٥).
(٤) الفتال النيسابوري: «روضة الواعظين» (ص ٢٢٤).
(٥) الحسن بن أبي الحسن اليلمي: «إعلام الدين في صفات المؤمنين» (ص ٥٢).

واحتج عبد الله بن الخشاب البغدادي في «تاريخ مواليد الأئمة ووفياتهم» لإثبات «وجود وإمامة القائم بالحق ابن الحسن، بما يقتضيه العقل بالاستدلال الصحيح من وجود إمام معصوم، ووجوب النص على مَنْ هذه سبيله أو ظهور المعجز عليه، وعدم هذه الصفات من كل أحد سوى من أثبت إمامته أصحاب الحسن بن علي وهو ابنه المهدي»، وقال: «إن هذا أصل لا يحتاج معه في الإمامة إلى رواية النصوص وتعداد ما جاء فيها من الأخبار، لقيامه بنفسه في قضية العقول وصحته بثبات الاستدلال»[1].

وجاء بعد ذلك العلامة الحلي الحسن بن يوسف المطهر، ليستدل في (الباب الحادي عشر ـ الفصل السادس) على وجود (الإمام المهدي) بالدليل العقلي الذي يتألف من «وجوب الإمامة ووجوب كون الإمام معصوماً، ووجوب النص عليه أو ظهور المعجز على يديه» ثم أثبت إمامة علي وأولاده بالنص المتواتر من النبي ﷺ، وقال: «إن الإمام الثاني عشر حي موجود من حين ولادته وهي سنة ٢٥٦هـ إلى آخر زمان التكليف، لأن كل زمان لا بد فيه من إمام معصوم لعموم الأدلة، وغيره ليس بمعصوم، فيكون هو الإمام»[2].

وانطلق العلامة محمد باقر مجلسي في عملية إثبات وجود (الإمام المهدي) من قاعدة (الحسن والقبح العقليين)، وقال في «بحار الأنوار»: «إن العقل يحكم بأن اللطف على الله واجب، وأن وجود الإمام لطف، وأنه لا بد أن يكون الإمام معصوماً، وأن العصمة لا تُعلَمُ إلا من جهته... وأن الإجماع واقع على عدم عصمة غير صاحب الزمان، فيثبت وجوده عليه السلام»[3].

وقال السيد محمد صادق الصدر في كتابه (الشيعة الإمامية): «لقد عرفت أن الأمة في حاجة ماسة إلى إمام معصوم، ولا شك أن هذه الحاجة ليست خاصة بوقت دون

(١) عبد الله بن الخشاب البغدادي: «تاريخ مواليد الأئمة ووفياتهم».
(٢) نقلاً عن كتاب: «تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه»: السيد أحمد الكاتب، ط١، ١٩٩٧م، (ص ١٢٥ ـ ١٢٦).
(٣) محمد باقر مجلسي: «بحار الأنوار» ج٥١، الحسن والقبح العقليين.

وقت أو عصر دون عصر، فالضرورة إذاً تُلْجِئنا أن نؤمن بوجود الإمام المهدي، إذ ليس ثمة إماماً يُدَّعى وجوده سواه، وهذه حقيقة واضحة»[1].

واعتمد بعض المتكلمين على مبدأ «ضرورة وجود ولد للإمام لكي تستمر الإمامة في عقبه» للاستدلال على وجود ولد للإمام الحسن العسكري.

ونقل الطوسي عن الإمام علي بن موسى الرضا قوله: «إن صاحب هذا الأمر لا يموت حتى يرى ولده من بعده» وأبطل بذلك قول من قال: (لا ولد لأبي محمد الحسن العسكري)[2].

خطوات نقلية على طريق العقل[3]:

لا بد من القول هنا: إن «الدليل العقلي» على وجود (الإمام محمد بن الحسن العسكري) ليس دليلاً عقلياً محضاً، بحيث يستطيع أي عاقل مجرد أن يتوصل إليه تلقائياً، وإنما هو يعتمد على مقدمات نقلية عديدة، وقد قال الشيخ الصدوق في كتابه «إكمال الدين»: «إن القول بغيبة صاحب الزمان مبني على القول بإمامة آبائه... وإن هذا باب شرعي، وليس بعقلي محض»[4].

والروايات والأحاديث والأقوال في الاستدلال النقلي على طريق العقل هي:

١ ـ ضرورة وجود الإمام:

فقد اعتمد علي بن بابويه القمي في كتابه «الإمامة والتبصرة من الحيرة» لإثبات هذه المقدمة، على مجموعة كبيرة من الأحاديث، ونقل عن الإمام الباقر والصادق أحاديث تقول بعدم جواز الأرض بغير إمام أو بغير إمام عادل (وأن آخرَ مَنْ يموت الإمام

---

(١) محمد صادق الصدر: «الشيعة الإمامية» (ص ٢٧).
(٢) الطوسي: «الغيبة» (ص ١٣٣ و١٣٥).
(٣) انظر: «تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه»: السيد أحمد الكاتب، ط١، ١٩٩٧م، (ص ١٢٦ ـ ١٣٠).
(٤) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٦٣).

لئلا يحتج أحد على الله أنه تركه بغير حجة)[1].

وروى ابنه الصدوق في: «إكمال الدين» عن أبي عبد الله ـ جعفر الصادق قوله: «إن الله أَجَلُّ وأعظم من أن يترك الأرض بغير عدل»[2].

وذكر في «علل الشرائع» حديثاً آخر حول ضرورة وجود العالم الحي الظاهر في الأرض لكي يفزع إليه الناس في حلالهم وحرامهم. وروى عن أبي عبد الله ـ جعفر الصادق قوله: (إن الأرض لو خَلَتْ طرفةَ عينٍ من حجة لساخت بأهلها»[3].

وروى الطبري في كتابه «دلائل الإمامة» عن أبي عبد الله ـ جعفر الصادق ـ أنه قال: «ما تزال الأرض لله فيها حجة يعرف الحلال والحرام ويدعو الناس إلى سبيل الله عز وجل»[4].

٢ ـ إثبات الإمامة في عترة الرسول ﷺ:

ومن الاستدلال النقلي على طريق إثبات الإمامة في أهل البيت عليهم السلام، وذلك استناداً إلى الحديث النبوي الشريف الذي يقول: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وهما الخليفتان من بعدي وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض».

ولما كان لفظ: (العترة) عاماً يشمل جميع أقرباء الرسول، فقد تم اللجوء، كما يقول الصدوق، إلى العقل والتعارف والسيرة في تفسير الحديث بما يدل على أن الرسول الأكرم أراد علماءَ العترةِ دون جُهَّالهم، والبررةَ والأتقياء منهم دون الفساق والظالمين[5].

---

(١) علي بن بابويه القمي: «الإمامة والتبصرة من الحيرة» (ص ١٥٧ و١٦٠ ـ ١٦٢).
(٢) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٢٢٩).
(٣) الصدوق: «علل الشرائع» (ص ١٩٥ ـ ٢٠١).
(٤) الطبري: «دلائل الإمامة» (ص ٢٣٠).
(٥) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ١٢٠).

وروى الطبري في «دلائل الإمامة» حديثاً في تفسير قوله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾: أن المراد بهم، الأئمة من ولد علي وفاطمة إلى أن تقوم الساعة[1].

٣ ـ إثبات إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ونفي مهدويته:

وذلك بإثبات النصوص عليه بالخلافة والإمامة من رسول الله ﷺ، ونفيِ القولِ بمهدويته وغيبته ـ كما قال السبئية ـ وذلك اعتماداً على موته الظاهر والشهير ورفض التفسيرات الباطنية[2].

٤ ـ إثبات الإمامة في أبناء علي.

٥ ـ نفي الإمامة والمهدوية عن محمد بن الحنفية.

وكذلك نفي الإمامة والمهدوية والغيبة عن أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية، اللذين ادَّعى الشيعة الكيسانية لهما ذلك، وإثبات الإمامة لعلي بن الحسين[3].

٦ ـ نفي إمامة أبناء الحسن الذين ادعى بعضهم كمحمد بن عبدالله (ذي النفس الزكية) الإمامة والمهدوية.

وحصر الإمامة بدلاً من ذلك في أبناء الحسين فقط، وذلك بناء على تفسير قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦][4].

٧ ـ عدم جواز اجتماع الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين.

وذلك اعتماداً على تفسير قوله تعالى: ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾ بأنَّ

---

(١) الطبري: «دلائل الإمامة» (ص ٢٣١).

(٢) الطوسي: «الغيبة» (ص ١١٨).

(٣) الصفار: «بصائر الدرجات» المختصر، (ص ١٤ و١٧٠). الطوسي: «الغيبة» (ص ١١٨). الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٣٦). ابن بابويه القمي: «الإمامة والتبصرة من الحيرة» (ص ١٩٣).

(٤) ابن بابويه القمي: «الإمامة والتبصرة من الحيرة» (ص ١٧٩ ـ ١٨٠).

المقصود من (الكلمة): الإمامة، والمقصود من الضمير المتصل بالعقب: هو الحسين بن علي، وعدم جواز رجوع الإمامة إلى أخ أو ابن عم وضرورة انتقالها من الوالد إلى الولد[1].

وقد تم اعتماد هذا القانون من أجل نفي إمامة زيد بن علي وأبنائه الذين ادعوا المهدوية، أو ادعيت لهم، وحصر الإمامة في الإمام محمد الباقر وابنه جعفر الصادق.

٨ ـ إثبات إمامة جعفر الصادق ونفي مهدويته:

وذلك خلافاً للشيعة الناووسية الذين أنكروا وفاة جعفر الصادق، وادعوا مهدويته وغيبته[2].

٩ ـ إثبات إمامة الكاظم ونفي مهدويته:

وذلك خلافاً للشيعة الإسماعيلية الذين ساقوا الإمامة بعد جعفر الصادق في ولد إسماعيل، أو الفطحية الذين قالوا بإمامة عبد الله الأفطح، وخاصة الفريق الذي قال بوجود ولدٍ مستورٍ له هو (محمد بن عبدالله الأفطح) وادعى مهدويته وغيبته. وقد قام علي بن بابويه القمي بإيراد عدة روايات حول إمامة الكاظم والنص عليه من أبيه، ونفيِ إمامةِ عبد الله الأفطح وإبطالِ إمامة إسماعيل الذي توفي في حياة الإمام الصادق، وذلك من أجل حصر الإمامة في الكاظم ونزعها من أبناء إسماعيل الذين ادعوا توارث الإمامة فيهم وادعوا ظهور المهدي من بين صفوفهم[3].

وقام الصدوق بإيراد مجموعة روايات عن الإمام علي بن موسى الرضا تؤكد وفاة أبيه وتنفي مهدويته التي قال بها (الواقفية) الذين رفضوا الاعتراف بوفاة الكاظم وقالوا بهروبهِ من سجن الرشيد وغيبتهِ عن الأبصار استعداداً للظهور في المستقبل[4].

---

(١) ابن بابويه القمي: «الإمامة والتبصرة من الحيرة» (ص ١٧٩).
(٢) ابن بابويه القمي: «الإمامة والتبصرة من الحيرة» (ص ١٩٩). الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٣٧). الطوسي: «الغيبة» (ص ١٨).
(٣) ابن بابويه القمي: «الإمامة والتبصرة من الحيرة» (ص ٢٠٧).
(٤) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٣٩).

١٠ ـ إثبات إمامة بقية الأئمة:

كالرضا والجواد والهادي والعسكري، حتى تصل إلى الإمام الثاني عشر: محمد ابن الحسن العسكري.

١١ ـ نفي إمامة ومهدوية محمد بن علي الهادي:

التي قام بها قسم من الشيعة الإمامية في ذلك الزمان، وهم (المحمدية) الذين رفضوا كالإسماعيلية الاعتراف بوفاته في حياة أبيه، وأصروا على القول بحياته وغيبته ومهدويته، وذلك اعتماداً على وصية أبيه إليه. وقد اعتمد الطوسي في «الغيبة» في إبطال هذا القول على موت السيد محمد، الظاهر، واعتبر إنكاره إنكاراً للضرورات[١].

١٢ ـ إثبات إمامة الحسن العسكري، ونفي مهدويته:

حيث كان ذلك عملاً مهماً على طريق إثبات الإمامة والمهدوية لابنه محمد. وقد توقف الطوسي في: «الغيبة» عند هذه النقطة مَلِيّاً، وجاء بعدة روايات عن الإمام الهادي يثبت فيها الإمامة والوصية للعسكري، ونقل حديثاً يتضمن حدوث البداء لله في إمامة محمد بن علي ونقلها إلى أخيه الحسن العسكري[٢].

واعتمد الطوسي في عملية إثبات إمامة العسكري على مجموعة من (المعاجز) التي رواها أبو هاشم الجعفري، والتي تدور حول محور (علم الإمام بالغيب)[٣].

وكان لا بد من إثبات وفاة الإمام العسكري اعتماداً على الظاهر، ونفي مهدويته وغيبته، وتأويل الأحاديث التي تدعي القيام بعد الوفاة، وذلك لقطع الطريق على الذين قالوا بغيبة الإمام الحسن ومهدويته[٤].

---

(١) الطوسي: «الغيبة» (ص ١٢٠).
(٢) الطوسي: «الغيبة» (ص ١٢١).
(٣) الطوسي: «الغيبة» (ص ١٢٢ ـ ١٢٤).
(٤) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٤٠ و١٣٣).

١٣ ـ نفي إمامة جعفر بن علي الهادي :

وقد اعتمدت هذه العملية على إسقاطه من أهلية الإمامة فضلاً عن المهدوية، وذلك باتهامه بشرب الخمر والفسق والفجور والكذب[١].

واعتمد الطوسي في مناقشة الشيعة الإمامية الفطحية الذين قالوا بإمامة جعفر بن علي بعد وفاة أخيه الحسن العسكري، على مبدأ الوراثة العمودية في الإمامة واستمرارها في الأعقاب وأعقاب الأعقاب أبداً إلى يوم القيامة، وعدم جواز انتقالها إلى الإخوة أو أبناء العم[٢].

١٤ ـ ضرورة استمرار الإمامة إلى يوم القيامة :

لا بد من إثبات هذا المبدأ، في الطريق إلى القول بوجود (ابن الحسن العسكري) وذلك رداً على الفرقة الإمامية التي قالت بانقطاع الإمامة بعد وفاة الإمام الحسن العسكري، وقد قام علي بن بابويه القمي بالرد على هؤلاء بإيراد حديث عن رسول الله ﷺ يذكر فيه استمرار الإمامة في أهل البيت إلى يوم القيامة، وعدم توقيتها لفترة محددة فقط[٣].

واعتمد الشيخ المفيد على عدم جواز خلو الأرض من حجة (أي عن إمام معصوم) في عملية الاستدلال العقلي على وجود الإمام (صاحب الزمان المهدي المنتظر)[٤].

وروى الطوسي حديثاً عن أبي عبدالله ـ جعفر الصادق : «أن الأرض لو بقيت بغير إمام ساعة لساخت»[٥].

---

(١) الصدوق : «إكمال الدين» (ص ٣٢٠). الطوسي : «الغيبة» (ص ١٣٣ ـ ١٣٦).
(٢) الطوسي : «الغيبة» (ص ١٣٦).
(٣) علي بن بابويه القمي : «الإمامة والتبصرة من الحيرة» (ص ٢٣٣).
(٤) المفيد : «الفصول المختارة» (ص ٤٠٢).
(٥) الطوسي : «الغيبة» (ص ١٣٢).

وتمسك الكراجكي في كتاب «البرهان على صحة طول عمر صاحب الزمان»: بضرورة استمرار الإمامة في أهل البيت، وعدم جواز خُلُوِّ الزمانِ من إمام، بعد وفاة العسكري، في الاستدلال على ضرورة استنتاج وجود (الإمام صاحب الزمان) وعدم استحقاق غيره للإمامة[1].

١٥ ـ نفي وفاة المهدي:

الخطوة الأخيرة لإثبات وجود (الإمام المهدي) هي نفي وفاته، وتأويل الأحاديث الكثيرة التي كانت متداولة في تلك الأيام، والتي تتحدث عن وفاة القائم وقيامه بعد الموت... وقد ذكر بعضها الطوسي في (الغيبة) ولم يضعّفها ولكنه أوّلها بموتِ ذِكْرِه وأشار إلى ضرورة التوقف فيها والتمسك بما هو معلوم[2].

الإمام محمد بن الحسن العسكري: هل هو حقيقة تاريخية؟ أم فرضية فلسفية[3]؟

كانت النظرية (المهدوية الاثنا عشرية) نظرية مركبة من جزأين:

الجزء الأول: الإيمان بوجود الإمام الثاني عشر: (محمد بن الحسن العسكري).

والجزء الثاني: الإيمان بأن (محمد بن الحسن العسكري هو: المهدي المنتظر).

وهذه النظرية المهدوية تعترف بعدم إعلان الإمام الحسن العسكري لوجودِ ولدٍ له في الظاهر، وتدعي أنه أخفاه في السر خوفاً عليه من السلطات العباسية، التي تقول: إنها كانت تعلم مسبقاً بأنه المهدي المنتظر الذي سوف يُزلزلُ عرشَها، وأنها كانت تبحث عنه لتقضي عليه وهو في المهد.

والدراسة التاريخية المتعمقة لقصة نشوء هذه النظرية تكشف عن وجود فاصل زمني طويل بين جزأي النظرية، حيث كانت في البداية تتركز أساساً حول وجود ولد

(١) الكراجكي: «البرهان على صحة طول عمر صاحب الزمان» (ص ٢٤٣).
(٢) الطوسي: «الغيبة» (ص ٢٦٠ ـ ٢٦١ و٢٨٢).
(٣) انظر: «تطور الفكر السياسي من الشورى إلى ولاية الفقيه»: السيد أحمد الكاتب، ط١، ١٩٩٧م، (ص ١٧١ ـ ١٩١).

للإمام الحسن العسكري بعد وفاته، يرثه في الإمامة، ثم تحولت بعد ذلك بزمن بعيد إلى القول أنه المهدي المنتظر الغائب، ووجدت في (غيبة المهدي) تفسيراً لعدم إعلان أبيه عن ولادته، وعدم ظهوره بعد ذلك.

ولكي نتأكد من حقيقة هذه النظرية... لا بد أن نُفكِّكَ أجزاءها وندرسها على حدة وبدقة وموضوعية.

ولا بد أن نرى أولاً: هل كانت النظرية المهدوية الشيعية قبل منتصف القرن الثالث الهجري، واضحة ومعروفة ومحددة بشخص (الإمام الثاني عشر: محمد بن الحسن العسكري)؟ أم كانت غامضة وعامة وفكرة مجردة؟

غموض هوية المهدي عند أهل البيت عليهم السلام:

إن تاريخ أئمة أهل البيت عليهم السلام، ورواياتهم التي يحتفظ بها التراث الشيعي الإمامي تؤكد غموض هوية الإمام المهدي، وعدم التصريح باسمه أو زمان خروجه، ليس بسبب الخوف عليه، وإنما بسبب عدم تحديده من قبل، لأن فكرة (المهدوية) كانت اسماً عاماً، وأملاً يحلق فوق رأس كل واحد منهم، وقد بزغ هذا الأمل مع تولي الإمام علي للخلافة، واشتد بعد مقتل الإمام الحسين بن علي في كربلاء، حيث أخذ كثير من الشيعة يُعِدُّ العدةَ للثأر والانتقام، ويعملُ من أجل إسقاط النظام الأموي، والخروج المسلح، ويلتف حول هذا الإمام أو ذاك من أئمة أهل البيت، ويطلق عليه صفة المهدوية، فيقوم وينجح أو يدركه الموت قبل أن يخرج، فيقول البعض: إنه اختفى وغاب وسوف يظهر في المستقبل.

ولو كانت هوية المهدي قد حُدِّدت من قَبلُ منذ زمنِ رسول الله ﷺ، وأجمع الشيعةُ عليها، لما ذهبوا يميناً وشمالاً، وحاروا وتساءلوا مَنْ مِنَ الأئمة يتمثَّلُ أو يتصف بصفات المهدي ويحمل هويته. يقول الإمام محمد بن علي الباقر مخاطباً الشيعة: «لا تزالون تمدون أعناقكم إلى الرجل منا تقولون: هذا هو، فيذهب إلى ربه حتى يبعث الله لهذا الأمر مَنْ لا تدرون وُلِدَ؟ أم لم يولد؟ خلق؟ أم لم يخلق؟»[1].

---

(١) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ١٨٣).

ويقول الكليني: إن الحكم بن أبي نعيم، جاء إلى الإمام الباقر في المدينة فقال له: عَلَيَّ نَذْرٌ بين الركن والمقام إن أنا لقيتك أن لا أخرج من المدينة حتى أعلم أنك قائم آل محمد أم لا؟

فقال له الإمام الباقر: يا حكم... كلنا قائمٌ بأمر الله.

ولكن الحكم لم يَرتضِ هذا الجوابَ العام. فسأله بالتحديد:

فأنت المهدي؟ فأجابه الباقر جواباً عاماً أيضاً:

كلنا نهدي إلى الله. وعاد الحكم ليسأل بتحديد ووضوح:

أَفأنتَ صاحبُ السيف، وأجابه الإمام للمرة الثالثة بغموض:

كلنا صاحب السيف، ووارث السيف. فسأل الحكم بوضوح تام:

فأنتَ الذي تقتلُ أعداء الله؟ فقال الإمام الباقر:

يا حكم... كيف أكون أنا وقد بلغتُ خمساً وأربعين سنة؟! وأن صاحب هذا الأمر أقرب عهداً باللبن مني، وأخف على ظهر الدابة[1].

ويقول الكليني والنعماني: إن الإمام الصادق كان يرفض تحديد هوية المهدي، وأن أبا حمزة ـ أحد أصحابه ـ سأله مرة:

أنت صاحب هذا الأمر؟ فقال: لا. فقال: فولدك؟ قال: لا، قال: فولد ولدك هو؟ فقال: لا، فقال: فولدُ ولدِ ولدكَ؟ فقال: لا، قال: من هو؟ قال: الذي يملؤها عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً على فترة من الأئمة كما أن رسول الله ﷺ بُعِثَ على فترةٍ من الرسل[2].

ويروي الصدوق عن أبي يعفور أنه سمع الصادق أبا عبدالله يقول: «ويلٌ لطغاةِ العرب من أمرٍ قد اقترب».

---

(١) «الكافي» للكليني (١ / ٥٣٦).

(٢) «الكافي» للكليني (١ / ٣٤١). النعماني: «الغيبة» (ص ١٨٧).

ويروي أيضاً عن سدير عن أبي عبدالله ـ جعفر الصادق ـ أنه قال: «يا سدير الزمْ بيتك وكن حِلْساً من أحلاسه، واسكنْ ما سكنَ الليلُ والنهار، فإذا بلغك أن السفياني قد خرج فارحلْ إلينا ولو على رجلك»[١].

مما يوحي أن الإمام جعفر الصادق كان يحدث أصحابه بقرب قيام المهدي، ولكن محمد بن الحسن الصفار يروي في «بصائر الدرجات» عن أبي بصير أنه جاء يوماً إلى أبي عبدالله ـ جعفر الصادق ـ وقال له: جُعلتُ فِداكَ. إني أريد أن ألمس صدرك (وكان أبو بصير أعمى) فقال له: افعل، قال: فَمسَسْتُ صدره ومناكبه، فقال:

ولِمَ يا أبا محمد؟ فقال أبو بصير:

جُعلت فداك، إني سمعت أباك وهو يقول: إن القائم واسع الصدر، مسترسل المنكبين عريض ما بينهما، فقال الإمام الصادق:

يا أبا محمد، إن أبي لبس درع رسول الله ﷺ وكانت تستخب على الأرض، وأنا لبستها فكانت وكانت، وإنها تكون من القائم كما كانت من رسول الله مشمرة كأنه ترفع نطاقها بحلقتين، وليس صاحب هذا الأمر من جاوز أربعين[٢].

ويروي الطوسي في (الغيبة) حواراً جرى بين الإمام جعفر الصادق وأبي بصير الذي سأله: ألهذا الأمر أَمَدٌ نُريح إليه أبداننا وننتهي إليه؟ فقال له الإمام: بلى ولكنكم أذعتم فزاد الله فيه.

ويروي الطوسي رواية أخرى أكثر صراحة، يقول فيها الإمام جعفر الصادق: كان هذا الأمر فِيَّ فأخَّرهُ الله، ويفعلُ بعدُ في ذريتي ما يشاء[٣].

وهذا يكشف أن أمل المهدوية كان معلقاً على الإمام جعفر الصادق في عصره، ولذلك عندما توفي ولم تتوفر له الظروف لتحقيق الأمل المطلوب والكامن في قلوب

---

(١) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٣٥).
(٢) محمد بن الحسن الصفار: «بصائر الدرجات» (ص ١٨٩).
(٣) الطوسي: «الغيبة» (ص ٢٦٣).

الشيعة، رفض بعض أصحابه، ومنهم خاصته، أن يصدق نبأ وفاته، وأصرّ على أنه قد غاب وسيظهر عما قريب، وقال: إنه المهدي المنتظر، وكان على رأس هؤلاء زعيم الشيعة في البصرة: عبد الله بن ناووس.

ظاهرة المهدوية في التاريخ الإسلامي:

ما يؤكد غموض هوية المهدي عند أهل البيت، ولدى جماهير الشيعة والمسلمين في القرون الثلاثة الأولى، هو تَكررُ دعواتِ المهدوية هنا وهناك، حتى جاوزت العشرات، وحتى أصبح لكل فرقة وطائفة أكثر من مهدي واحد، حيث تدلنا هذه الظاهرة على تماهي مصطلح (الإمام المهدي) مع معنى الثورة والحرية والعدالة، وانبثاقه كَردِّ فِعلٍ على الواقع الفاسد الذي كان يتدهور إليه المجتمع الإسلامي مرة بعد أخرى.

لقد كانت معظم قصص المهدوية في القرون الإسلامية الأولى، مرتبطة ومنبثقة من حركات سياسية ثورية تتصدى لرفع الظلم والاضطهاد وتلتف حول زعيم من الزعماء، وعادة ما يكون إماماً من أهل البيت عليهم السلام، وعندما تفشل الحركة ويموت الإمام دون أن يظهر، أو يقتل في المعركة، أو يختفي في ظروف غامضة، كان أصحابه يختلفون، فمنهم من يسلم بالأمر الواقع ويذهب للبحث عن إمام جديد ومناسبة جديدة للثورة، ومنهم من كان يرفض التسليم بالأمر الواقع، فيرفض الاعتراف بالهزيمة ويسارع لتصديق الإشاعات التي تتحدث عن هروب الإمام الثائر واختفائه وغيبته، وعادة ما يكون هؤلاء من بسطاء الناس الذين يعلقون آمالاً كبيرة على شخص، أو يضمنون مواصفات ذلك الزعيم فيصعب عليهم التراجع، لأنه كان يعني لديهم الانهيار والانسحاق النفسي[1].

مهدوية الإمام علي رضي الله عنه:

كان شيعة علي بن أبي طالب الذين قاتلوا في معركة الجمل، وحاربوا في صفين

---

(١) السيد أحمد الكاتب: «تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه» ط١، ١٩٩٧م، (ص ١٧٦).

ضد معاوية وجماعته، واشتبكوا مع الخوارج في النهروان، يأملون أن يستمر حكم الإمام العادل إلى فترة أطول ينعمون خلالها بالعدل والمساواة، وكان أملهم في الإمام علي رضي الله عنه كبيراً، ولذلك فإن البعض منهم صُدمَ بخبر اغتياله، ولم يكد يصدق نبأ وفاة الإمام.

يقول مؤرخو الشيعة، مثل النوبختي والأشعري القمي والكشي: إن جماعة من الشيعة رفضوا التصديق بوفاة الإمام علي رضي الله عنه، وقالوا: إن علياً لم يقتل ولم يمت، ولا يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً[1].

مهدوية محمد بن الحنفية:

بعد مجزرة كربلاء تجمع الغضب الشيعي حول قيادة محمد بن الحنفية أخي الإمام الحسين من أبيه علي رضي الله عنهم، من أجل الثأر والانتقام لشهداء كربلاء، وعندما توفي محمد في ظروف غامضة عام ٨١هـ، قالت جماعة من أنصاره (الكيسانية): إنه لم يمت وإنه مقيم بجبال رضوى بين مكة والمدينة، واعتقدوا أنه (الإمام المهدي المنتظر) الذي بشّر به النبي ﷺ أنه يملأ الأرض قِسطاً وعَدْلاً[2].

ويفسر السيد المرتضى علم الهدى دعوة الكيسانية بمهدوية محمد بن الحنفية بالحيرة التي ألجأتهم إلى القول بها[3].

وربما كانت الحيرة قد أصابتهم نتيجة عَقْدهم الأملَ على ابن الحنفية لكي يسترجع السلطة من أيدي الأمويين، وقد أصيبوا بالخيبة بعد موته قبل تحقيق الهدف المنشود.

---

(١) النوبختي: «فرق الشيعة» (ص ٢٢). سعد بن عبدالله الأشعري القمي: «المقالات والفرق» (ص ٢٠). الكشي: «معرفة الناقلين من الأئمة الصادقين» (ص ١٠١).

(٢) النوبختي: «فرق الشيعة» (ص ٢٩). الأشعري القمي: «المقالات والفرق» (ص ٢٧).

(٣) المرتضى علم الهدى: «الشافي» (ص ١٨٤).

مهدوية أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية:

تراجع القول بمهدوية محمد بن الحنفية عندما برز أبو هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية، كقائد جديد للشيعة في نهاية القرن الأول الهجري، وتعلق الأمل الكبير به لتحقيق ما عجز أبوه عن تحقيقه، وتكررت الأزمة من جديد لدى الشيعة في قضية الإمامة والمهدوية عندما توفي أبو هاشم دون أن يظهر، وهذا ما أدى إلى اعتقاد قسم من شيعته باختبائه وغيبته، والقول إنه (المهدي المنتظر) وأنه حي لم يمت[١].

أما الذين اعترفوا بوفاة أبي هاشم فقد حافظوا على الأمل في نفوسهم أيضاً، وذلك بانتظار قيام أحد أبناء محمد بن الحنفية في المستقبل، ولم يحددوا شخصاً معيناً[٢].

مهدوية عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر الطيار:

سرعان ما التف الشيعة الذين كانوا يشكلون المعارضة الرئيسية للحكم الأموي، حول قائد جديد من أبناء أهل البيت، هو عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر الطيار، الذي نجح في إقامة دولة شيعية في أصفهان في أواخر العهد الأموي، ولكنه انهزم بعد ذلك وقتل في ظروف غامضة، ولم يتحمل بعض الشيعة نبأ انهيار الدولة الشيعية، فقالوا: إن الطيار حي لم يمت وأنه مقيم في جبال أصفهان لا يموت أبداً حتى يقود نواصيها إلى رجل من بني هاشم من ولد علي وفاطمة[٣].

انحصار المهدوية في البيت الفاطمي:

لم تكن النظرية المهدوية عند الشيعة قبل هذه الحركة محصورة في البيت الفاطمي، حيث كان (الكيسانية) ـ الذين يمثلون مرحلة تاريخية من تطور الشيعة ـ يحصرونها في البيت العلوي ويجيزونها في محمد بن الحنفية وأولاده، أو يحصرونها فيهم، ثم امتدت إلى خارج البيت العلوي إلى عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر

---

(١) النوبختي: «فرق الشيعة»(ص ٣٤). الأشعري القمي: «المقالات والفرق».
(٢) المصدران السابقان.
(٣) النوبختي: «فرق الشيعة»(ص ٣٥). الأشعري القمي: «المقالات والفرق» (ص ٣٥).

الطيار، ثم تطورت لتنحصر في البيت الفاطمي من أبناء الحسن والحسين، ولم تكن محصورة في ذلك الوقت في أي واحد من البيتين. لذلك اعتقد قسم من الشيعة بمهدوية زيد بن علي، كما اعتقد قسم آخر بمهدوية محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن (ذي النفس الزكية). وإذا كان زيد قد قتل بسرعة، فإن أتباعه انضموا إلى النفس الزكية، وكان عبدالله بن الحسن أبوه قد سمّى ابنه (محمداً) وتنبأ عند ولادته بأن يكون (المهدي الموعود) الذي بشّر به النبي وقال عنه إن: «اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي» حسبما كان مشهوراً في تلك الفترة[1].

مهدوية ذي النفس الزكية:

كان ذو النفس الزكية محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن يأمل أن يثور ضد الحكم الأموي، حيث بايعه في الأبواء، بنو هاشم، وكان فيهم إبراهيم الإمام والسفاح والمنصور، ولكن سرعان ما قامت الدولة العباسية فانتفض عليه مَنْ بايعه والتف حوله قسم من الشيعة فخرج في المدينة سنة ١٤٥هـ وسيطر على مكة واليمن، وقتل بعد شهور. وهنا أصيب قسم من شيعته بالصدمة ولم يتحملوا نبأ الهزيمة ولم يصدقوا بمقتل (المهدي) الذي كانوا ينتظرون خروجه منذ فترة طويلة، فقالوا: إنه حَيٌّ لم يمت ولم يُقتل وأنه مقيم بجبل العلمية ـ بين مكة ونجد ـ حتى يخرج وتشبثوا بالحديث النبوي الذي يقول: «القائم اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي»[2].

مهدوية محمد الباقر:

تقول بعض الروايات: إن قسماً من الشيعة اعتقد بمهدوية الإمام محمد بن علي الباقر اعتماداً على رواية تقول: إن النبي ﷺ قال لجابر بن عبدالله الأنصاري: «إنك تلقاه فأقرِئْهُ مني السلام»[3]

---

(١) «تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه»: السيد أحمد الكاتب، ط١، ١٩٩٧م، (ص ١٧٨).

(٢) النوبختي: «فرق الشيعة»(ص ٦٢)، الأشعري القمي: «المقالات والفرق» (ص ٧٦).

(٣) الإسفرائيني: «الفرق بين الفرق»(ص ٦٠).

ويقول الكليني في «الكافي»: إن الإمام الباقر كان يُسِرّ إلى أصحابه بقرب القيام والخروج ويوصيهم بالكتمان، وإن بعضهم قد ترك أعماله انتظاراً لساعة الصفر[1].

مهدوية جعفر الصادق:

بعد وفاة الإمام محمد الباقر، وهزيمة محمد بن عبدالله ذي النفس الزكية وانتصار العباسيين، وتألق الإمام جعفر بن محمد الصادق شاعت روايات كثيرة حول مهدويته[2].

وينقل النوبختي: أن بعض الشيعة روى عن الإمام الصادق أنه قال: «إن رأيتم رأسي قد أهوى عليكم من جبل فلا تصدقوه فإني أنا صاحبكم» وأنه قال: «إن جاءكم مَنْ يخبركم عني أنه مَرَّضني وغَسَّلني وكَفَّنني فلا تُصدقوه، فإني أنا صاحبكم صاحب السيف»[3].

ولهذا رفض قسم من شيعة الإمام جعفر الصادق الاعتراف بموته، وقالوا: (إنه المهدي المنتظر وإنه حي لم يمت) وعرفت هذه الفرقة بـ (الناووسية) نسبة إلى عجلان ابن ناووس[4].

وكان منهم أبان بن عثمان الأحمر الذي يعده الكشي من (أصحاب الإجماع) أي: من أقربِ المُقرَّبين إلى الإمام جعفر الصادق[5].

مهدوية إسماعيل بن جعفر الصادق:

لم يكن الشيعة يجمعون دائماً وأبداً، ومنذ البداية على مهدوية إمام معين من

---

(١) «روضة الكافي» للكليني (ص ٢٤٥).

(٢) «روضة الكافي» للكليني (ص ٢٩٠).

(٣) النوبختي: «فرق الشيعة» (ص ٦٧)، في هذا الحديث المنسوب إلى جعفر الصادق يدعي فيه أنه صاحب السيف وأنه القائم أو المهدي، بينما أبوه الباقر ينفي عن نفسه صفة المهدوية وصاحب السيف ويقول بأن صاحب هذا الأمر صغير يرضع وخفيف على ظهر الدابة!؟ فكيف نوفق بين هذين الأمرين!؟ (الناشر).

(٤) النوبختي: «فرق الشيعة» (ص ٦٧). الأشعري القمي: «المقالات والفرق» (ص ٧٩).

(٥) الكشي: «اختيار معرفة الرجال».

قبل. ففي الوقت الذي كان بعضهم يؤمن بمهدوية الإمام الصادق، كان البعض الآخر يذهب ليعلق الأمل على مهدوية ابنه إسماعيل.

وعندما توفي إسماعيل في حياة أبيه الإمام جعفر الصادق رفض أصحابه التسليم بوفاته واخترعوا القول بغيبته، وفسروا تشييع الإمام له ودفنه أمام أعين الناس بأنه مسرحية تستهدف التغطية على هروب إسماعيل واختفائه والإعداد لظهوره في المستقبل![1].

ومن المعروف أن الشيعة اختلفوا بعد وفاة الإمام جعفر الصادق إلى ست فرق، فذهب الإسماعيلية إلى القول بحياة إسماعيل وإمامته ومهدويته وغيبته، ثم قال فريق منهم بعد أن يئسوا منه بمهدوية ابنه محمد، ثم نقلوا المهدوية في أبناء إسماعيل إلى أن ظهر واحد منهم في نهاية القرن الثالث وأقام الدولة الفاطمية في شمال إفريقيا[2].

مهدوية محمد بن جعفر الصادق (الديباج):

ادعى محمد بن جعفر الصادق (الديباج) الذي خرج في مكة عام ٢٠٠ هـ: أنه المهدي المنتظر، وأعلن نفسه خليفة للمسلمين، وأخذ البيعة، وتسمى بأمير المؤمنين[3].

وعلى هذا نستطيع القول: إن النظرية المهدوية كانت تعني الثورة والقيام والخروج، ولم تكن محددة في شخص معين.

وإن نظرية الغيبة كانت تبرز عندما يفشل أي إمام مُنتظَر أو يموت دون تحقيق أهدافه.

مهدوية محمد بن عبدالله الأفطح:

إن (محمد بن عبدالله بن جعفر الصادق) شخصية وهمية خيالية، حيث إن هذا

(١) النوبختي: «فرق الشيعة» (ص ٦٨). الأشعري القمي: «المقالات والفرق» (ص ٨٠).
(٢) «تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه»: السيد أحمد الكاتب، ط١، ١٩٩٧م، (ص ١٨٠).
(٣) النوبختي: «فرق الشيعة» (ص ٦٨). الأشعري القمي: «المقالات والفرق» (ص ٨٠).

الشخص لم يولد أصلاً، ولم يكن له وجود إلا في مخيلة من ادعى مهدويته.

فقد اخترع بعض الشيعة الفطحية (نسبة إلى عبدالله الأفطح بن جعفر الصادق) قصة وجوده في السر بعد وفاة عبدالله الأفطح الذي آمن أولئك الشيعة أنه الإمام بعد أبيه جعفر الصادق، وأصيبوا بأزمة عندما توفي الأفطح دون عَقبٍ يَرِثُه في الإمامة، وكانوا يعتقدون بضرورة استمرار الإمامة في الأعقاب وأعقاب الأعقاب ـ أي بتوارثها بصورة عمودية ـ ولذا لم يستطيعوا بسبب هذه الأزمة الفكرية أن ينتقلوا إلى القول بإمامة أخي عبدالله: موسى بن جعفر، فاخترعوا قصة وجود ولد له في السر! وقالوا: إن اسمه يطابق الحديث النبوي المشهور: «اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي»[١].

مهدوية موسى بن جعفر الكاظم:

من الطبيعي أن يلتف المعارضون للدولة العباسية حول شخصية عظيمة من زعماء أهل البيت هو الإمام موسى بن جعفر الكاظم ـ حين انتشر الظلم والفساد في الدولة العباسية كما يعتقد المعارضون ـ حيث كان رمز التقوى والعلم والعبادة، وأن يعظم الأمل بخروجه وقيامه، وهكذا فقد انتشرت روايات جديدة حول مهدوية الإمام الكاظم وأنه (قائم آل محمد).

وراح البعض من الشيعة ينقل روايات عن جعفر الصادق: «إن من المحتوم أن ابني هذا قائم هذه الأمة وصاحب السيف» «وأن موسى هو القائم وهذا حتم من الله» «وإن يدهده رأسه عليكم من جبل فلا تصدقوا فإنه القائم» «وإن القائم اسمه حديدة الحلاق» «وكأني بالراية السوداء صاحبة الرقعة الخضراء تخفق فوق رأس هذا الجالس» وما إلى ذلك من الروايات التي فاقت حد التواتر![٢].

وعندما اعتقل الرشيد الإمام موسى الكاظم، احتسب معظم الشيعة الموسوية ذلك غيبة أولى أو صغرى، ولما قتله ورمى بجسده الطاهر على الجسر ببغداد رفضوا

---

(١) الأشعري القمي: «المقالات والفرق» (ص ٨٨).
(٢) «تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه»: السيد أحمد الكاتب، ط١، ١٩٩٧م، (ص ١٨١).

التصديق بذلك وقالوا: إنها مسرحية عباسية، وقالوا: إن الإمام الكاظم قد غاب غيبته الثانية، وهرب من السجن وإنه حي لم يمت، ولا يموت حتى يملك شرق الأرض وغربها ويملأها كلها عدلاً كما ملئت جوراً، وإنه القائم المهدي[١].

وقد قال معظم أولاد الإمام الكاظم بذلك، وكذلك معظم أصحابه المقربين، كالمفضل بن عمر، وداود الرقي، وضريس الكناني، وأبو بصير، وأعين بن عبدالرحمن ابن أعين، وحديد الساباطي، والحسن بن قياما الصيرفي.

وكتب علي بن أبي حمزة كتاباً حول (الغيبة) كما كتب علي بن عمر الأعرج كتاباً حول ذلك أيضاً.

وقد عرف أولئك الشيعة (بالواقفية) أي الذين وقفوا على الإمام الكاظم، ورفضوا الإيمان بابنه علي بن موسى الرضا.

وظل الواقفية يؤمنون بمهدوية وغيبة الإمام موسى الكاظم إلى وقت طويل، ولكنهم تقلصوا شيئاً فشيئاً حتى ماتت النظرية وانقرضوا، خاصة عندما أكد الإمام الرضا وفاة أبيه الكاظم، وقال لهم: «إن الحجة لله على خلقه لا تقوم إلا بإمام حي يعرف، سبحان الله! مات رسول الله ولم يمت موسى بن جعفر؟! بلى والله لقد مات وقُسِّمت أمواله ونكحت جواريه» واتهم من قال بعدم وفاته بالكذب وقال: «إنهم كفار بما أنزل الله عز وجل على محمد ﷺ، ولو كان الله يمدّ في أجل أحد من بني آدم لحاجة الخلق إليه لمدّ الله في أجل رسول الله ﷺ»[٢].

مهدوية محمد بن القاسم:

في مطلع القرن الثالث الهجري في سنة ٢١٩هـ، وفي أيام خلافة المعتصم، حدثت ثورة علوية في الطالقان بقيادة محمد بن القاسم، ولكن المعتصم هزمه واعتقله وحمله إلى بغداد، فحبسه في قصره، ولكنه استطاع الهرب.

---

(١) النوبختي: «فرق الشيعة» (ص ٨٠). الأشعري القمي: «المقالات والفرق» (ص ٨٩).
(٢) الكشي: «اختيار معرفة الرجال»(ص ٣٧٩).

واختلف الناس في أمره، فقال بعضهم: مات أو هرب.

قال بعض الشيعة: إنه حي وإنه سيخرج، وإنه مهدي هذه الأمة[١].

مهدوية يحيى بن عمر:

وخرج إمام علوي آخر هو يحيى بن عمر، في الكوفة أيام المستعين، فوجه إليه الحسين بن إسماعيل فقتله، إلا أن بعض أصحابه رفض الاعتراف بالهزيمة، وقال: إنه لم يُقتل، وإنما اختفى وغاب، وإنه المهدي القائم، وسوف يخرج مرة أخرى[٢].

مهدوية محمد بن علي الهادي العسكري:

اختلف الشيعة الإمامية في منتصف القرن الثالث الهجري في هوية الإمام المهدي المنتظر، فقال قسم منهم: بأنه محمد بن علي الهادي العسكري، أخو الحسن العسكري، وقد توفي فجأة في الدجيل، وقالوا بغيبته، مثل غيبة إسماعيل بن جعفر الصادق، ورفضوا التصديق بوفاته.

وذهب قسم آخر إلى القول بمهدوية الإمام الحادي عشر الحسن العسكري الذي توفي ولم يكن له عقب.

وقال قسم ثالث بوجود مهدوية ولد له في السر، هو الإمام (محمد بن الحسن العسكري).

وقال آخرون: إنه غير محدد، وإنه سوف يكون واحداً من أهل البيت لا على التعيين، وإنه سوف يولد ويظهر في المستقبل[٣].

مهدوية القائم المجهول:

يذكر المؤرخان الشيعيان المعاصران لوفاة الإمام الحسن العسكري ـ النوبختي

---

(١) الأصفهاني: «مقاتل الطالبيين» (ص ٥٧٧). الاسفرائيني: «الفرق بين الفرق» (ص ٣١).

(٢) «الكامل» لابن الأثير (٧ / ٤٣). «مروج الذهب» للمسعودي (٤ / ١٤٧).

(٣) النوبختي: «فرق الشيعة» (ص ٩٤ و٩٦ و٩٨ و١٠٥). الأشعري القمي: «المقالات والفرق» (ص ١٠١ و١٠٦ ـ ١٠٨).

والأشعري القمي ـ: أن فرقة من أتباع الإمام قالت: «إن الحسن بن علي العسكري قد مات وصح موته، وانقطعت الإمامة إلى وقت يبعث الله فيه قائماً من آل محمد ممن قد مضى، إن شاء بعث الحسن بن علي، وإن شاء بعث غيره من آبائه. ولا بد من ذلك، لأن قيام القائم وخروج المهدي حتم من الله، وبذلك وردت الأخبار وصحت الآثار، وأجمعت عليه الأمة، فلا يجوز بطلان ذلك.

ولأن وفاة الحسن بن علي العسكري قد صحت وصح أنه لا خلف له، فقد انقطعت الإمامة ولا عقب له، وإذ لا يجوز إلا أن يكون في الأعقاب، ولا يجوز أن ينصرف إلى عم ولا ابن عم ولا أخ بعد الحسن والحسين، فهي (الإمامة) منقطعة إلى القائم منهم، فإذا ظهر وقام اتصلت إلى قيام الساعة[١].

«كل ذلك التعدد والتنوع في الحركات المهدوية يعبر عن غموض مفهوم (الإمام المهدي) واحتمال كونه أيّ واحدٍ من أئمة أهل البيت، وهو من يقوم بالسيف، ويخرج ويقيم دولة الحق، وقد كانت كل فرقة شيعية تعتقد أنه من هذا البيت الهاشمي، أو ذاك البيت العلوي، أو الفاطمي، أو الحسني، أو الحسيني، أو الموسوي، وأنه هذا أو ذاك.

ولو كانت هوية المهدي قد حددت من قبل، منذ زمان رسول الله ﷺ أو الأئمة الأحد عشر السابقين لما اختلف المسلمون ولا الشيعة ولا الإمامية ولا شيعة الإمام الحسن العسكري في تحديد هوية المهدي، ولما اعتقد بعضهم بكونه: (الإمام الحسن العسكري) نفسه.

نستنتج من كل ذلك: أن هوية المهدي كانت غامضة وغير محددة في حياة أهل البيت، وأن القول بأنه (ابن الحسن العسكري) نشأ بعد افتراض وجوده في السر، وفي محاولة لتفسير (غيبته) عن الأنظار وعدم إعلان أبيه عن ولادته، باعتبار (الغيبة) صفة من صفات (المهدي)»[٢].

---

(١) النوبختي: «فرق الشيعة» (ص ١٠٥). الأشعري القمي: «المقالات والفرق» (ص ١٠٨).

(٢) «تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه»: السيد أحمد الكاتب، ط١، ١٩٩٧م، (ص ١٨٣ ـ ١٨٤).

مناقشة العوامل الفلسفية لنشوء الفرضية المهدوية[1]:

بعد استعراض مقولات الرواية التاريخية من المتكلمين والمؤرخين، لما حدث للشيعة الإمامية بعد وفاة الإمام الحسن العسكري سنة ٢٦٠هـ، وبعد النظر في (الدليل العقلي) الذي قدمه ذلك الفريق الذي قال: بوجود ولد مخفي للإمام، هو الإمام من بعده، وهو المهدي المنتظر. اكتشفنا أزمة نظرية، مرَّ بها ذلك الفريق من الإمامية ممن يشترط توارث الإمامة بصورة عمودية، وعدم جواز انتقالها إلى أخ أو ابن عم، واضطراره إما إلى التنازل عن هذا الشرط، أو التسليم بانقطاع الإمامة بعد وفاة العسكري دون خلف، كما هو الظاهر من حياته، أو افتراض وجود ولد له في السر، بالرغم من عدم التصريح به، أو الإعلان عنه، وتفسير هذا الغموض والكتمان بالتقية والخوف من السلطة، بالرغم من عدم وجود مؤشرات تستدعي ذلك.

ودليل الذين استدلوا بالعقل على وجود وولادة (محمد بن الحسن العسكري) يعتمد على نظرية العصمة للأئمة، والنص من الله أو من الرسول ﷺ أو من الأئمة، وعلى الوراثة العمودية في الإمامة، ولكن دليلهم في الحقيقة كان يعتمد فقط على المبدأ الأخير: (الوراثة العمودية) وبناء على ذلك نستطيع القول بأن (الدليل العقلي) كان أشبه بالافتراض الفلسفي العاري عن الإثبات التاريخي، وكان ذلك يتجلى في استناد بعض المتكلمين على الحديث الرضوي(أي حديث الرضا) القائل: (إن صاحب هذا الأمر لا يموت حتى يرى ولده من بعده) لإثبات وجود الولد للإمام العسكري. كما ينقل الشيخ الطوسي في كتابه (الغيبة)[2].

بالرغم من إمكانية الاستدلال بنفس الحديث لنقض إمامة الحسن العسكري، كما فعل قسم من الشيعة الذين تراجعوا عن القول بإمامته، واتخذوا من عدم إنجابه ولداً تستمر الإمامة فيه دليلاً على عدم صحة إمامته، كما تراجع الشيعة الموسوية في منتصف

---

(١) انظر: «تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه»: السيد أحمد الكاتب، ط١، ١٩٩٧م، (ص ١٨٦ ـ ١٩١).

(٢) الطوسي: «الغيبة» (ص ١٣٣ ـ ١٣٥).

القرن الثاني عن القول بإمامة عبدالله الأفطح، لأنه لم ينجب، وشطبوا اسمه من قائمة الأئمة[1].

واعتبر ذلك الفريق من الشيعة التراجع عن إمامة الحسن العسكري والقول بإمامة أخيه جعفر بعد أبيه علي الهادي مباشرة، أهون من افتراض وجود ولد موهوم للعسكري.

والغريب أن السيد المرتضى علم الهدى يتهم الذين قالوا بوجود ولد للإمام عبدالله الأفطح، باللجوء إلى اختراع شخصية وهمية اضطراراً من أجل الخروج من الحيرة والطريق المسدود[2]. ولكنه يمارس نفس الشيء في عملية افتراض وجود ابن للحسن العسكري، وذلك اضطراراً من أجل الخروج من الحيرة التي عصفت بالشيعة الإمامية في منتصف القرن الثالث الهجري.

ولا بد بعد ذلك من الإشارة إلى أن تسمية عملية الاستدلال النظري على وجود ابن للحسن العسكري بالدليل (العقلي) هو من باب التسامح والاستعارة، وإلا فإنه أبعد ما يكون عن الاستدلال العقلي، إذ يعتمد على مجموعة مقولات نقلية، وبعضها أخبار آحاد بحاجة إلى إثبات الدلالة والسند كمقولة: (الوراثة العمودية وعدم جواز انتقال الإمامة إلى أخوين بعد الحسن والحسين)، ومن هنا فقد اعترف الصدوق في كتابه «إكمال الدين» وقال: «إن القول بغيبة صاحب الزمان مبني على القول بإمامة آبائه، وإن هذا باب شرعي وليس بعقلي محض»[3].

وهذا يعني أن المناقشة في أية مقدمة من مقدمات الدليل (العقلي) الطويلة، كضرورة العصمة في الإمام، وضرورة النص عليه من الله، وثبوت الإمامة في أهل البيت، وانحصارها في البيت الحسيني، وكيفية انتقالها من إمام إلى إمام، ودعاوى بقية الأئمة الذين ادعوا الإمامة والمهدوية كمحمد ابن الحنفية، وابنه أبي هاشم، وزيد بن

---

(١) النوبختي: «فرق الشيعة». الأشعري القمي: «المقالات والفرق» (ص ١١٠).

(٢) المرتضى علم الهدى: «الشافي» (١٨٤).

(٣) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٦٣).

علي، ومحمد بن عبدالله ذي النفس الزكية، وإسماعيل بن جعفر وأبنائه، وعبدالله الأفطح، ومحمد بن علي الهادي العسكري، وما إلى ذلك من التفاصيل الجزئية في نظرية الإمامة الإلهية، من البداية إلى النهاية، حتى وفاة الإمام الحسن العسكري. إن المناقشة في أية مقدمة من تلك المقدمات تسد الطريق على الوصول إلى فرضية (وجود ابن الحسن العسكري). ومن هنا كان إثبات وجود (الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري) بصورة عقلية لسائر الناس أو سائر المسلمين، أو سائر الفرق الشيعية، أو حتى لسائر الفرق الإمامية التي لم توافق على مبدأ (الوراثة العمودية) صعباً أو مستحيلاً.

ولذلك كان علماء الكلام (الاثنا عشريون) يمتنعون عن خوض النقاش مع سائر الناس حول إثبات شخصية (ابن الحسن العسكري) إلا بعد التسليم بالمقدمات النقلية الطويلة السابقة، والإيمان بكل واحدة واحدة منها.

وقد قال عبدالرحمن بن قبة الرازي في الرد على علي بن أحمد بن بشار: «لا تتكلم في فرع لم يثبت أصله، وهذا الرجل (ابن الحسن) الذي تجحدون وجوده، فإنما يثبت له الحق بعد أبيه، فلا معنى لترك النظر في حق أبيه والاشتغال بالنظر معكم في وجوده، فإذا ثبت الحق لأبيه، فهذا ثابت ضرورة عند ذلك، بإقراركم، وإن بطل أن يكون الحق لأبيه فقد آل الأمر إلى ما تقولون، وقد أبطلنا»[١].

وقال السيد المرتضى: «إن الغيبة فرع لأصول إن صحت فالكلام في الغيبة أسهل شيء وأوضحه، إذ هي متوقفة عليها، وإن كانت غير صحيحة فالكلام في الغيبة صعب غير ممكن»[٢].

ومع أن التسليم بإمامة الحسن العسكري لا يؤدي بالضرورة إلى التسليم بوجود ولد له، فإن القول بذلك مبني على ضرورة استمرار الإمامة الإلهية إلى يوم القيامة وبوجوب توارثها بصورة عمودية، وهو ليس إلا افتراضاً وهمياً، وظناً بغير علم. ولذا

---

(١) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٥٤).

(٢) المرتضى: «رسالة في الغيبة» (ص ٢).

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في كتابه «المهدي: الثورة الكبرى»: «إن الاستدلال الفلسفي يمكن أن يثبت قضايا كلية عامة، ولكنه لا يستطيع أن يضع إصبعه على إنسان في الخارج ويثبت وجوده»[1].

الدليل الثاني: الروائي (النقلي) على وجود المهدي[2]:

يعتمد الاستدلال على وجود الإمام الثاني عشر (محمد بن الحسن العسكري) بالدليل النقلي على القرآن الكريم، والأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ، وعن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام حول التبشير بالمهدي المنتظر.

وتنقسم هذه المصادر إلى عدة أقسام رئيسية:

القسم الأول: القرآن الكريم:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ...﴾ [الإسراء: ٤ ـ ٦].

وقد روى الكليني في «الكافي» عن أبي عبدالله ـ جعفر الصادق ـ: أنها نزلت في القائم[3].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

وقد روى الكليني أيضاً: أنها تعني خروج القائم من عند الله[4].

---

(١) مهدي: «انقلاب بزرك» (ص ٢١٣).

(٢) انظر: «تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه»: السيد أحمد الكاتب، ط١، ١٩٩٧م، (ص ١٣٣ ـ ١٣٨). «مع الاثني عشرية في الأصول والفروع»: الدكتور علي أحمد السالوس، ط٤، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، (٢ / ٢٥٨ و٣ / ١٩٣)، «حوارات أحمد الكاتب مع المراجع والعلماء والمفكرين حول وجود الإمام الثاني عشر»، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، (ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥).

(٣) «الكافي» الروضة للكليني، (ص ١٧٥).

(٤) «الكافي» للكليني (ص ٣١٢).

٣ ـ قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ﴾ [البقرة: ١٤٨].

وقد روى الكليني عن أبي جعفر ـ محمد الباقر ـ أن المخاطب بها أصحاب القائم[١].

٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص: ٨٨].

روى الكليني: أن ذلك عند خروج القائم. وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ﴾ [الإسراء: ٨١]: إذا قام القائم ذهبت دولة الباطل[٢].

٥ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ۞ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٢ ـ ١٣].

وقد روى الكليني عن أبي جعفر ـ محمد الباقر ـ أنه قال: إذا قام القائم وبعث إلى بني أمية بالشام هربوا إلى الروم، فإذا نزل بحضرتهم أصحاب القائم طلبوا الأمان والصلح، فيقول أصحاب القائم: لا نفعل حتى تدفعوا إلينا من قبلكم منا، فيدفعونهم إليهم، فذلك قوله: ﴿لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه...﴾ قال: ويسألهم عن الكنوز، وهو أعلم بها. فيقولون: ﴿يا ويلنا إنا كنا ظالمين. فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين﴾ بالسيف[٣].

٦ ـ قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾ [مريم: ٧٥].

وذلك بظهور القائم، كما يقول علي بن إبراهيم القمي في تفسيره[٤].

٧ ـ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ [ق: ٤٢].

أي صيحة القائم من السماء[٥].

---

(١) «الكافي» للكليني (ص ٢٦٠)، العياشي: «التفسير» (١ / ٦٦).

(٢) «الكافي» للكليني (ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠).

(٣) الكليني في «الكافي» (ص ٤٤).

(٤) «تفسير القمي» (٢ / ٣٩٠).

(٥) «تفسير القمي» (٢ / ٣٢٧).

٨ ـ قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

إن المقصود هو المهدي من ولد فاطمة.

٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥].

١٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

وكل هذه الآيات تُؤَوَّل بالمهدي القائم.

١١ ـ «في تفسير البرهان عن ابن بابويه، بإسناده عن جابر بن عبدالله الأنصاري: لما أنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله، فمن أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال: هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين من بعدي، أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، ستدركه يا جابر، فإذا لقيته فأقرئه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سميي محمد وكنيي، حجة الله في أرضه، وبغيته في عباده، ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله تعالى ذِكْرُه على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه بالإيمان.

قال جابر: فقلت له: يارسول الله فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال ﷺ: إي والذي بعثني بالنبوة إنهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تَجلاَّها سحابٌ، يا جابر هذا من مكنون سر الله ومخزون علم الله فاكتمه إلا عن أهله» ثم عقب الطباطبائي بقوله: «وعن النعماني، عن علي ما في معنى الرواية السابقة، ورواها علي بن إبراهيم بإسناده عن سليم عنه، وهناك روايات أخرى

من طرق الشيعة وأهل السنة! ومنها ذكر إمامتهم بأسمائهم، من أراد الوقوف عليها فعليه بالرجوع إلى كتاب «ينابيع المودة» وكتاب «غاية المرام» للبحراني، وغيرهما»[١].

القسم الثاني: الأحاديث:

١ ـ الروايات الواردة حول المهدي والقائم:

من هذه الروايات:

«ـ المهدي يخرج في آخر الزمان.

ـ أبشروا بالمهدي.

ـ القائم لا يقوم حتى ينادي منادي السماء.

ـ لا تذهب الدنيا حتى يلي هذه الأمة رجل من أهل بيتي يقال له المهدي.

ـ المهدي من ولد فاطمة.

ـ إن الجاحد لصاحب الزمان كالجاحد لرسول الله ﷺ في أيامه.

ـ المهدي من ولد الحسين».

وهي روايات كثيرة يرويها الكليني في «الكافي» والنعماني في «الغيبة» والصدوق في «إكمال الدين» والطوسي في «الغيبة» والمفيد في «الإرشاد».

وهي وإن كانت عامة غير محددة بشخص معين إلا أن كثيراً من المؤلفين حول الإمام الثاني عشر يستخلصون منها دليلاً على وجوده وولادته، وذلك بعد إضافة روايات أخرى عن الإمام الجواد والإمام الهادي: أن المهدي من أولادهما[٢].

---

(١) «الميزان في تفسير القرآن»: محمد حسين الطباطبائي (٤ / ٤٣٥ ـ ٤٣٦) عن الدكتور علي أحمد السالوس: «مع الاثنى عشرية في الأصول والفروع»، ط٤، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، (٢ / ٢٥٨).

(٢) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٣٧٨). الخزاز: «كفاية الأثر» (ص ٢٧٧).

٢ ـ الروايات الواردة حول الغيبة والغائب:

من هذه الروايات:

«ـ المهدي من ولدي تكون له غيبة وحيرة.

ـ إن الثابتين على القول بالمهدي في زمان غيبته لأعز من الكبريت الأحمر.

ـ المهدي.. له غيبة وحيرة تضل الخلق عن أديانهم.

ـ للقائم منا غيبة أمدها طويل.

ـ لا بد لصاحب هذا الأمر من عزلة أو غيبة.

ـ إن للقائم غيبة قبل ظهوره.

ـ إن لصاحب هذا الأمر غيبتين إحداهما تطول حتى يقول بعضهم مات، وبعضهم يقول: قتل.، وبعضهم يقول: ذهب، فلا يبقى على أمره من أصحابه إلا نفر يسير».

وقد اتخذ القائلون بوجود الإمام الثاني عشر (محمد بن الحسن العسكري) من تلك الأحاديث دليلاً على صحة نظريتهم.

وقال محمد بن أبي زينب النعماني في «الغيبة»: «لو لم يكن يروى في الغيبة إلا هذا الحديث (الأخير) لكان فيه كفاية لمن تأمله»[١].

واعتبر محمد بن علي بن بابويه الصدوق نقلَ الشيعة لتلك الروايات التي تتحدث عن (الغيبة) قبل وقوعها دليلاً على صحتها[٢].

وقال: إن عدم ظهور النص والخلف بعد الحسن العسكري وغيبة الإمام المهدي واختفاء شخصه، واختلاف الشيعة ووقوع الحيرة من أمره، كما جاء في الروايات الماضية دليل على (كون المهدي ووجوده وغيبته)[٣].

---

(١) النعماني: «الغيبة» (ص ١١٦).

(٢) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ١٩).

(٣) المصدر السابق (ص ١١٣).

وقال الطوسي في «الغيبة»: «إن موضع الاستدلال من هذه الأخبار ما تضمن الخبر بالشيء قبل كونه، فكان كما تضمنه، فكان ذلك دلالة على صحة ما ذهبنا إليه من إمامة ابن الحسن، لأن العلم بما يكون لا يحصل إلا من جهة علام الغيوب، فلو لم يُروَ إلا خبر واحد ووافق مخبره على ما تضمنه الخبر لكان ذلك كافياً»[1].

وقال أيضاً: «إن ما يدل على إمامة ابن الحسن وصحة غيبته ما ظهر وانتشر من الأخبار الذائعة عن آبائه قبل هذه الأوقات بزمان طويل من أن لصاحب هذا الأمر غيبة، وصفة غيبته وما يجري فيها من الاختلاف ويحدث فيها من الحوادث، وإنه يكون له غيبتان إحداهما أطول من الأخرى، وإن الأولى يُعرف فيها خبره، والثانية لا يعرف فيها أخباره، فوافق ذلك ما تضمنته الأخبار، ولولا صحتها وصحة إمامته لما وافق ذلك، ولا يكون ذلك إلا بإعلام الله تعالى على لسان نبيه»[2].

٣ ـ الروايات الواردة حول الاثني عشر إماماً:

من هذه الروايات أحاديث عن رسول الله ﷺ:

ـ يكون بعدي اثنا عشر خليفة.

ـ لا يزال أمر أمتي ظاهراً حتى يمضي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش.

ـ يلي هذه الأمة اثنا عشر... كلهم من قريش لا يرى مثله.

ـ يكون بعدي اثنا عشر أميراً كلهم من قريش.

ـ وهذه الروايات كلها من طرق أهل السنة، وقد رواها الصدوق، وقال تعليقاً عليها:

«نقل مخالفونا من أصحاب الحديث نقلاً ظاهراً مستفيضاً من حديث جابر بن سمرة السوائي عن رسول الله ﷺ... وقد أخرجت طرق هذا الحديث... فدل على

(١) الطوسي: «الغيبة» (ص ١٠٩).

(٢) المصدر السابق (ص ١١٠).

أن الأخبار التي في أيدي الإمامية عن النبي والأئمة بذكر الأئمة الاثني عشر أخبار صحيحة»[1] كما رواها الكليني في الكافي[2] والطوسي في الغيبة[3].

أما الروايات الشيعية الواردة حول موضوع (الاثني عشر) فقد ذكر الكليني في «الكافي» منها حوالي سبع عشرة رواية، وذكر الصدوق في «إكمال الدين» حوالي بضع وثلاثين رواية، وروى الخزاز في كتابه «كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر» حوالي مائتي رواية. وقال عنها: «إنها متواترة» وذلك لعدم إمكانية اتفاق صحابة رسول الله وخيار العترة والتابعين الذين يُنقل عنهم شطر من الروايات على الكذب»[4].

وتعتمد هذه النظرية الاثني عشرية حسب الرواية الشيعية التي تذكر أسماء الأئمة الاثني عشر في قائمة مُعدَّة من قبل، على كتاب سليم بن قيس الهلالي، الذي يقول: «إن الشيعة كانوا يحتفظون بالقائمة الاثني عشرية في بيوتهم خلال القرون الثلاثة السابقة.

وقد قال ابن أبي زينب النعماني عن كتاب سليم: «إنه ليس بين جميع الشيعة ممن حمل العلم ورواه عن الأئمة خلاف في أن كتاب سليم بن قيس الهلالي أصل من كتب الأصول التي رواها أهل العلم وحملة حديث أهل البيت وأقدمها، وهو من الأصول التي يرجع إليها الشيعة ويعول عليها»[5].

اتخذ الصدوق وسائر المتكلمين من تلك الروايات التي اعتبروها (متواترة) دليلاً على وجود وولادة (الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري) من حيث إنه لا بد أن يكمل الرقم (١٢) المُخْبَر به من قبل، ومن دونه يصبح عدد الأئمة (أحد عشر) خلافاً للأحاديث، ومن حيث إن الروايات قد جاءت بأن (المهدي) من أهل البيت، ومن ولد

---

(١) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٦٧ ـ ٦٨).
(٢) «الكافي» للكليني (١ / ٥٢٥ ـ ٥٣٤).
(٣) الطوسي: «الغيبة» (ص ٨٨ ـ ٩٠).
(٤) الخزاز: «كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر» (ص ٢٠١).
(٥) النعماني: «الغيبة» (ص ٧٧).

الحسين، وقد مضى الأئمة الأحد عشر ولم يظهر واحد منهم، فَتحتَّمَ: أنه المهدي الذي سوف يظهر ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً[1].

واعتبر الطوسي إجماع الطائفتين المختلفتين والفرقتين المتباينتين: (العامة) ـ أي أهل السنة والجماعة ـ و(الإمامية) على أن الأئمة بعد النبي ﷺ اثنا عشر، لا يزيدون ولا ينقصون، دليلاً على ولادة (صاحب الزمان) وصحة غيبته، وقال: إن الشيعة يروون تلك الأخبار على وجه التواتر خلفاً عن سلف[2].

ومن الروايات التي استدل بها علماء الشيعة حديث الثقلين عن رسول الله ﷺ. فقد استضاف (مركز الأبحاث العقائدية) ـ التابع لمرجعية السيد علي السيستاني، والذي يتخذ من مدينة قم قاعدة له ـ أحد كبار أساتذة الحوزة العلمية في قم سماحة الشيخ محمد رضا الجعفري، ليلقي محاضرة حول (حتمية الغيبة للإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري).

ونظراً لرغبة المركز المذكور، فقد كانت للسيد أحمد الكاتب مداخلة على المحاضرة، جاء فيها: «وانتقل الجعفري (المحاضر) إلى موضوع آخر هو (حديث الثقلين) ليستنتج منه أيضاً على طريقتهِ حتميةَ الغيبة للإمام الثاني عشر. وهنا أيضاً لم يُشْبع الموضوعَ ولم يُعْطِه حقاً من البحث والتحقيق.

واعترف الجعفري في البداية أنه لا يلزم الذين يروون الحديث بصيغة (كتاب الله وسنتي) ولم ينفِ صحة هذه الرواية التي يأخذ بها أهل السنة، ولكنه بنى قوله على من يرويها بصيغة (كتاب الله وعترتي).

وبالرغم من وجود مناقشات كثيرة في معنى (العترة) وتحديد هويتهم، فإن الشيخ الجعفري بادر إلى افتراض أنهم الأئمة الاثنا عشر، وأن الثاني عشر مولود وموجود وغائب، ثم مضى يبرر غيبته ويصفها بالحتمية. وهذا في نظرنا أسلوبٌ غير علمي في

---

(١) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٦٦).

(٢) الطوسي: «الغيبة» (ص ٨٨ و١٠٠).

البحث والتحقيق ولا يؤدي بالضرورة إلى المطلوب.

إن الإمامية عندما رووا بأن الرسول الأعظم قال: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» كانوا يدعمون نظريتهم في ضرورة وجود الإمام المعصوم المعين من قبل الله إلى جانب الكتاب ليترجمه للناس ويفسره ويؤوله لهم، وأن الناس لا يستطيعون فهم القرآن وحدهم ولا يجوز لهم الاجتهاد بمفردهم، وهو ما يقوله الإخباريون اليوم.

وبغض النظر عن صحة هذه النظرية فإن التاريخ أثبت طوال ألف عام عدم وجود أي شخص إلى جانب القرآن الكريم، وقد قام المسلمون والشيعة بالخصوص بممارسة الاجتهاد بأنفسهم دون أي استعانة بأي مترجم سوى سنة الرسول وهذا ما يؤيدُ حصرَ الصحة برواية «كتاب الله وسنتي» وعدم وجود أي مصداق أو أي تفسير صحيح لرواية «كتاب الله وعترتي». وحتى على فرض التسليم بوجود الإمام الثاني عشر الغائب، فإنه لم يقم بأي دور إلى جانب القرآن الكريم طوال الفترة الزمنية الماضية.

وقد اعترف الشيخ الجعفري: «بأن الإمام الغائب لم يقم حتى الآن بأي دور في الهداية والإرشاد»[1].

٤ ـ المهدي الإمام الثاني عشر:

توجد في التراث الشيعي أكثر من سبعين رواية عن رسول الله ﷺ وأهل البيت عليهم السلام تتحدث عن (المهدي القائم) بصراحة: أنه (الإمام الثاني عشر أو التاسع من ولد الحسين).

وبعضها يذكره بالاسم الصريح الكامل، وبعضها يكتفي بالإشارة إليه بالكنية واللقب. ومن تلك الروايات ما ذكره الصدوق في «إكمال الدين» عن رسول الله ﷺ: «إن خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي اثنا عشر أولهم أخي وآخرهم

---

(١) «حوارات أحمد الكاتب مع المراجع والعلماء والمفكرين حول وجود الإمام الثاني عشر»، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، (ص ٢٦٠ ـ ٢٦٥).

ولدي المهدي»[1].

وعنه أيضاً: «إن الله عز وجل اختار. . . من علي الحسن والحسين، واختار من الحسين الأوصياء من ولده. . . تاسعهم قائمهم»[2].

وعن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: «إني فكرت في مولود يكون من ظهري الحادي عشر من ولدي هو المهدي»[3].

وعن الحسين بن علي رضي الله عنه: «التاسع من ولدي. . . هو قائمنا أهل البيت يصلح الله تبارك وتعالى أمره في ليلة واحدة»[4].

وعن أبي عبدالله ـ جعفر الصادق: «إن الغيبة ستقع بالسادس من ولدي، وهو الثاني عشر من الأئمة الهداة بعد رسول الله أولهم أميرُ المؤمنين وآخرهم بقيةُ الله في الأرض وصاحب الزمان»[5]

وعن الإمام الرضا: «أن القائم هو. . . الرابع من ولدي»[6].

وعنه أيضاً: «الإمام بعدي محمد ابني، وبعده ابنه علي، وبعد علي ابنه الحسن وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر»[7].

وعن الإمام الهادي: «أن الإمام بعدي الحسن ابني، وبعد الحسن ابنه القائم»[8].

وعن أبي عبدالله ـ جعفر الصادق ـ عن جابر بن عبدالله الأنصاري أنه دخل على فاطمة الزهراء في حياة رسول الله ﷺ ليهنئها بولادة الحسين، فرأى في يدها لوحاً

---

(١) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٢٨٠).
(٢) المصدر السابق (٢٨١).
(٣) المصدر السابق (٢٨٩).
(٤) المصدر السابق (٣١٦).
(٥) المصدر السابق (٣٤٢).
(٦) المصدر السابق (ص ٣٧٩).
(٧) المصدر السابق (ص ٣٧٢).
(٨) المصدر السابق (ص ٣٨٣).

أخضر، ورأى فيه كتاباً شبه نور الشمس، فسألها عن ذلك، فقالت له: هذا اللوح أهداه اللهُ إلى رسولِ الله فيه اسم أبي واسم بعلي واسم ابني وأسماء الأوصياء من ولدي فأعطانيه أبي ليسرني بذلك... وكان فيه أسماء الأئمة الاثني عشر واحداً واحداً... وإن الأخير منهم (م ح م د) يبعثه الله رحمة للعالمين[1].

٥ ـ حتمية وجود الحجة في الأرض:

هناك أحاديث تؤكد على ضرورة وجود الحجة في الأرض وعدم جواز خلوها من الإمام. منها ما يروى عن الرسول ﷺ ومنها ما يروى عن الأئمة.

ـ عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية، ومن نزع يداً من طاعة جاء يوم القيامة لا حجة له».

ـ وعن الإمام جعفر الصادق: «من مات وهو لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية» رواه سليم بن قيس في كتابه، والصدوق في «إكمال الدين» (ص ٤١٣)، والكليني في «الكافي» (١ / ٣٧٦)، والنعماني في «الغيبة» (ص ١٢٩)، والمفيد في «الاختصاص» (ص ٢٦٨) و«الرسائل» (ص ٣٨٤).

وروى عن الإمام الصادق أيضاً قوله: «لن تخلو الأرض من رجل يعرف الحق، فإذا زاد الناس فيه قال: زادوا، وإذا نقصوا قال: قد نقصوا، وإذا جاؤوا به صدقهم، ولو لم يكن ذلك كذلك لم يعرف الحق من الباطل» رواه كل من: البرقي في «المحاسن» (ص ٢٣٥)، والصدوق في «علل الشرائع» (١ / ٢٠٠)، والمفيد في «الاختصاص» (ص ٢٨٩).

وعن الإمام جعفر الصادق أيضاً: «إن الله جل وعز، أجلُّ وأعظمُ من أن يترك الأرض بغير إمام» رواه كل من الصفار في «بصائر الدرجات» (ص ٤٨٥)، والكليني في «الكافي» (١ / ١٧٨) والصدوق في «إكمال الدين» (ص ٢٢٩).

وما يروى عنه أيضاً أنه قال: «ما ترك الله عز وجل الأرض بغير إمام قط منذ قبض

---

(١) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٣٠٥). «الكافي» للكليني (١ / ٥٢٧).

آدم عليه السلام يهتدي به إلى الله عز وجل، وهو الحجة على العباد، من تركه ضل ومن لزمه نجا حقاً على الله عز وجل»(١).

ويروى عنه أيضاً: «لو خلت الأرض طرفة عين من حجة لساخت بأهلها» رواه الصفار في «بصائر الدرجات» (ص ٤٨١)، والكليني في «الكافي» (١ / ١٧٩)، والنعماني في «الغيبة» (ص ١٣٩)، والصدوق في «علل الشرائع» (ص ١٩٧)، و«إكمال الدين» (ص ٢٠١).

«إذن فإن الدليل النقلي كان يتألف من عدة مجاميع من الآيات والروايات التي تتحدث عن القائم والمهدي بصورة عامة، وتلك التي تخصصه في أهل البيت وفي أولاد الإمام علي رضي الله عنه، وفي أولاد السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وفي أولاد الإمام الحسين رضي الله عنه، وفي أولادالإمام الصادق، وفي أولاد الإمام الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام، إضافة إلى الروايات التي كانت تتحدث عن الأئمة الاثني عشر، وعن ولادة (الإمام المهدي) واسمه.

وهذا ما يؤدي إلى الإيمان بولادة ووجود (الإمام الثاني عشر الحجة بن الحسن العسكري) واستمرار حياته، بالرغم من عدم ظهوره في حياة أبيه أو الوصية له أو الإشارة المباشرة منه إليه»(٢).

مناقشة الدليل الروائي (النقلي) على وجود المهدي(٣):

ليس من حاجة لمناقشة الاستدلال بالقرآن الكريم أو الأحاديث العامة التي تتحدث عن (المهدي) أو (القائم) من دون تحديد هوية ذلك الشخص، فالهدف من

---

(١) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٢٢٠).

(٢) انظر: «تطور الفكر السياسي الشعي» للسيد أحمد الكاتب، ط١، ١٩٩٧م، (ص ١٣٨).

(٣) انظر: «تطور الفكر السياسي الشيعي» للسيد أحمد الكاتب، ط١، ١٩٩٧م، (ص ١٩٣ ـ ٢٠٢). وانظر: «حوارات أحمد الكاتب مع المراجع والعلماء والمفكرين حول وجود الإمام الثاني علشر»، ط١، ١٤٢٨هـ. ٢٠٠٧م، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، (ص ١٩٦ ـ ٢٠٣ و٢٥٠ ـ ٢٥٢ و٣١٥ ـ ٣١٧).

البحث ليس نفي مبدأ خروج لم يولد ولم يوجد بعد. وبالتالي فإن تلك الآيات أو الأحاديث العامة لا تثبت ولادة ذلك الإنسان أو وجوده، بالرغم من إمكانية المناقشة في دلالة الآيات الكريمة على الموضوع.

أما الروايات الواردة حول (الغيبة) و(الغائب) فهي أيضاً لا تتحدث عن (غائب) بالتحديد، ولا تذكر اسم (محمد بن الحسن العسكري) ولا تشير إلى غيبته بالخصوص، وبالتالي فإنها لا يمكن أن تشكل دليلاً على (غيبة الحجة بن الحسن) لأنه لم يولد بعد، ولم يغب، وهي لا تتحدث عن أمر قبل وقوعه حتى يكون ذلك إعجازاً على صحة الغيبة ـ كما قال الشيخ الصدوق ـ.

كان المتكلمون من الشيعة في البداية (في القرن الثالث الهجري) ـ أي بعد وفاة الحسن العسكري ـ يحاولون إثبات صحة فرضيتهم التي تقول بـ (وجود الإمام الثاني عشر ابن الحسن العسكري) ولم يكونوا حينذاك يتحدثون عن (المهدي والمهدوية)، إذ أنهم كانوا بحاجة إلى إثبات العرش قبل إثبات النقش.

إلا أن الأزمة التي وقعوا فيها حين قالوا بوجود (ابن الحسن) بعد وفاة الحسن العسكري دون خلف وهي: (عدم ظهور الإمام للقيام بالمهمات الإمامية) دفعتهم إلى البحث والتنقيب في تراث الفرق الشيعية القديمة كالكيسانية والواقفية، والتفتيش عن مخرج لهذه الأزمة والحيرة.

ووجدوا في أحاديث المهدوية القديمة أفضل حلّ للخروج من أزمة عدم ظهور الإمام، ودليلاً جديداً على إثبات فرضية (وجود ابن الحسن) في نفس الوقت.

ومن هنا فقد تطورت الفرضية التي كانت مهتمة في البداية بإثبات (وجود الإمام الثاني عشر) إلى الحديث عن (مهدويته) وأصبح الحديث يدور حول (وجود الإمام المهدي الحجة ابن الحسن العسكري)، وذلك انطلاقاً من حالة الفراغ والغيبة وعدم المشاهدة، والاستنتاج منها: أن الشخص المفترض أنه الإمام، والذي لا يشاهد: هو المهدي صاحب الغيبة، وأن سبب عدم مشاهدته هو: الغيبة!

وإذا كان يصح الاستدلال بتلك الروايات على مهدوية الأئمة السابقين المعروفين

الذين غابوا في السجون أو الشعاب أو في سائر أنحاء الأرض ـ كما يعتقد أتباعهم ـ فإنه لا يمكن الاستدلال بها على صحة فرضية (وجود ابن الحسن العسكري)، وذلك لأن وجوده كان موضع شك واختلاف بين أصحاب الإمام الحسن العسكري.

وإن عملية الاستدلال بهذه الروايات على (مهدوية ابن الحسن العسكري) بحاجة أولاً إلى الاستدلال على إثبات وجوده، قبل الحديث عن إمامته ومهدويته وغيبته وما إلى ذلك.

إن الاستدلال بالغيبة على وجود ابن الحسن يشبه عملية الاستدلال على وجود ماء في إناء، وذلك بالقول: «إن الماء لا رائحه له ولا لون، ونحن لا نشم رائحة ولا نرى لوناً في هذا الإناء، إذن فإن فيه ماء»!

إذا كان ذلك لا يجوز إلا بعد إثبات وجود سائل في الإناء، ثم القول: إن هذا السائل ليس له لون ولا رائحة، فإذن هو ماء.

فإن عملية إثبات وجود (ابن الحسن) كذلك تحتاج أولاً إلى إثبات وجوده وإمامته ومهدويته، ثم بعد ذلك إثبات غيبته، لا أن يتم عكس ذلك، فيستدل بالمجهول والعدم و(الغيبة) على إثبات الوجود والإمامة والمهدوية لشخص لا يزال موضع بحث ونقاش في وجوده!

وبناء على ذلك لا يمكن في الحقيقة الاستدلال بأحاديث (الغيبة) العامة والغامضة والضعيفة على إثبات وجود (الإمام محمد بن الحسن العسكري).

وقد حاول بعض المنظرين من الشيعة لموضوع (الغيبة) أن يستشهدوا بحديث الغيبتين الصغرى والكبرى ليثبتوا صحة (نظرية وجود ابن الحسن).

ولكن حكاية (الغيبتين) نفسها لم تثبت في التاريخ، ولا يوجد عليها دليل سوى موضوع (النيابة الخاصة)[1] التي ادعاها بعض الأشخاص، وهي لم تثبت لهم في

---

(١) النيابة الخاصة: هي ادعاء بعض الشيعة أنهم نواب عن الإمام الغائب في غيبته الصغرى، وأن هذا النائب هو الشخص الوحيد ـ ولا أحد غيره ـ الذي يتصل بالإمام، وهو الواسطة الوحيدة بين الناس والإمام الغائب ـ حسب زعمهم ـ.

ذلك الزمان.

وكان الشيعة القائلون بوجود (ابن الحسن العسكري) يختلفون فيما بينهم حول صحة ادعاء هذا الشخص أو ذاك بالنيابة الخاصة، التي كان قد ادعاها حوالي عشرين شخصاً أكثرهم من الغلاة. ومن هنا فإن الحد الفاصل بين الغيبتين: الصغرى والكبرى، كان وهمياً لم يثبت في التاريخ.

ويلاحظ أن الاستشهاد بـ (الغيبتين) قد ابتدأه النعماني في منتصف القرن الرابع الهجري ـ أي بعد انتهاء عهد (النواب الخاصين) ولم يشر إليه من سبقه من المؤلفين حول (الغيبة) الذين اكتفوا بالإشارة إلى الغيبة الواحدة.

وقد اعترف السيد المرتضى علم الهدى والطوسي لدى الحديث عن أسباب الغيبة: أن من الضروري أولاً بحث موضوع الوجود والإمامة لـ (ابن الحسن العسكري) قبل الحديث عن الغيبة وأسبابها[١].

وقالا: «إن من شك في إمامة (ابن الحسن) يجب أن يكون الكلام معه في نص إمامته والتشاغل بالدلالة عليها، ولا يجوز مع الشك فيها ـ أي في الإمامة ـ أن نتكلم في سبب الغيبة، لأن الكلام في الفرع لا يسوغ إلا بعد إحكام الأصول»[٢].

النظر في دليل النظرية الاثني عشرية:

الحديث عن تحديد عدد الأئمة بـ (اثني عشر إماماً) كان متأخراً، حيث بدأ المتكلمون الشيعة يستخدمونه بعد أكثر من نصف قرن من الحيرة، أي في القرن الرابع الهجري، ولم يكن له أثر في القرن الثالث عند الشيعة الإمامية.

ودليل ذلك أن علي بن بابويه الصدوق لم يشر إلى ذلك في كتابه: (الإمامة والتبصرة من الحيرة)، كما لم يشر إليه النوبختي في كتابه «فرق الشيعة»، ولا سعد بن عبدالله الأشعري القمي في كتابه «المقالات والفرق» وهؤلاء من المعاصرين لفترة

---

(١) الطوسي: «تلخيص الشافي» للمرتضى علم الهدى (٤ / ٢١٣).

(٢) المصدر السابق (٤ / ٢١٤).

الحيرة في القرن الثالث الهجري، وعدم الإشارة من هؤلاء لنظرية (الاثني عشرية) **لأن هذه النظرية، ابتدعت وطرأت على الإمامية في القرن الرابع، بعد أن كانت النظرية الإمامية ممتدة إلى آخر الزمان بلا حدود ولا حصر في عدد معين من الأئمة، كما هو الحال عند الاسماعليين والزيدية**، . . . فما دام في الأرض مسلمون ويحتاجون إلى دولة وإمام، وكان مُحَرَّماً عليهم اللجوءُ إلى الشورى والانتخاب ـ كما تقول النظرية الإمامية ـ كان لا بد أن يعين الله لهم إماماً معصوماً منصوصاً عليه، **فلماذا إذن يحصر عدد الأئمة في اثني عشر واحداً فقط؟**

من هذا يتبين لنا أنه لم يكن الإماميون يقولون بالعدد المحدود في الأئمة، وحتى الذين قالوا بوجود (الإمام محمد بن الحسن العسكري) لم يكونوا يعتقدون في البداية أنه خاتم الأئمة.

فهذا النوبختي يقول في كتابه «فرق الشيعة»: «**إن الإمامة ستستمر في أعقاب الإمام الثاني عشر إلى يوم القيامة**»[1] وهناك روايات كثيرة يذكرها:

الصفار في كتابه: «بصائر الدرجات»، والكليني في كتابه: «الكافي»، والحميري في كتابه: «قرب الإسناد»، والعياشي في «تفسيره»، والمفيد في كتابه: «الإرشاد»، والحر العاملي في كتابه: «إثبات الهداة» وغيرهم، هذه الروايات لهذا العدد الكبير من علماء الشيعة تشير إلى أن الأئمة أنفسهم لم يكونوا يعرفون بحكاية القائمة المسبقة المعدة من زمان رسول الله ﷺ، وعدم معرفتهم بإمامتهم أنفسهم، أو بإمامة الإمام اللاحق من بعدهم إلا قرب وفاتهم فضلاً من الشيعة عامة والإمامية خاصة الذين كانوا يقعون في حيرة واختلاف بعد وفاة كل إمام، وكانوا يتوسلون لكل إمام أن يعين اللاحق بعده ويسميه بوضوح لكي لا يموتوا وهم لا يعرفون الإمام الجديد. ويروي الصفار في كتابه: «بصائر الدرجات» باب: (إن الأئمة يعلمون إلى من يوصون قبل وفاتهم مما

---

(١) وهذا يعني أنه لا بد أن يكون هناك إمام ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر. . . إلى أعداد لا يعلمُ إلا الله مداها حتى نبلغَ يومَ القيامة!؟ وهذا ينقض نظرية التوقف عند الثاني عشر فقط!؟ (الناشر).

يعلمهم الله): حديثاً عن الإمام جعفر الصادق يقول فيه: «ما مات عالم حتى يعلمه الله إلى من يوصي»[١]. وقد ذكر هذا الحديث أيضاً الكليني في كتابه «الكافي»[٢].

ويروي الصفار أيضاً عن أبي عبدالله جعفر الصادق: «لا يموت الإمام حتى يعلم من بعده فيوصي إليه».

وهذا يدل على عدم معرفة الأئمة من قبل بأسماء خلفائهم، أو بوجود قائمة مسبقة بهم، وقد ذهب الصفار والصدوق والكليني إلى أبعد من ذلك، فرووا عن أبي عبدالله جعفر الصادق أنه قال: «إن الإمام اللاحق يعرف إمامته وينتهي إليه الأمر في آخر دقيقة من حياة الأول»[٣].

وبناء على ذلك فقد طرحت عدة أسئلة في حياة أهل البيت، وهي:

كيف يعرف الإمام إمامته إذا مات أبوه بعيداً عنه في مدينة أخرى؟ وكيف يعرف أنه إمام إذا كان قد أوصى إلى جماعة؟ أو أنه لم يوصِ إلى أحد أبداً؟ وكيف يعرف الناس أنه أصبح إماماً؟ خاصة إذا تنازع الإخوةُ الإمامةَ وادعى كل واحد منهم الوصية؟ كما حدث مثلاً لعدد من الأئمة في التاريخ؟

روى الكليني في «الكافي» حديثاً عن أحد العلويين (أي من سلالة علي بن أبي طالب رضي الله عنه) هو عيسى بن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: «قلت لأبي عبدالله ـ جعفر الصادق ـ:

إن كان كونٌ ـ ولا أراني الله ذلك ـ فبمن أَئْتَمُّ؟ قال: فأومأ إلى ابنه موسى، قال: فإن حدث بموسى حدث فبمن أئتم؟ قال: بولده، قلت:

---

(١) الصفار: «بصائر الدرجات» باب: إن الأئمة يعلمون إلى من يوصون قبل وفاتهم مما يعلمهم الله (ص ٤٧٣).

(٢) (١ / ٢٧٧).

(٣) الصفار: «بصائر الدرجات» (ص ٤٧٨). ابن بابويه: «الإمامة والتبصرة من الحيرة» (ص ٨٤ باب ١٩). «الكافي» للكليني (١ / ٢٧٥).

فإن حدث بولده حدث وترك أخاً كبيراً وابناً صغيراً فبمن أئتم؟ قال:

بولده، ثم قال: هكذا أبداً. قلت:

فإن لم أعرفه ولا أعرف موضعه؟ قال:

تقول: اللهم إني أتولى من بقي من حججك من ولد الإمام الماضي، فإن ذلك يجزيك إن شاء الله»[1].

وهذا الحديث يدل على عدم وجود قائمة مسبقة بأسماء الأئمة من قبل، وعدم معرفةِ علويٍّ إماميٍّ (من أهل البيت) مثل عيسى بن عبدالله بها، وإمكانية وقوعه في الحيرة والجهل، ولو كانت القائمةُ موجودةً من قَبْلُ لأشار الإمامُ إليها.

يروي الكليني، وابن بابويه، والعياشي حديثاً عن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبدالله ـ جعفر الصادق ـ قال: قلت له:

إذا حدث للإمام حدث، كيف يصنع الناس؟

قال: يكونون كما قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

قلت: فما حالهم؟

قال: هم في عذر ما داموا في الطلب، وهؤلاء الذين ينتظرونهم في عذر حتى يرجع إليهم أصحابهم»[2].

وهناك رواية أخرى عن زرارة بن أعين الذي ابتلي بهذه المشكلة ومات بُعَيْدَ وفاة الإمام جعفر الصادق، ولم يكن يعرف الإمام الجديد، فوضع القرآن على صدره وقال: الله اشهد أني أثبت مَنْ يقول بإمامته هذا الكتابُ[3].

---

(١) «الكافي» للكليني (١ / ٣٠٩).

(٢) ابن بابويه: «الإمامة والتبصرة من الحيرة» (ص ٧٧ باب ١٩). «الكافي» للكليني (١ / ٣٧٨)، «تفسير العياشي» (٢ / ١١٧).

(٣) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٧٤).

وقد كان زرارة بن أعين من أعظم تلاميذ الإمامين الباقر والصادق ـ ومن المقربين إليهما ـ لكنه لم يعرف خليفة الإمام الصادق، فأرسل ابنه عبيد الله إلى المدينة لكي يستطلع له الإمام الجديد، فمات قبل أن يعود إليه ابنه عبيدالله ومن دون أنٍ يعرف من هو الإمام[1]؟

وهناك روايات عديدة يذكرها: الكليني في «الكافي»[2]، والمفيد في «الإرشاد»[3]، والطوسي في «الغيبة»[4] تقول: إن الإمام الهادي أوصى في البداية إلى ابنه السيد محمد، ولكن محمداً هذا توفي في حياة أبيه الهادي، فأوصى للإمام الحسن، وقال له: «لقد بدا لله في محمد كما بدا في إسماعيل. . يا بني أَحْدِثْ لله شكراً، فقد أحدثَ فيك أمراً، أو نعمة».

فإذا كانت روايات القائمة المسبقة بأسماء الأئمة الاثني عشر صحيحة وموجودة من قبل، فلماذا لم يعرفها الشيعة الإمامية الذين اختلفوا وحاروا بعد وفاة الإمام الحسن العسكري، ولم يُشِرْ إليها المحدثون، أو المؤرخون الإمامية في القرن الثالث الهجري؟

إن نظرية (الاثني عشرية) (أي تحديد الأئمة باثني عشر إماماً فقط) لم تكن مستقرة في العقل الإمامي حتى منتصف القرن الرابع الهجري، حيث أبدى الشيخ محمد ابن علي الصدوق شَكَّهُ بتحديد الأئمة في اثني عشر إماماً فقط، وقال: «لسنا مستعبدين في ذلك إلا بالإقرار باثني عشر إماماً، واعتقاد كون ما يذكره الثاني عشر بعده»[5].

ونقل الكفعمي في «المصباح» عن الإمام الرضا الدعاء التالي حول (صاحب الزمان): « . . . اللهم صل على ولاة عهده والأئمة من بعده»[6].

---

(١) المصدر السابق (ص ٧٦).

(٢) «الكافي» للكليني (١ / ٣٢٦ و٣٢٨).

(٣) المفيد: «الإرشاد» (ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧).

(٤) الطوسي: «الغيبة» (ص ١٢٠ و١٢٢).

(٥) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٧٧).

(٦) القمي: «مفاتيح الجنان» (ص ٥٤٢).

وروى الصدوق عدة روايات حول احتمال امتداد الإمامة بعد الإمام الثاني عشر وعدم الاقتصار عليه، وكان من هذه الروايات، رواية عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حول غموض الأمر بعد القائم (أي الإمام الثاني عشر)، وأن رسول الله ﷺ قد عهد إليه (أي للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه): أن لا يخبر أحداً بذلك إلا الحسن والحسين، وأنه قال: لا تسألوني عما يكون بعد هذا، فقد عهد إليَّ حبيبي أن لا أُخبر به غير عترتي»[1].

وروى الطوسي في «الغيبة»: أن رسول الله ﷺ قال لعلي رضي الله عنه: «يا علي إنه سيكون بعدي اثنا عشر إماماً، ومن بعدهم اثنا عشر مهدياً، فأنت يا علي أول الاثني عشر الإمام... ثم يكون من بعده اثنا عشر مهدياً»[2].

وبعد القول بوجود (محمد بن الحسن العسكري) والقول بغيبته، كاد الشيعة الإمامية يختلفون فيما بينهم حول تحديد عدد الأئمة باثني عشر أو ثلاثة عشر، فقد ظهرت في ذلك الوقت روايات تقول: بأن عدد الأئمة ثلاثة عشر وليست اثني عشر.

ومن تلك الروايات ما نقلها الكليني في «الكافي»[3].

كما وجدت من تلك الروايات في الكتاب الذي ينسب إلى سليم بن قيس الهلالي، حيث تقول إحدى روايات هذا الكتاب ـ الذي ظهر في تلك الفترة ـ: إن النبي قال لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أنت واثنا عشر من ولدك أئمة الحق».

وهذا ما دفع هبة الله بن أحمد بن محمد الكاتب، حفيد أبي جعفر محمد بن عثمان العمري، الذي كان يتعاطى (الكلام) لأن يؤلف كتاباً في الإمامة، يقول فيه: إن الأئمة ثلاثة عشر، ويضيف إلى القائمة المعروفة (زيد بن علي) كما يقول النجاشي في رجاله.

---

(١) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٧٨).
(٢) الطوسي: «الغيبة» (ص ٩٧).
(٣) «الكافي» للكليني (١ / ٥٣٤).

وقد ذكر المؤرخ الشيعي المسعودي (توفي سنة ٣٤٥هـ) في كتابه (التنبيه والإشراف): «أن أصل القول في حصر عدد الأئمة باثني عشر ما ذكره سليم بن قيس الهلالي في كتابه»[(١)].

وكتاب سليم بن قيس الهلالي ظهر في بداية القرن الرابع الهجري، وتضمن قائمة بأسماء الاثني عشر، التي يقول عنها المؤلف: إنها كانت معروفة منذ عهد رسول الله وأنه هو الذي أعلنها من قبل. وقد أدى ظهور هذا الكتاب في هذه الفترة إلى تكون الفرقة (الاثني عشرية) في القرن الرابع الهجري... ثم بعد ذلك بدأ رواة الشيعة الإمامية الاثني عشرية يختلقون الروايات شيئاً فشيئاً، حيث لم يذكر الكليني في كتابه الجامع «الكافي» سوى سبع عشرة رواية، ثم جاء الصدوق بعده بخمسين عاماً ليزيدها إلى بضع وثلاثين رواية، ثم يأتي من بعد الصدوق تلميذه الخزاز ليجعلها مائتي رواية!!

كتاب سليم بن قيس الهلالي:

كان اعتماد الكليني والنعماني والصدوق، في قولهم بالنظرية (الاثني عشرية) ـ المُبتدَعة ـ على كتاب سليم بن قيس الهلالي، الذي وصفه النعماني: بأنه من الأصول التي يرجع إليها الشيعة ويُعَوِّلونَ عليها.

وقد ردّ على قول النعماني بوصفه لكتاب سليم بأنه خلاف ذلك، وممن ردّ عليه المامقاني في «تنقيح المقال» نقلاً عن الغضائري قوله: «روى سليم بن قيس عن الإمام الصادق والإمام الحسن والإمام الحسين وعلي بن أبي طالب، ولكن يقول أصحابنا الشيعة، وعلماء الشيعة أن سليماً لم يُعْرَفْ ويُشَكُّ في أصل وجوده، ولم يذكروه بالخير، والكتاب المنسوب إليه موضوع قطعاً، وفيه أدلة كافية للدلالة على وضعه»[(٢)].

وقال الشيخ المفيد عن كتاب سليم: «إنه غير موثوق به ولا يجوز العمل على أكثره، وقد حصل فيه تخليط وتدليس، فينبغي للمتدين أن يتجنب العمل بكل ما فيه ولا

---

(١) المسعودي: «التنبيه والإشراف» (ص ١٩٨). الأميني: «الغدير» (١ / ١٩٥).

(٢) المامقاني: «تنقيح المقال» (٢ / ٥٢) انظر: كتاب «عقيدة الشيعة الرافضة في القرآن الكريم والسنة النبوية» دندل جبر، (ص ١٧٧)، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م، دار عمار، عمان.

يُعوّل على جملته والتقليد لروايته، وليفزع إلى العلماء فيما تضمنه من الأحاديث ليوقفوه على الصحيح منها والفاسد»[1].

وقال ابن داود: هناك منكرات في كتاب سليم يعني: فيه أكاذيب واضحة، وأنا أعده موضوعاً ومختلقاً، وقد ذُمَّ في «قاموس الرجال»، وقد ذكر بعض الأفاضل عدداً من أكاذيبه[2].

وقد انتقد الشيخُ المفيدُ، الصدوقَ على نقله الكتاب واعتماده عليه، وعزا ذلك إلى منهج الصدوق الإخباري، وقال عنه: «إنه على مذهب أصحاب الحديث في العمل على ظواهر الألفاظ والعدول عن طرق الاعتبار، وهذا رأي يضر صاحبه في دينه ويمنعه المقام عليه عن الاستبصار»[3].

موقف الزيدية من النظرية (الاثني عشرية):

لقد اعترض الزيدية[4] على الإمامية الاثني عشرية، وقالوا: «إن الرواية التي دلت على أن الأئمة اثنا عشر قولٌ أَحدَثُه الإمامية قريباً، ووَلَّدُوا فيه أحاديث كثيرة كاذبة» واستشهدوا على ذلك بتفرق الشيعة بعد وفاة كل إمام إلى عدة فرق وعدم معرفتهم للإمام بعد الإمام، وحدوث البداء في إسماعيل، ومحمد بن علي، وجلوس عبدالله الأفطح للإمامة، وإقبال الشيعة إليه، وحيرتهم بعد امتحانه، وعدم معرفتهم الكاظم حتى دعاهم إلى نفسه، وموت الفقيه زرارة بن أعين دون معرفته بالإمام[5].

وقد نقل الصدوق اتهامات الزيدية للإمامية الاثني عشرية بإحداث النظرية (الاثني عشرية) في وقت متأخر، ولم ينفِ التهمة ولم يَردَّ عليها، وإنما برر ذلك بقوله: «إن الإمامية لم يقولوا: إن جميع الشيعة بما فيهم زرارة كانوا يعرفون الأئمة الاثني عشر»،

---

(١) الشيخ المفيد: «أوائل المقالات وشرح اعتقادات الصدوق» (ص ٢٤٧).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق (ص ٢٤٢).

(٤) الذين ينتمون إلى زيد بن علي بن الحسين، ويقولون بإمامته.

(٥) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٧٥ ـ ٧٦).

ثم انتبه الصدوق إلى منزلة زرارة وعدم إمكانية جهله بأي حديث من هذا القبيل، وهو أعظم تلامذة الإمامين الباقر والصادق، فتراجع عن كلامه وقال باحتمال علم زرارة بالحديث وإخفائه للتقية، ثم عاد فتراجع عن هذا الاحتمال، وقال: «إن الكاظم قد استوهبه من ربه لجهله بالإمام، لأن الشاك فيه (أي الإمام) على غير دين الله»[(١)].

وهذا ما يناقض دعوى الخزاز في كتابه «كفاية الأثر»، والطوسي في كتابه «الغيبة» بتواتر أحاديث (الاثني عشرية) عن طريق الشيعة، ويثبت أن لا أساس لها من الصحة في الأجيال الأولى وخاصة في عهود الأئمة من آل البيت حيث لم يكن يوجد لها أي أثر، خاصة أن الطوسي لم يذكر الكتب الشيعية القديمة التي زعم أنها تتحدث عن (الاثني عشرية).

وقد تهرب الخزاز من مناقشة تهمة الوضع المتأخر للنظرية، وحاول أن ينفي تهمة الوضع من قبل الصحابة والتابعين وأهل البيت[(٢)]، في حين أن التهمة ـ في ابتداع نظرية الاثني عشرية ـ لم تكن موجهة إلى الصحابة وأهل البيت، وإنما إلى بعض الرواة المتأخرين الذين اختلقوا كتاب سليم في عصر الحيرة، من أمثال (أبو سمينة) و(العبرتائي) و(علي بن إبراهيم القمي).

لا دلالة؟

إن معظم الأحاديث التي تتحدث عن حصر الأئمة في اثني عشر، وكذلك جميع الأحاديث الواردة عن طريق أهل السنة لا تذكر أسماء الأئمة أو الخلفاء أو الأمراء بالتفصيل، وأن الأحاديث السنية بالذات لا تحصرهم في اثني عشر، وإنما تشير إلى وقوع الهرج بعد الثاني عشر من الخلفاء، كما ورد في رواية الطوسي عن جابر بن سمرة[(٣)]، أو تتحدث عن النصر للدين أو لأهل الدين حتى مضيِّ اثني عشر خليفة[(٤)].

---

(١) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٧٦).

(٢) الخزاز: «كفاية الأثر» (ص ٢٩٣).

(٣) الطوسي: «الغيبة» (ص ٨٨).

(٤) الطوسي: «الغيبة» (ص ٨٩). الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٢٧٤).

ولو أخذنا بنظرية الشيعة الإمامية الفطحية[1] الذين لا يشترطون الوراثة العمودية في الإمامة، لأصبح الإمام الحسن العسكري هو الإمام الثاني عشر، بعد الإقرار بإمامة عبدالله الأفطح بن الصادق، أو الاعتراف بإمامة زيد بن علي بن الحسين، الذي اعترف به قسم من الإمامية.

وعلى هذا... فإن الاستدلال بأحاديث (الاثني عشرية) العامة والغامضة والضعيفة دون وجود دليل على ولادة (محمد بن الحسن العسكري) هو نوع من الافتراض والظن والتخمين... وليس استدلالاً علمياً قاطعاً.

الإمام يجب أن يكون حيا يرزق، ظاهرا، معروفا:

الدليل النقلي الأخير القائل بضرورة وجود الإمام في كل عصر، وعدم جواز خلو الأرض من حجة، هو دليلٌ يَنقضُ نفسه بنفسه، إذ ما معنى الإمام والحجة؟ وما الفائدة منهما؟ أليس المقصود من وجودهما هداية الناس، وإدارة المجتمع وتنفيذ الأحكام الشرعية؟ فكيف يمكن للإمام الغائب ـ على فرض وجوده ـ أن يقوم بهذه المهام؟ وإذا كان الإمام الغائب يقوم بمهمة الإمامة والحجية ـ حسب زعم البعض من الإمامية الاثني عشرية ـ[2]. فلماذا شعر الفقهاء بالحاجة إلى الإمام والحجة في عصر الغيبة؟

وإذا كان الهدف من وجوده هو إدارة الكون ـ كما يدعي بعض الغلاة ـ فإن الله سبحانه وتعالى لديه ملائكة كثيرون يقومون بذلك.

وقد ردّ علي بن موسى الرضا على الواقفية ـ الذين قالوا بغيبة أبيه (الإمام موسى الكاظم): بأنه لا بد من إمام حي ظاهر يعرفه الناس ويرجعون إليه! وقال: «إن الحجة

---

(١) هم أتباع عبدالله الأفطح ابن الإمام جعفر الصادق.

(٢) يقول آية الله محمد باقر الصدر في الإمام الغائب محمد بن الحسن العسكري: «كل ما في الأمر أنه عليه السلام يعيش بشخصية ثانوية متكونة من اسم مستعار، وعمل معين، وأسلوب في الحياة غير مُلفتٍ للنظر، ولا يَمُتُّ إلى الإمامة والقيادة بصلة» «تاريخ ما بعد الظهور» (ص ٢٧٢)، عن «بروتوكولات آيات قم»: تأليف الدكتور عبدالله الغفاري، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، (ص ١١).

لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام حي يُعرف» و«من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية، إمام حي يعرفه، وقد قال رسول الله ﷺ: من مات وليس له إمام يسمع له ويطيع مات ميتة جاهلية»[١].

وقال الإمام علي الرضا لأحد الواقفية: «من مات وليس عليه إمام حي ظاهر مات ميتة حاهلية، فسأله الواقفي مستوضحاً ومركزاً على كلمة (إمام حي) فأكد له مرة أخرى (إمام حي)»[٢].

إن وجود (الإمام محمد بن الحسن العسكري) واستمرار حياته إلى اليوم، هو نوع من الافتراض والظن والتخمين. فأين هو الإمام المعلم الهادي، والمطبق لأحكام الله الذي يحافظ على الشريعة من الزيادة والنقصان؟

ولو كانت النصوص ـ الواردة في الاثني عشرية ـ واضحة وصريحة، وتمنع من الاجتهاد لَمَا وقع الشيعةُ في تلك الحيرة المهلكة التي يصفها النعماني بقوله: «إن الجمهور منهم يقول في الخلف: أين هو؟ وأنى يكون هذا؟ وإلى متى يغيب؟ وكم يعيش هذا؟ . . فمنهم من يذهب إلى أنه ميت، ومنهم من ينكر ولادته ويجحد وجوده بواحدة، ويستهزىء بالمُصَدِّقِ به ـ إلى أن يقول ـ أي حيرة أعظم من هذه التي أخرجت من هذا الأمر الخلق العظيم والجم الغفير؟ ولم يبق ممن كان فيه إلا النزر اليسير، وذلك لشكِّ الناس»[٣].

يقول الكاتب والمفكر الشيعي أحمد الكاتب في تعليقه على ما ورد في كتاب الشيخ محمد باقر الأيرواني[٤] المسمى (الإمام المهدي بين التواتر وحساب الاحتمال): «وهذا ما يؤكد أن الأخبار الكثيرة «المتواترة» التي يتحدث عنها الشيخ الأيرواني، لم

---

(١) «الكافي» للكليني (١ / ١٧٧). الحميري: «قرب الإسناد» (ص ٢٠٣)

(٢) المصدر السابق.

(٣) النعماني: «الغيبة» (ص ١١٣ و١٨٦).

(٤) الشيخ محمد باقر الأيرواني، هو أحد أساتذة الحوزة العلمية في النجف وقم، وله اختصاص في علم الأصول والحديث.

يكن لها وجود في ذلك الزمان، وإن القرائن التي يستشهد بها ويدعي أنها تورث اليقين، لم يكن لها دور في «عصر الحيرة»، وإنما اختلقت فيما بعد، وأن من قال بوجود الولد للإمام الحسن العسكري فقد قال به عن طريق الاجتهاد المبني على الظن والتخمين والافتراض والتأويل والروايات الضعيفة والإشاعات المتهافتة.

وإذا كان السابقون قد اجتهدوا وتوصلوا إلى ما توصلوا إليه، فإن من الضروري جداً أن نعيد النظر في اجتهادهم، ولا نقلدهم تقليداً أعمى، ومن الممكن أن نصل إلى نتيجة مغايرة.

وإذا كان الشيعة الاثنا عشرية قد اتفقوا فيما بعد، أو تبانوا على فكرة معينة، فلا يجوز أن نعتمد على رأيهم، لأنه ليس حجةً أمام الله، ولا بد أن ننظر في أدلتهم وبراهينهم، فإذا وجدناها ضعيفة وبدون حجة قوية، فلا يجوز لنا اتباعهم، حتى إذا مشى آباؤنا عليها ألف عام.

ولست أدري كيف يرفض الشيخ الأيرواني الاجتهاد في موضوع وجود الولد للإمام العسكري، بهذه الصورة القاطعة؟ هل خوفاً من انكشاف الحقيقة؟ والحقيقة هدف كل مؤمن وعالم. أم ماذا؟»[١].

ثم يقول: «وفي الحقيقة أن كثيراً مما يصطلح عليه الأيرواني بالأدلة اليقينية، هي ليست سوى أحاديث ضعيفة ومختلقة، وتأويلات نفسية، وافتراضات وهمية وظنية، لا تورث يقيناً ولا علماً.

والغريب أنه أحياناً يقلب الأدلة بالمعكوس، مثل أحاديث الغيبة التي اشتهرت في صفوف الشيعة منذ وفاة محمد بن الحنفية، ومن بعده الإمام الصادق وابنه إسماعيل وابنه الآخر موسى الكاظم، وغيرهم وغيرهم، من الأئمة الذين ادُّعِيَتْ لهم الغيبةُ والمهدوية، وبالتالي فإنها لا تحمل أي دليل على وجود ابن الحسن العسكري أو غيبته،

---

(١) «حوارات أحمد الكاتب مع المراجع والعلماء والمفكرين حول وجود الإمام الثاني عشر»: السيد أحمد الكاتب، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، (ص ١٩٦ - ١٩٧).

ولكن الشيخ الأيرواني يتخذ منها قرينة على صحة فرضية وجود الولد للإمام العسكري. . .

وربما كان غريباً جداً اتخاذ الأيرواني في اتفاق الشيعة منذ ذلك الحين على فكرة الغيبة دليلاً على صحتها، وهو يعرف **أن شيعة الإمام العسكري تفرقوا إلى أربع عشرة فرقة، ولم يقل منهم بوجود الولد إلا فرقة واحدة**، ومع ذلك فقد أثبت التاريخ خطأ إيمانهم بتلك الفكرة أو اتفاقهم عليها.

والأغرب من ذلك أن يستشهد الشيخ الأيرواني، باعتراف بعض السنة، والنسابة في التاريخ، بأمرٍ لم يُجْمِعْ عليه الشيعةُ، ولم يعرفه أهل البيت، ولم يظهر له أي أثر في التاريخ. ويعتبر ذلك قرينة تورث اليقين فيما يسميه حساب الاحتمالات»[1].

ثم يقول الكاتب: «وفي الحقيقة ليس من المفروض أن نتعصب لأخطاء أجدادنا، خاصة بعد طول انتظارنا لذلك الإمام المفترض، الذي لم يولد قط، والذي لم يخرج إلى الآن ولن يخرج في المستقبل، ولا بد أن نفكر بعقولنا، ونتساءل ما فائدة إمام لا نعرفه ولا يعرفنا؟ وكيف ينقذنا الإيمان به من النار؟ ويميتنا ميتة إسلامية؟ وما هي قيمة مئات أو آلاف أو ملايين الأدلة إذا كانت النتيجة صفراً؟ ولماذا نصر على افتراض وجوده رغم غيبته الطويلة التي لا تنتهي؟ خاصة بعد التزامنا بالفكر الديمقراطي أو الشوري، وتَخلِّينا عن الشروط المثالية في الرؤساء، كالعصمة والنص والسلالة العلوية الحسينية، وقبولنا بالعدالة والكفاءة والإيمان»[2].

روى محمد بن يحيى، عن أحمد بن إسحاق، عن أبي هاشم الجعفري، قال: «قلت لأبي محمد عليه السلام: جلالتك تمنعني من مسألتك، فتأذن لي أن أسألك؟ فقال: سَلْ. قلت: يا سيدي هل لك ولد؟ فقال: نعم»[3].

---

(١) المصدر السابق (ص ٢٠١ ـ ٢٠٢).

(٢) المصدر السابق (ص ٢٠٣).

(٣) «دفاع عن الكافي» (١ / ٥٤٦) عن المصدر السابق (ص ٢٥٠)، والمقصود بأبي محمد هو الحسن العسكري.

«وهذا النص منقول عن أبي هاشم الجعفري المُوثَّق عند الشيعة الإمامية مثله مثل (النواب الأربعة) الذين ادعوا السفارة عن الإمام الغائب، وقد ادعى الجعفري النيابة كذلك فيمن ادعاها، وكان يبلغ عددهم الأربعة والعشرين مدعياً، وكان كل واحد منهم يُكَذِّبُ الآخرين. وفي هذا النص لا يذكر الجعفري أنه رأى الولد وإنما يقول: إن أباه قال إن لديه ولداً.

وحسبما أعتقد فإن الجعفري من الغلاة وكان ينسب إلى الإمام الحسن العسكري العلم بالغيب، وقراءة ما في القلوب، وإتيان المعاجز الخارقة، ولكن مشكلة المقلدين المعاصرين أنهم يقلدون السابقين في توثيقهم وتصنيفهم وتضعيفهم للرجال الرواة، ولا يحققون في مدى صدقهم، في حين أي باحث محقق ومحايد عليه في البدء أن يخرج من إطار طائفته الضيق ويدرس الرجال الرواة بحيادية، خاصة في القضايا المختلف عليها والمشكوك فيها... فالنواب الأربعة الذين ادعوا السفارة (بين الناس والإمام الغائب) فإنهم بالطبع ثقاة يقاربون درجة العصمة عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ولكن ماذا يقول عنهم بقية الإمامية؟ وبقية الشيعة؟ وبقية المسلمين؟ يجب أن تدرس حالهم بصورة مستقلة وليس اعتماداً على ما يقوله أتباعهم وأصحاب مذهبهم (دينهم) حتى تتأكد حقيقتهم وحقيقة دعواهم.

ثم إن القضية برمتها يجب أن تدرس بصورة متكاملة وشاملة، وليس اعتماداً على رواية أو خبر من أخبار الآحاد، ويجب أن ننظر إلى نتيجة البحث والتحقيق، ونعثر على الإمام الذي يفترض فيه أن يقود المسلمين ويقيم دولتهم في الأرض، فالقضية لا تتعلق ببحث نظري تاريخي وإنما هي تمس الواقع والحياة الخارجية والسياسية للمسلمين، وهي تشبه جداً قصة رجل يقول لك: إن في هذا القِدْرِ لحماً وطبيخاً وعليك انتظار نضجه، فتجلس أياماً وأياماً وشهوراً وسنين وأنت جائع ثم لا تجد شيئاً في القدر، ولكنك تستمع إلى صرير معدتك وتنظر إلى ساعتك، وتكاد تموت جوعاً، فماذا تفعل؟ هل تنتظر مزيداً من الوقت؟ أم تذهب وتعدّ لك ما تيسر من الطعام، ولا تستمع إلى ذلك الرجل الأحمق حتى لو جاء بمليون دليل؟

هذه هي حالتنا مع أولئك المدعين الذين خدعونا بزعمهم وجود ولد مكتوم

ومخفي للإمام الحسن العسكري، فجلسنا ننتظر السنين والقرون، ولما لم نجد شيئاً قمنا بإقامة الدولة على أساس الشورى وولاية الفقيه، ولم نحصل من أدلتهم وبراهينهم على غير الجوع والعطش والانتظار العقيم؟»[1].

يقول الكاتب والمفكر الشيعي أحمد الكاتب: «أود التنبيه إلى حقيقة لا أعتقد أنها تغيب عن ذهن أحد، وهي كثرة تفرق الشيعة في القرنين الثاني والثالث الهجريين، واختلاق كل فريق ما يشاء من الروايات ونسبتها إلى الأئمة من أهل البيت تأييداً لما يذهب إليه، وقيام بعض الفرقاء بنسج روايات لها طابع الزمان الماضي، وتتحدث عن المستقبل الذي يصوره ذلك الفريق كما يشتهي، في محاولة لإضفاء صفة الإعجاز وعلم الغيب على الرواية، ومن الأمور التي حدث فيها الخلاف بين الشيعة الإمامية مسألة إمامة الحسن العسكري، التي اختلف فيها شيعة أبيه الإمام علي الهادي بين من قال بإمامة محمد بن علي الهادي وعدم وفاته في حياة أبيه، ثم قوله بغيبته ومهدويته وانتظار ظهوره في المستقبل، وإنكار إمامة الحسن العسكري وبين من قال بإمامة جعفر بن علي الهادي بالنص عليه من أبيه أو بالنص عليه من أخيه السيد محمد (المدفون في بلد) وبين من قال بإمامة الحسن العسكري، الذي اعترف بأنه لم يحدث خلاف على أحد من الأئمة مثلما حدث في الاختلاف عليه»[2].

وفي حوار الكاتب والمفكر الشيعي أحمد الكاتب مع المرجع الديني السيد صادق الحسيني الشيرازي في كتابيه «المهدي في القرآن» و«المهدي في السنة»[3]، يقول:

«يحاول الشيرازي الإيحاء بأن موضوع (المهدي) من أهم العقائد الإسلامية، التي تقوم على الأخبار المتواترة، وبغض النظر عن المناقشة في هذه الأحاديث التي

---

(١) أحمد الكاتب: «حوارات أحمد الكاتب مع المراجع والعلماء والمفكرين حول وجود الإمام الثاني عشر»، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، (ص ٢٥١ ـ ٢٥٢).

(٢) المصدر السابق (ص ٢٥٢).

(٣) انظر: «حوارات أحمد الكاتب مع المراجع والعلماء والمفكرين حول وجود الإمام الثاني عشر» ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، (ص ٢١٠ ـ ٢١٧).

يعتمد عليها، فإنه يخلط بين أمرين أو مفهومين لكلمة (المهدي).

الأول: المهدي العام: بمعنى المنقذ، الذي يؤمن به كثير من المسلمين.

والثاني: المهدي الخاص الذي يؤمن به الشيعة الإثنا عشرية، وهو (الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري) حيث يستعين الشيرازي بأحاديث المهدي التي تشبثت بها الفرق الإسلامية والشيعية المختلفة عبر التاريخ، ليستدل بها على وجود وولادة (ابن الحسن العسكري) الذي كان موضوع خلافٍ بين أهل البيت وشيعة العسكري أنفسهم، فضلاً عن سائر الشيعة وعامة المسلمين.

وهذا منهج اتبعه كثير ممن كتب عن (الإمام المهدي) أو حاول الرد عليّ، أو تظاهر بذلك، وهو منهج أقل ما يقال فيه أنه غير علمي، ولا أمين أو هادف لبحث الموضوع بصورة جدية.

فلو سلمنا بصحة الأحاديث التي تتحدث عن خروج إمام مهدي يصلح ما فسد من أمور المسلمين، فإنها لا تشكل دليل إثبات على ولادة ابن للإمام العسكري الذي لم يتزوج أبداً، ولم يتحدث عن وجود ولد له في حياته، وتوفي بعد أن أوصى بأمواله إلى أمه في إشارة منه إلى عدم وجود وارث له»، ثم يقول:

«يدعي السيد صادق الشيرازي وجود أكثر من مائة آية في القرآن الكريم تدل على المهدي، حيث يقول: «وردت مائة آية ـ بل وتزيد ـ بشأن الإمام المهدي (عليه السلام) بمختلف الأنواع، من التفسير، والتأويل، والظاهر، والباطن، وغير ذلك... وقد خصصنا كتاباً خاصاً بذلك أسميناه «المهدي في القرآن».

وهذا أمر غريب حقاً، فنحن لا نجد آية واحدة في القرآن تدل صراحة على ذلك، وإنما هنالك بعض الآيات التي تَعِدُ المؤمنين بالنصر وبوراثة الأرض، مثل قوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ ﴾ [القصص: ٥] ولكن لا يمكن الاستدلال بهذه الآية على وجود الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري...

وإذا كان الشيرازي يتعامل مع القرآن الكريم الواضح والصريح، بهذه الطريقة

التعسفية، ويحاول تحميله ما لا يحتمل، فكيف يتعامل إذن مع الأحاديث؟ وهل يتوقف ليحقق في سند أو متن أي حديث؟ أو يدرسه بعناية ودقة، أم سوف يغرف من تلك الأحاديث ما يشاء؟ وبدون أية مسؤولية؟ لنستمع إليه (أي إلى الشيرازي) وهو يتحدث قائلاً: «(وأما في السنة) فالأحاديث الواردة بشأن الإمام المهدي عليه السلام في مختلف كتب التفسير، والحديث، والتاريخ، والصحاح، وغيرها... وكتب السنة، وكتب العامة، لو جمعت هذه الأحاديث لزادت على الثلاثة آلاف حديث. (نعم) إنها أكثر من ثلاثة آلاف حديث، كلها بشأن الإمام المهدي عليه السلام تملأ مجلدات عديدة».

ويتوقف (أي الشيرازي) ليتساءل: «من هو هذا (المهدي) الذي أُولِيَ هذا الزخم من القرآن ومن السنة؟» ويجيب: «إنه أمل السماء، إنه غاية الشرائع الإلهية، إنه المأمول لتطبيق شريعة السماء على كل الكرة الأرضية لأول مرة في تاريخ الإنسان،... ثم يقول السيد أحمد الكاتب: وبعد أن يذكر السيد صادق الشيرازي مجموعة من تلك الأحاديث يتساءل:

«من هو الإمام (المهدي)؟ ومتى ولد؟ ومن أي سلالة انحدر؟ ومن أبواه، وأجداده؟ ولماذا غاب؟ وما فائدة غيبته؟ إلى غير ذلك من عشرات الأسئلة».

ويقول: «إن كتابه يجيب عليها من خلال الأحاديث الشريفة المجموعة كلها من الصحاح الستة، ومن كتب التفسير، والحديث، والتاريخ التي ألفها غير الشيعة من علماء المذاهب الأربعة (الأحناف) و(الشوافع) و(الحنابل) و(المالكية)... وذلك سداً للطرق على من زعم، أو بالأحرى ادعى أنه زعم أن ما يتعلق بالإمام المهدي عليه السلام مما يختص به الشيعة، لكي يعلم ـ أو تتم الحجة عليه، ويعلم غيره وتتم حجة الله عليه أيضاً ـ أن الكثير... الكثير مما ورد في ا لإمام المهدي إنما هو من كتب غير الشيعة، وبأقلام غير الشيعة، ورواة غير الشيعة، ونقل غير الشيعة».

وهذه دعوى عظيمة جداً.

وأعظم منها أن يقول الشيرازي: «لم نحاول جمع كل ما ورد في الإمام المهدي

عليه السلام من كتب المذاهب الأخرى، بل الإلماع، والاختيار، وذكر نماذج فقط وفقط. و(إلا) فالجمع والاستيعاب يستدعي تدوين مجلدات. . . ومجلدات، وهذا ما نفسح به المجال لغيرنا، ممن يوفقه الله تعالى لذلك من بعدنا. (فإن) هناك جمهرة أعيان علماء المذاهب الأخرى، وحُفَّاظهم وأئمتهم، ومؤلفيهم، قد خصصوا كتاباً خاصاً في الإمام المهدي عليه السلام وأفردوا مؤلفاً مستقلاً في بعض أحواله، وشؤونه، ونقل الأحاديث الشريفة عنه. مثل علامة (الشافعية) الشيخ جمال الدين يوسف بن يحيى بن علي بن عبدالعزيز بن علي المقدسي السلمي الدمشقي ألف كتاباً خاصاً في الإمام المهدي عليه السلام، أسماه «عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر»، ويضرب لذلك مثلاً آخر بما رواه (البخاري في صحيحه) عن جابر بن سمرة عن النبي ﷺ قال: يكون اثنا عشر أميراً. فقال كلمة لم أسمعها فقال أبي: إنه قال: كلهم من قريش. وما رواه محمد بن عيسى الترمذي في صحيحه، قال رسول الله ﷺ: يكون من بعدي اثنا عشر أميراً. ثم تكلم بشيء لم أفهمه، فسألت الذي يليني فقال: قال: كلهم من قريش. . .

ويروي الشيرازي عدداً من الروايات عن رسول الله ﷺ مستقاة من كتب الحديث لأهل السنة، كلها تحاكي ما جاء في الروايتين السابقتين تقريباً. . . ثم بعد ذلك يقول معلقاً على كل ذلك: «اتفقت كلمة المسلمين جميعاً بمختلف مذاهبهم، وأجمعت كتبهم في التفسير والحديث والتاريخ، وخاصة (الصحاح الستة) على: أن رسول الله ﷺ تفوه بهذه الكلمة: «الخلفاء بعدي اثنا عشر كلهم من قريش» وإن اختلف التعبير حسب اختلاف الرواة، فبعضهم رواه (النقباء) وبعض نقله (الأئمة) وبعض ضبطه (اثنا عشر قيماً) وبعض أخرجه (وهم اثنا عشر رجلاً) وبعض أثبته (اثنا عشر أميراً) والمعنى في الكل واحد، والمقصود متحد وهو واضح لا غبار عليه». ثم يقول: «والكلام الذي ينبغي التأمل عنده هو: من هؤلاء الاثنا عشر؟ والجواب المقنع الحاسم الذي لا يقبل النقاش: إنهم هم الذين سماهم رسول الله ﷺ في أحاديث أخرى بأسمائهم وهم: علي ابن أبي طالب، والحسن بن علي، والحسين بن علي، وعلي بن الحسين (السجاد)، ومحمد بن علي (الباقر)، وجعفر بن محمد (الصادق)، وموسى بن جعفر (الكاظم)،

وعلي بن موسى (الرضا)، ومحمد بن علي (الجواد)، وعلي بن محمد (الهادي) والحسن بن علي (العسكري)، والحجة المهدي (القائم). . .

يقول السيد أحمد الكاتب: ولقد بحثت هذه الأحاديث (الاثني عشرية) السنية والشيعية. . . التي استدل بها القائلون بوجود الولد للإمام العسكري، ورددت عليها حديثاً حديثاً، وقلت: إنها كلها أحاديث آحاد وضعيفة ومختلقة. . .

والغريب أن السيد صادق الشيرازي يستدل بأقوال بعض علماء السنة كالحافظ الحنفي، صاحب «ينابيع المودة» الذي ينقل حديثاً عن أبي طفيل عامر بن واثلة عن علي رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا علي أنت وصيي، حَربُكَ حربي، وسِلْمُكَ سِلمي، وأنت الإمام، وأبو الأئمة الأحد عشر الذين هم المطهرون، المعصومون، ومنهم (المهدي) الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً؛ فويل لمبغضهم».

ولا أدري كيف يسمي من ينقل هكذا رواية بالسني؟ فإذا كانت الرواية صحيحة فلماذا لا يؤمن بها ويصبح شيعياً إمامياً اثني عشرياً؟ وإذا كانت الرواية صحيحة وينقلها ولا يؤمن بها عناداً وتعصباً، فكيف يمكن الاعتماد عليه والثقة به؟

وهل تصح نسبة الكتاب إليه؟ أم هناك تشابه في الأسماء وتزوير في الكتب؟ وعلى أي حال، لا يسأل الشيرازي عن الحافظ الحنفي متى عاش؟ وفي أي قرن؟ وممن أخذ روايته؟ وما هو سندها؟ هل أخذها من الشيعة الإمامية؟ أم المصادر السنية؟.

وبما أن القضية كانت أسطورية من أساسها، فإن أصحاب النظرية الاثني عشرية لم يستطيعوا أن يبعثوا الحياة بالإمام الثاني عشر المزعوم والمفترض، وظل في غياهب العدم منذ ذلك الحين وإلى يوم القيامة.

وإذا كانت تلك الأسطورة قد مرت على بعض المغفلين والسذج والبسطاء ردحاً من الزمن، فإنه كان لا بد أن تلفت العلماء والمجتهدين وتدعوعم للتوقف عندها، وبحثها بدقة، واستخدام أدوات الاجتهاد المعروفة لديهم مثل التحقيق في المتن والسند، ودراسة القضية من كل جوانبها، وعدم تقليد الآباء والأجداد تقليداً أعمى،

وإلصاق البدع والخرافات والأساطير بالدين، أو بمذهب أهل البيت بهذه الطريقة الغوغائية.

ولكنهم لم يفعلوا من ذلك شيئاً. . . ثم يقول السيد أحمد الكاتب:

ومع الأسف الشديد ينقل الشيرازي قول الحافظ القندوزي الحنفي في كتابه «ينابيع المودة»: «عن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: من أنكر خروج (المهدي) فقد كفر بما أُنزلَ على محمد» ويعلق عليه قائلاً: «الكفر درجات: (الأولى) الكفر بالله تعالى بإنكاره. (الثانية) الكفر بما أنزل تعالى. (الثالثة) الكفر بنعم الله تعالى.

وهذا الكفر المذكور في هذا الحديث هو من الدرجة الثانية لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي عين الإمام المهدي (حقاً) فإنكاره كفر برسول الله ﷺ لأنه يتضمن تكذيب النبي ﷺ بما أخبر عن الإمام المهدي عليه السلام».

(هذا شأن من أنكر ما قاله رسول الله ﷺ، فما موقع مَنْ كَذَبَ على رسول الله ﷺ متعمداً ـ كما هو الحال في مثل هذه الرواية ـ وهو القائل: «من كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار». . .). .

ثم يقول السيد أحمد الكاتب:

وينسى الشيرازي بأن فرقة واحدة فقط من سبعين فرقة من الشيعة آمنت بوجود المهدي (محمد بن الحسن العسكري) كما يقول مؤرخو الشيعة الاثني عشرية مثل: النوبختي، والأشعري القمي، والطوسي، والصدوق، والمفيد، والسيد المرتضى، وغيرهم وغيرهم، فضلاً عن بقية المسلمين، فهل كانت القضية على درجة كبيرة من الوضوح بحيث يكفر من ينكرها؟ وهل يكفر جميع الشيعة والمسلمين ما عدا الفرقة الاثني عشرية؟»[1].

---

(١) «حوارات أحمد الكاتب مع المراجع والعلماء والمفكرين حول وجود الإمام الثاني عشر»، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، (ص ٢١٠ ـ ٢١٨).

الدليل الثالث التاريخي على وجود (محمد بن الحسن العسكري)[1]:

إن الدليل التاريخي يعترف بحقيقة أن الظاهر من حياة الإمام الحسن العسكري وسيرته ينفي أن يكون له ولد، لكنه مع هذا يقول متذرعاً: إن الظروف السياسية لم تكن لتسمح للحسن العسكري بإعلان وجود ولد له، وإن الخوف على هذا الولد من السلطات العباسية ـ التي كانت تعلم من قبل أنه الإمام المهدي الذي سوف يزلزل عرشها ـ هو الذي أجبر الإمام على إخفاء أمر ولادة ابنه (المهدي المنتظر).

ثم يذهب هذا «الدليل التاريخي» ليذكر تفاصيل ولادة (محمد بن الحسن العسكري) والظروف التي أحاطت بها، وقصص الذين شاهدوه والتقوه في مختلف مراحل حياته أيام أبيه وبعد وفاته.

ـ أم الإمام الغائب المهدي (محمد بن الحسن العسكري):

اختلفت الروايات ـ المختلقة ـ حول اسم أم المهدي (محمد بن الحسن العسكري).

فبينما يقول الشيخ الأقدم بن أبي الثلج البغدادي في كتاب «تاريخ الأئمة»، والمسعودي في كتاب «إثبات الوصية»، والطوسي في كتاب «الغيبة»، والمجلسي في كتاب «بحار الأنوار»: إن اسمها (نرجس)، يقول محمد بن علي الصدوق في كتاب (إكمال الدين): إن اسمها (مليكة)، وهي بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم في ذلك الزمان...[2].

لكن المسعودي يقول: إنها كانت جارية وِلِدَت في بيت بعض أخوات أبي الحسن العسكري علي بن محمد الهادي، وربتها في بيتها، فلما كبرت وعَبِلَتْ[3] دخل أبو

---

(١) انظر: «تطور الفكر السياسي الشيعي»: أحمد الكاتب، ط١، (ص ١٤١ ـ ١٥٦)، «حوارات أحمد الكاتب مع المراجع والعلماء والمفكرين حول وجود الإمام الثاني عشر». «الثورة الإسلامية في ميزان الإسلام»: الشيخ محمد منظور نعماني كبير علماء الهند، ترجمة الدكتور محمد البنداري، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م، دار عمار، عمان، (ص ١٤٠ ـ ١٤٦).

(٢) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٤١٧).

(٣) غلظت وضخمت وابيضت.

محمد (الحسن العسكري) فنظر إليها فأعجبته، وطلب من عمته أن تستأذن أباه في دفعها إليه، ففعلت[1].

ويقول الصدوق في رواية أخرى: إنْ اسم أم المهدي هو (صقيل) وأنها ماتت في حياة الحسن العسكري[2].

وهناك عدة أسماء أخرى يذكرها المجلسي، وهي: (سوسن) و(ريحانة) و(خمط) وينقل عن الشهيد الأول في «الدروس»: أنها حرة وأن اسمها (مريم بنت زيد العلوية)[3].

وقد «ذكر العلامة المجلسي في كتاب «جلاء العيون» وكتاب «حق اليقين» قصة محيرة تثير العجب لوالدة الإمام الثاني عشر (الإمام الغائب)، وهي حكايةُ عِشْقٍ وحب لا مثال لها، وهو يذكرها بالتفصيل عن روايات ابن بابويه والشيخ الطوسي، وذكر أيضاً أنهما ـ وهما من أساطين الشيعة ـ قد نقلوها عن بشر بن سليمان عن الأسانيد المعتبرة ـ عند الشيعة ـ. والرواية التي وردت عن هذه الواقعة في هذين الكتابين رواية طويلة جداً، نذكرها هنا باختصار وتلخيص، والرواية الكاملة يمكن قراءتها في كتاب «حق اليقين» للمجلسي ـ طبع إيران. وفي كتاب «جلاء العيون» الباب الرابع، للمجلسي أيضاً.

وخلاصة الرواية (الخيالية) أن رجلاً يدعى بشر بن سليمان كان يسكن بجوار الإمام الحادي عشر الحسن العسكري في مدينة (سامراء) وكان من خاصة شيعة الإمام الحسن العسكري ووالدهِ الماجد الإمام علي النقي، وكان الرجل يعمل في تجارة الغلمان والجواري..

قال هذا الرجل: إن الإمام علي النقي أعطاه ذات مرة خطاباً باللغة الإفرنجية، وأعطاه مئتين وعشرين أشرفياً، وقال: خذ هذه واذهب إلى بغداد ـ وكانت عاصمة

---

(١) المسعودي: «الوصية» (ص ١٩٥).

(٢) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٤٣١).

(٣) المجلسي: «بحار الأنوار» (٥١ / ٤٣٢).

الدولة الإسلامية آنذاك ـ وهناك على ساحل النهر ستشاهد سفينة فيها جوار للبيع، فانظر فيها جارية داخل حجابها، لا تريد أن يشاهدها أحد، سيرغب أحد العرب في شرائها بثلاث مئة أشرفي، إلا أن هذه الجارية سترفض الذهاب معه بأي حال من الأحوال، حينئذ اطلب من مالك الجارية أن يحمل هذا الخطاب إلى الجارية، وطبقاً لقول بشر:

فذهبت إلى بغداد كما أمرني الإمام علي النقي، وحدث كل ما أخبرني به الإمام، وفي النهاية وصل خطاب الإمام إلى الجارية، فشاهدت الخطاب، وقالت للمالك: بِعْني إلى صاحب هذا الخطاب وإلا انتحرتُ، فأخذ المالك المئتي أشرفي راضياً، وسلمني الجارية، فأخبرتني الجارية أنها حفيدة ملك الروم، واسمها (مليكة)، وأن والدتها من أولاد وصي عيسى عليه السلام سمعون، وهذه قصتي:

حين بلغت من العمر ثلاث عشرة سنة، أراد جدي أن يزوجني من أحد أولاد عمي، وعقد حفلاً بهيجاً بتلك المناسبة في اليوم المحدد، ووضع الصليب على العرش، وجلس العريس على العرشِ، وحمل القساوسة الإنجيل في أيديهم، وبدؤوا في إتمام مراسم الزواج طبقاً لما هو متبع، وفجأة سقط الصليب وتحطم العرش، وسقط ابن عمي الذي كان يعقدُ عليَّ من فوق العرش فاقد الوعي. وبعد هذه الحادثة المشؤومة أراد جدي أن يعقد قراني على أحد أولاد عمي الآخرين، وعقد حفلاً بهيجاً بتلك المناسبة، إلا أنه وفي نفس الوقت المحدد لعقد القران حدث ما حدث قبلاً، وتألم جدي كثيراً، وفي تلك الليلة رأيت مناماً: رأيت المسيح ووصيه سمعون وجماعة من الحواريين يأتون إلى القصر، ويضعون منبراً من النور، وبعدها جاء محمد ﷺ ووصيه علي ومعه بقية الأئمة، وصعد المنبر النوراني، وقال محمد للمسيح: جئت لأطلب مليكة بنت وصيك سمعون ـ أي من أولاده ـ لابني هذا، وقال هذا مشيراً إلى الإمام الحسن العسكري الذي كان معه آنذاك وموجود أمامه».

وقد حكت مليكة هذه القصة بأكملها لبشر بن سليمان، فقال لها: لقد كان هو الإمام العسكري الذي أعطيتك خطاب والده.

واستمرت مليكة تحكي لبشر بقية حكايتها، فقالت:

«وافق المسيح ووصيه سمعون على العرض بسعادة، وعقد محمد ﷺ عقد الزواج، ووهبني المسيح زوجة للإمام الحسن العسكري».

وقالت مليكة بعد أن روت لبشر بن سليمان بأنها لم تذكر هذا الحلم لأحد، ولكن في الوقت الذي تمكن فيه عشق الحسن العسكري من قلبي لم أجد راحة ولا دَعَةً، ولم أعد أشعر برغبة في تناول طعام أو شراب، وافتضح أمر عشقي، وبدت آثاره على وجهي، بعدها شاهدت في يوم مناماً جاءتني فيه مريم ومعها فاطمة الزهراء والآلاف من حور الجنة، وقالت لي مريم: هذه السيدة هي فاطمة الزهراء، سيدة النساء، أم زوجك، ولم أكد أسمع هذا حتى قبضت على تلابيبها، وأخذت أبكي، وقلت لها: هل يمكن أن أرى وجه ابنك الحسن العسكري، فقالت: كيف يمكن هذا؟ أنت مسيحية مشركة، وسمعت هذا، فنطقت بكلمة الشهادة، ودخلت في الإسلام، وحين استيقظت من هذا المنام كانت كلمة الشهادة لا تزال على لساني.

وتستمر مليكة تحكي قصتها: وبعدها أخذت أنتظر زوجي الإمام الحسن أن يأتيني في المنام، فلم يأت ليسقيني حلاوة الوصال، وهكذا فكرت في الانضمام إلى جنود من بلادنا كانوا ذاهبين لقتال المسلمين، وحين هزمَ جيشُ المسلمين جيشَ الروم قُبِضَ عليّ مع بقية النساء، وهكذا حتى وصلت إليك وتحقق مرامي.

هذا هو ملخص القصة كما ذكرها العلامة باقر مجلسي في كتابه «جلاء العيون» و«حق اليقين».

وعلى كل حال فطبقاً لرواية العلامة مجلسي، فإن حفيدة ملك الروم «مليكة» التي هي «نرجس» في بعض الروايات، دخلت حرم الإمام المعصوم الحسن العسكري الإمام الحادي عشر للشيعة بصفتها جارية تم شراؤها... وطبقاً لروايات الشيعة خرج من بطنها الإمام الثاني عشر في سنة ٢٥٥هـ أو سنة ٢٥٦هـ. وظلت ولادته مخفية غير ظاهرة، وظل المولود مختفياً عن الأنظار. وكما ذكر فإنه غاب بطريقة معجزة بعد وفاة الإمام الحسن العسكري بعشرة أيام، وعمره أربع أو خمس سنوات، ويطلق على هذا الإمام بالمصطلح الشيعي الخاص: الحجة، والقائم، والمنتظر، وصاحب

الزمان»[1].

ـ تاريخ ولادة (محمد بن الحسن العسكري):

اختلفت الروايات حول تاريخ مولد (الحسن العسكري) كما اختلفت حول مَنْ هي أمه.

فقد أخذ قوم من الشيعة الأوائل بدعوى الجارية (نرجس) بالحمل، بعد وفاة الإمام الحسن العسكري، وقالوا: إنها ولدت (المهدي) بعد ذلك بثمانية أشهر[2].

ويقول الشيخ المفيد في «رسالة مولد الأئمة» (ص ٦): إنه ولد في الثامن من شهر ذي القعدة سنة ٢٥٧ أو ٢٥٨هـ، ويقول: إنه كان له عند وفاة أبيه سنتان وأربعة أشهر. كما يقول في كتابه «الفصول المختارة»: إنه ولد في النصف من شعبان سنة ٢٥٥هـ[3].

ويقول في رواية أخرى: إنه ولد سنة ٢٥٢هـ، وكان سنه عند وفاة أبيه ثماني سنوات[4].

لكن الشيخ الصدوق يقول في كتاب «إكمال الدين»: إن مولده كان في ٨ شعبان سنة ٢٥٦هـ[5].

أما الشيخ الطوسي فيقول في كتاب «الغيبة»: إنه ولد في النصف من رمضان[6]. دون أن يحدد السنة.

---

(١) نقلاً عن كتاب «الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام»: للشيخ محمد منظور نعماني ـ كبير علماء الهند، ترجمة الدكتور محمد البنداري، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م، دار عمار، عمان، (ص ١٤٣ ـ ١٤٥).

(٢) النوبختي: «فرق الشيعة» (ص ١٠٣). الأشعري القمي: «المقالات والفرق» (ص ١١٤).

(٣) المفيد: «الفصول المختارة» (ص ٢٥٨).

(٤) المصدر السابق.

(٥) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٤٣٢).

(٦) الطوسي: «الغيبة» (ص ١٤٣).

ويتفق الشيخ الطوسي في رواية أخرى مع الشيخ المفيد: في أنه ولد في النصف من شعبان سنة ٢٥٥هـ[١].

ومن الطبيعي أن تختلف هذه الروايات في تحديد تاريخ مولد شخص تقول: إنه ولد بصورة سرية، وظل أمره مخفياً. . .

ـ كيف ولد (محمد بن الحسن العسكري):

يعتمد الصدوق والطوسي والمسعودي والخصيبي ـ الذين يروون قصة ولادة الإمام (المهدي) ـ على رواية واحدة ينسبونها إلى حكيمة أو (خديجة) عمة الإمام الحسن العسكري. حيث تقول في هذه الرواية:

«بعث إليّ أبو محمد الحسن بن علي، فقال: يا عمة اجعلي إفطارك هذه الليلة عندنا، فإنها ليلة النصف من شعبان، فإن الله تبارك وتعالى سيظهر هذه الليلة الحجة، قالت: فقلت له: ومن أمه؟ فقال لي: من نرجس، قلت له: جعلني الله فداك ما بها أثر، فقال: هو ما أقولُ لك. قالت فجئت. . . فلما سلمت وجلست جاءت تنزع خفي، وقالت لي: يا سيدتي وسيدة أهلي كيف أمسيتِ؟ فقلت لها: بل أنت سيدتي وسيدة أهلي، قالت: فأنكرت قولي، وقالت: ما هذا يا عمة؟! فقلت لها: يا بنية إن الله تعالى سيهب لك في ليلتك هذه غلاماً سيداً في الدنيا والآخرة.

قالت: فخجلت واستحيت، فلما أن فرغت من صلاة العشاء الآخرة أفطرت وأخذت مضجعي فرقدت، فلما كان في جوف الليل قمت إلى الصلاة، ففرغت من صلاتي، وهي نائمة ليس بها حادث، ثم جلستُ معقبة، ثم اضطجعت، ثم انتبهت فزعة، وهي راقدة، ثم قامت فصلت ونامت.

قالت حكيمة: وخرجت أتفقد الفجر، فإذا أنا بالفجر الأول كذنب السرحان، وهي نائمة، فدخلني الشك، فصاح أبو محمد عليه السلام من المجلس، فقال: لا تَعْجَلي يا عمة فهاك الأمرُ قد قَرُبَ.

---

(١) الطوسي: «الغيبة» (ص ١٤١).

قالت: فبينما أنا كذلك إذ انتبهت فزعة، فوثبت إليها، فقلت: اسم الله عليك، ثم قلت لها: أتحسين شيئاً؟ قالت: نعم يا عمة، فقلت لها: اجمعي نفسك واجمعي قلبك فهو ما قلتُ لكِ.

قلت: فأخذتني فترة فانتبهت بحس سيدي فكشفت الثوب عنه، فإذا أنا به ساجداً يتلقى الأرض بمساجده، فضممته إليّ فإذا أنا به نظيف متنظف، فصاح بي أبو محمد هلمي إليّ ابني يا عمة، فجئت به إليه فوضع يديه تحت إليتيه وظهره ووضع قدميه على صدره، ثم أدلى لسانه في فيه، وأَمرَّ يده على عينيه وسمعه ومفاصله، ثم قال: تكلم يا بني، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً رسول الله، ثم صلى على أمير المؤمنين، وعلى الأئمة إلى أن وقف على أبيه ثم أحجم.

ثم قال أبو محمد (أي الحسن العسكري): يا عمة اذهبي به إلى أمه ليسلم عليها وائْتِيني به، فذهبتُ به فسلَّمَ عليها، ورددته فوضعته في المجلس، ثم قال: يا عمة إذا كان يوم السابع فأتينا.

قالت حكيمة: فلما أصبحت جئت لأسلم على أبي محمد، وكشفت الستر لأتفقد سيدي فلم أره، فقلت: جعلت فداك ما فعل سيدي؟ فقال: يا عمة استودعناه الذي استودعته أم موسى..

قالت حكيمة: فلما كان اليوم السابع جئت فسلمت وجلست، فقال: هلمي إليّ ابني، فجئت بسيدي وهو في الخرقة، ففعل به كفعلته الأولى، ثم أدلى لسانه في فيه كأنه يغذيه لبناً أو عسلاً، ثم قال: تكلم يا بني، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وثنى بالصلاة على محمد وعلى أمير المؤمنين وعلى الأئمة الطاهرين حتى وقف على أبيه، ثم تلا هذه الآية: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص: ٥ ـ ٦]...»[1].

(١) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٤٢٤).

وتقول حكيمة في رواية أخرى يذكرها الصدوق: إن نرجس لم يكن بها أي أثر للحمل، وإنها لم تكن تعرف ذلك، وعندما قالت لها حكيمة: إنها ستلد هذه الليلة استغربت، وقالت: «يا مولاتي ما أرى شيئاً من هذا»[١]. حتى إذا كان آخر الليل وقت طلوع الفجر وَثَبَتْ فَزِعةً، وقالت: «ظهر بي الأمر الذي أخبرك مولاي». وتقول الرواية: إن حكيمة أقبلت تقرأ على نرجس القرآن فأجابها الجنين من بطن أمه، يقرأ مثلما تقرأ وسلم عليها، مما أثار فزعها، ولكن الرواية تقول: إن نرجس غيبت عن حكيمة، فلم ترها، كأنه ضُرِبَ بينها وبين نرجس حجاب، مما أثار استغرابها وصراخها ولجوءها إلى أبي محمد حيث قال لها: ارجعي يا عمة وستجدينها في مكانها.

قالت حكيمة: فرجعت، فلم ألبث أن كشف الغطاء الذي كان بيني وبينها، وإذا أنا بها وعليها من أثر النور ما غشى بصري، وإذا بالصبي ساجداً لوجهه[٢].

وتضيف هذه الرواية موضوعاً آخر هو تخليق عدد من الطيور فوق رأس الوليد، وقول الحسن لطير منها: احمله واحفظه ورُدّه إلينا كل أربعين يوماً، فتناوله الطير وطار به في جو السماء، مما جعل أمه تبكي لفراقه.

قالت حكيمة: فقلت: وما هذا الطير؟ قال: هذا روح القدس الموكل بالأئمة يوفقهم ويسددهم ويربيهم بالعلم، فلما كان بعد أربعين يوماً ردّ الغلام وكان يمشي وكأنه ابن سنتين. مما دفعها للتساؤل بدهشة، فقال لها ابن أخيها الحسن: إن أولاد الأنبياء والأوصياء إذا كانوا أئمة ينشؤون بخلاف ما ينشأ غيرهم، وإن الصبي منا إذا كان أتى عليه شهر كان كمن أتى عليه سنة، وإن الصبي منا ليتكلم في بطن أمه ويقرأ القرآن ويعبد ربه عز وجل، وعند الرضاع تطيعه الملائكة وتنزل عليه صباحاً ومساء.

وتواصل الرواية نقلاً عن حكيمة: أنها لم تزل ترى ذلك الصبي في كل أربعين يوماً إلى أن رأته رجلاً قبل مضي أبي محمد بأيام قلائل فلم تعرفه، وقالت لابن أخيها: من هذا الذي تأمرني أن أجلس بين يديه؟! فقال لها: هذا ابن نرجس، وهذا خليفتي من

---

(١) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٤٢٨).
(٢) المصدر السابق (ص ٤٢٦).

بعدي، وعن قليل تفقدوني فاسمعي له وأطيعي.

قالت حكيمة: فمضى أبو محمد (الحسن العسكري) بعد ذلك بأيام قلائل وافترق الناس كما ترى... ووالله إني لأراه صباحاً مساء، وإنه لينبئني عما تسألون عنه فأخبركم، ووالله إني لأريد أن أسأله عن الشيء فيبدؤني به، وإنه ليردّ عليّ الأمر فيخرج إلي منه جوابه من ساعته من غير مسألتي[1].

ـ رواية الطوسي لقصة ولادة المهدي:

يورد الطوسي في كتابه «الغيبة» قصة ولادة المهدي، لكنه لا يذكر قصة الطيور وروح القدس وأخذ الوليد المهدي، بل يقول: إن حكيمة ودعت أبا محمد وانصرفت إلى منزلها في أعقاب ولادة المهدي، وعندما اشتاقت له بعد ثلاثة أيام رجعت ففتشت عنه في غرفته فلم تجد له أثراً ولا سمعت له ذكراً، فكرهت أن تسأل عنه ودخلت على أبي محمد (الحسن العسكري) فبدأها بالقول: «هو يا عمة في كنف الله أحرزه وستره حتى يأذن الله له، فإذا غيّب الله شخصي وتوفاني ورأيت شيعتي قد اختلفوا، فأخبري الثقات منهم، وليكن عندك مستوراً وعندهم مكتوماً، فإن ولي الله يغيبه الله عن خلقه ويحجبه عن عباده فلا يراه أحد حتى يقدم له جبريل فرسه ليقضي الله أمراً كان مفعولاً»[2].

ويضيف الطوسي في رواية أخرى قول الحسن لعمته: «استودعناه الذي استودعته أم موسى» والطلب منها أن تأتي في اليوم السابع، حيث يعود المهدي فتراه حكيمة[3].

ويقول في رواية ثالثة: إن حكيمة دخلت بعد ثلاثة أيام فرأت المهدي في المهد وعليه ثوب أخضر، وكان نائماً على قفاه غير محزوم ولا مقموط ففتح عينيه وجعل يضحك لها ويناجيها بأصبعه، ثم غاب بعد ذلك[4].

---

(١) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٢٣٠).

(٢) الطوسي: «الغيبة» (ص ١٤١).

(٣) المصدر السابق (ص ١٤٢).

(٤) المصدر السابق (ص ١٤٣).

ويقول في رواية رابعة: إن حكيمة وجدت على ذراع المهدي عند ولادته مكتوباً: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً» كما وجدته مفروغاً منه (أي مختوناً) وإنه وقع بينها وبين المهدي مع أبيه الحسن كالحجاب، فلم ترَ أحداً، فقالت: أين مولاي؟!... فقال لها الحسن: أخذه من هو أحق منك ومنا. وعندما عادت بعد أربعين يوماً وجدت المهدي يمشي في الدار فلم ترَ وجهاً أحسن من وجهه ولا لغة أفصح من لغته، وعندما تعجبت من ذلك وقالت: «أرى من أمره ما أرى وله أربعون يوماً» تبسم أبو محمد وقال: «يا عمتي أما علمت أنا معاشر الأئمة ننشأ في اليوم كما ينشأ غيرنا في السنة؟» فقامت وانصرفت ولم تره بعد ذلك[1].

ويروي الطوسي عن خادمتين للإمام الحسن العسكري (نسيم ومارية) أنهما قالتا: «لما خرج صاحب الزمان من بطن أمه سقط جاثياً على ركبتيه رافعاً سبابته نحو السماء، ثم عطس فقال: الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله داخراً لله غير مستنكف ولا مستكبر، ثم قال: زعمت الظلمة أن حجة الله داحضة، ولو أذن لنا في الكلام لزال الشك[2].

ويضيف المسعودي والخصيبي جانباً آخر إلى قصة ولادة المهدي: فيقولان: إن المهدي ولد من فَخِذِ أمه، وينقلون عن الإمام العسكري قوله لعمته حكيمة: «إن الأئمة لا يُحملون في البطون وإنما يُحملون في الجنوب»[3].

ويتفق المسعودي مع الصدوق والطوسي في أن حكيمة (عمة الحسن العسكري) نامت في تلك اللحظات وهي قاعدة، ووقع عليها سبات لم تتمالك نفسها منه، ولم تحس إلا على صوت الوليد تحت نرجس وصوت أبيه (الحسن العسكري) يناديها: «يا عمتي هاتي ابني» ويقول: إن المهدي اختفى في ذلك اليوم وعاد بعد أسبوع فرأته حكيمة مرة أخرى، ثم اختفى، ولم تره حتى أربعين يوماً، حيث شاهدته يمشي[4].

---

(١) المصدر السابق (ص ١٤٥).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المسعودي: «إثبات الوصية» (ص ١٩٦). الخصيبي: «الهداية الكبرى».

(٤) المسعودي: «إثبات الوصية» (ص ١٩٧).

ويختلف المسعودي مع الصدوق الذي ذكر في روايته: أن الإمام ينشأ في الشهر كما ينشأ غيره في السنة.

ويختلف المسعودي أيضاً مع الطوسي الذي ذكر: أن الإمام ينشأ في اليوم كما ينشأ غيره في السنة.

فيقلل المسعودي النسبة عما ذكره الصدوق والطوسي، وينقل عن الحسن العسكري قوله لعمته حكيمة: «أوَ ما علمتِ أنا معاشر الأوصياء ننشأ في اليوم مثل ما ينشأ غيرنا في الجمعة؟ وننشأ في الجمعة مثل ما ينشأ غيرنا في الشهر، وننشأ في الشهر مثل ما ينشأ غيرنا في السنة؟»[1].

ويروي المسعودي أخيراً عن أبي محمد الحسن العسكري، أنه قال: «لما ولد الصاحب بعث الله عز وجل ملكين فحملاه إلى سرادق العرش، حتى وقف بين يدي الله، فقال له: مرحباً بك... بكَ أُعطي وبك أعفو وبك أُعذِّبُ»[2].

سرية ولادة (محمد بن الحسن العسكري):

مع أن رواية حكيمة السابقة تقول: إن أمر ولادة (محمد بن الحسن العسكري) ظل سرياً مكتوماً عن الجميع، وأن الإمام الحسن العسكري طلب من عمته حكيمة إذا رأت اختلاف الشيعة بعد وفاته أن تخبر الخواص فقط.

إلا أن الصدوق يذكر في كتاب «إكمال الدين»: أن الإمام الحسن العسكري أخبر كبير الشيعة في قم «أحمد بن إسحاق» وأنه كتب له «ولد لنا مولود فليكن عندك مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً، فإنا لم نُظْهِرْ عليه إلا الأقرب لقرابته والمولى لولايته، أَحببنا إعلامكَ ليسرك الله به مثل ما سرنا به، والسلام»[3].

وفي رواية أخرى يقول الصدوق: إن أحمد بن إسحٰق دخل على الإمام الحسن

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٤٣٤).

العسكري يوماً فسأله عن الإمام والخليفة بعده، فنهض مسرعاً، فدخل البيت ثم خرج وعلى عاتقه غلام من أبناء الثلاث سنين، وقال له: «يا أحمد لولا كرامتك على الله عز وجل وعلى حججه ما عرضتُ عليك ابني هذا»[1].

ويقول الفضل بن شاذان في «كشف الحق»: إن الحسن قال: «ولد وليُّ الله وحجته على عباده وخليفتي من بعدي ليلة النصف من شعبان، وكان أول من غَسَّله رضوان خازن الجنة ثم غسلته حكيمة».

ويقول الصدوق: إن من الذين علموا بخبر الولادة أبو الفضل الحسن بن الحسين العلوي الذي يقول: إنه دخل على أبي محمد العسكري (بسر من رأى) وهنأه بولادة ابنه. وكان منهم أيضاً: (أبو هارون) الذي يقول: إنه رأى صاحب الزمان وإنه كشف عنه الثوب فوجده مختوناً[2].

ويؤكد هذين الخبرين في كتاب «الغيبة»[3].

ويقول الشيخ المفيد: إن الحسن العسكري كان يعرضه على أشخاص بمفردهم حين يزورونه، كعمر الأهوازي[4].

وفي رواية أخرى للصدوق: إن الإمام الحسن العسكري أرسل أموالاً إلى بعض الشيعة وأمرهم أن يَعقُّوا عن ابنه[5].

- رؤية المهدي (محمد بن الحسن العسكري) في حياة أبيه:

إن المؤرخين الشيعة ينقلون قصصاً كثيرة عن مشاهدة الإمام الثاني عشر (محمد ابن الحسن العسكري) في حياة أبيه وعند وفاته. حيث ينقل الكليني والصدوق،

---

(١) المصدر السابق (٣٨٤).
(٢) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٤٣٥).
(٣) الطوسي: «الغيبة» (ص ١٥١).
(٤) الشيخ المفيد: «الفصول المختارة» (ص ٣٩٢).
(٥) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٤٣٢).

والطوسي عن رجل من أهل فارس كان يخدم في بيت الإمام العسكري: أنه شاهد يوماً جارية تحمل غلاماً أبيض، وقول الإمام له: «هذا صاحبكم» وعدم رؤيته بعد ذلك[1].

وينقل الصدوق والطوسي عن مجموعة من أصحاب الإمام الحسن العسكري فيهم عثمان بن سعيد العمري: أنه عرض عليهم ابنه وقال لهم: «هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم... أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي في أديانكم فتهلكوا، أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا» قالوا: فخرجنا من عنده فما مضت إلا أيام قلائل حتى مضى أبو محمد (أي الحسن العسكري)[2].

وينقل الصدوق في «إكمال الدين» قصصاً عن رجل اسمه (يعقوب بن منقوش): أنه دخل على الإمام الحسن العسكري يوماً فسأله: من صاحب هذا الأمر؟ فكشف له الإمام ستراً عن بيت، فخرج غلام خماسي (أي ابن الخامسة من عمره) وجلس على فخذ أبي محمد (الحسن العسكري) فقال ليعقوب: «هذا صاحبكم» ثم قال للغلام: «يا بني ادخل إلى الوقت المعلوم»، فدخل البيت واختفى فيه.

وينقل أيضاً عن (نسيم) خادمة الإمام الحسن العسكري: أنها دخلت على صاحب هذا الأمر بعد مولده بليلة، فعطست عنده، فقال لها: «يرحمك الله».

وينقل عن خادم آخر هو (طريف أبو نصر): أنه دخل على صاحب الزمان، فطلب منه أن يأتيه بصندل أحمر، ثم قال له: «أنا خاتم الأوصياء وبي يدفع الله البلاء عن أهلي وشيعتي».

وينقل عن رجل سوري اسمه (عبدالله): أنه ذهب إلى بستان بني عامر فرأى فتى جالساً على مصلى واضعاً كمه في فيه، فقال: من هذا؟ فقيل له: (م ح م د) ابن الحسن[3].

---

(١) «الكافي» للكليني (١ / ٣٢٩). الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٤٣٥). الطوسي: «الغيبة» (ص ١٤٠).

(٢) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٤٣٥). الطوسي: «الغيبة» (ص ٢١٧).

(٣) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٤٣٦).

وينقل الصدوق أيضاً رواية مطولة جداً عن سعد بن عبدالله القمي: أنه دخل مع أحمد بن إسحاق على الإمام العسكري، فرأى غلاماً على فخذه وبين يدية رمانة ذهبية يلعب بها، وبيد الإمام الحسن قلم إذا أراد أن يكتب شيئاً قبض الغلام على يده فيدحرج الرمانة بين يديه، ويشغله بردها كي يصده عن كتابة ما أراد، وكان مع أحمد بن إسحاق جراب فيه هدايا الشيعة والموالي فوضعه بين يدي الإمام العسكري، فقال للغلام: فض الخاتم، فرفض وقال: «أيجوز أن أمد يداً طاهرة إلى هدايا نجسة وأموال رجسة قد شِيْبَ حلالُها بحرامها؟!» فأخرجها أحمد بن إسحاق ليميز بينها، فأخذ الغلام يحكي قصة الأموال والهدايا واحدة فواحدة. . .[1].

وفي رواية أخرى ينقلها الصدوق عن أحمد بن إسحاق يقول فيها: إنه سأل الإمام عن الخليفة بعده وأنه جاء بابنه وعرضه عليه، ولكنه لم يطمئن فسأل: «يا مولاي هل من علامة يطمئن إليها قلبي؟» فنطق الغلام بلسان عربي فصيح فقال: «أنا بقية الله في أرضه والمنتقم من أعدائه، فلا تطلب أثراً بعد عين». فقال الإمام العسكري: «هذا سِرٌّ من سر الله فَخُذْ ما آتيتكَ واكتمه وكن من الشاكرين»[2].

ويروي الطوسي في كتاب «الغيبة»: عن كامل بن إبراهيم المدني: أنه ذهب إلى الإمام الحسن العسكري ليسأله عن بعض المسائل، وبينما هو جالس في الدار، وإذا بالريح تكشف ستراً مُرْخى على باب، وإذا هو بفتى كأنه فلقة قمر، فقال له: يا كامل بن إبراهيم جئت إلى ولي الله وحجته وبابه تسأله كذا وكذا، فقال: إي والله. ثم رجع الستر إلى حالته، فلم يستطع كشفه، ولم يعاينه بعد ذلك[3].

وينقل الطوسي أيضاً عن إسماعيل بن علي النوبختي: أنه دخل على الإمام العسكري قبيل وفاته بساعة، وأنه طلب من خادمه (عقيد) أن يدخل البيت ويأتيه بصبي فيه، فقال له أبو محمد الحسن العسكري: «أبشر يا بني فأنت صاحب الزمان وأنت

---

(١) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٤٥٤ ـ ٤٥٦).

(٢) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٣٨٤).

(٣) الطوسي: «الغيبة» (ص ١٤٨ ـ ١٤٩).

المهدي وأنت حجة الله على أرضه، وأنت ولدي ووصيي وأنا ولدتك، وأنت محمد بن الحسن... وأنت خاتم الأئمة الطاهرين، وبَشَّرَ بك رسول الله وكَنَّاكَ بذلك عهد إلي أبي عن آبائك الطاهرين[1].

ـ رؤية المهدي (محمد بن الحسن العسكري) عند وفاة أبيه:

ينفرد محمد بن علي الصدوق من بين المؤرخين القدامى بذكر قصص أخرى كقصة (أبي الأديان البصري) الذي يقول:

كنت أخدم الحسن بن علي وأحمل كتبه إلى الأمصار، فدخلت عليه في علته التي توفي فيها فكتب معي كتباً، وقال: امضِ بها إلى المدائن فإنك ستغيب خمسة عشر يوماً، وتدخل إلى (سر من رأى) يوم الخامس عشر، وتسمع الواعية في داري وتجدني على المغتسل.

فقلت: يا سيدي إذا كان ذلك فمن؟

قال: مَنْ طالبكَ بجوابِ كتبي فهو القائم بعدي.

فقلت: زدني.

فقال: من أخبر بما في الهميان فهو القائم بعدي.

وخرجت بالكتب إلى المدائن وأخذت جواباتها ودخلت (سر من رأى) يوم الخامس عشر، كما ذكر لي، فإذا أنا بالواعية في داره وإذا به على المغتسل، وإذا أنا بجعفر بن علي أخيه بباب الدار والشيعة من حوله يعزونه ويهنئونه، فقلت في نفسي: إن يكن هذا الإمام فقد بطلت الإمامة، لأني كنت أعرفه يشرب النبيذ ويقامر في الجوسق، ويلعب بالطنبور، فتقدمت فعزيت وهنيت، فلم يسألني عن شيء، ثم خرج عقيد فقال: يا سيدي قد كُفِّنَ أخوك فقم وصَلِّ عليه، فدخل جعفر بن علي والشيعة من حوله يقدمهم السمان (عثمان بن سعيد العمري) فلما صرنا بالدار إذا نحن بالحسن على نعشه مكفناً،

---

(١) المصدر السابق (ص ١٦٥).

فتقدم جعفر بن علي ليصلي على أخيه، فلما هَمَّ بالتكبير خرج صبيٌّ بوجهه سمرة بشعره قطط بأسنانه تفليج، فجذب برداء جعفر، وقال: تأخر يا عم فأنا أحق بالصلاة على أبي، فتأخر جعفر، وقد اربدّ وجهه واصفرّ... فتقدم الصبي وصلى عليه ودفن إلى جانب قبر أبيه، ثم قال: يا بصريُّ هاتِ جوابات الكتب التي معك، فدفعتها إليه، فقلت في نفسي: هذه بيّنتانِ، بقي الهميان، ثم خرجت إلى جعفر وهو يزفر، فقال له حاجز الوشاء: يا سيدي من الصبي لنقيم عليه الحجة؟ فقال: والله ما رأيته قط ولا أعرفه. فنحن جلوس إذ قدم نفر من قم، فسألوا عن الحسن بن علي فعرفوا موته فقالوا: فمن نُعزِّي؟ فأشار الناس إلى جعفر بن علي، فسلموا عليه وعزوه وهنوه، وقالوا: إن معنا كتباً وأموالاً فتقول: ممن الكتب؟ فقام ينفض أثوابه، ويقول: تريدون منا أن نعلم الغيب؟!

قال: فخرج الخادم فقال: معكم كتب فلان وفلان وفلان، وهميان فيه ألف دينار وعشرة دنانير منها مَطْلية، فدفعوا إليه الكتب والمال، وقالوا: الذي وَجَّه بك لأخذ ذلك هو الإمام»[1].

وينقل الصدوق هذه القصة برواية أخرى عن سنان الموصلي: أنه لما قبض الإمام العسكري وفد من قم والجبال وفود بالأموال ولم يكن لديهم خبر وفاة الحسن، فسألوا عن وارثه فقيل لهم: إنه أخوه جعفر، وقد ذهب يتنزه في دجلة مع المغنين، فأرادوا أن يرجعوا، ولكن أبا العباس محمد بن جعفر الحميري القمي قال لهم: قفوا بنا حتى ينصرف هذا الرجل ونختبر أمره بالصحة، وأنهم طالبوه بالتحدث غيبياً عن تفاصيل الأموال وأصحابها، فأنكر علم الغيب...

ولما أن خرجوا من البلد خرج إليهم غلام فنادى: يا فلان ويا فلان بن فلان أجيبوا مولاكم، قالوا: فسرنا معه حتى دخلنا دار مولانا الحسن بن علي، فإذا ولده القائم سيدنا قاعد على سريره كأنه فلقة قمر عليه ثياب خضر، فسلمنا فرد السلام ثم قال: جملة المال كذا وكذا... حمل فلان كذا وحمل فلان كذا.

---

(١) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٤٧٥ ـ ٤٧٦).

ولم يزل يصف حتى وصف الجميع . . . ثم وصف رحالنا وثيابنا وما كان معنا من الدواب فخررنا سُجَّداً لله عز وجل شكراً لما عرفنا وقبلنا الأرض بين يديه، وسألناه عما أردنا فأجاب، فحملنا إليه الأموال، وأمرنا أن لا نحمل إلى سر من رأى بعدها شيئاً من المال، فإنه ينصبُ لنا ببغداد رجلاً يحمل إليه الأموال ويخرج من عنده التوقيعات[(١)].

ـ محاولة القبض على المهدي:

ينقل عدد من المؤلفين رواية تاريخية عن شرطي اسمه (رشيق) يتحدث عن محاولة الخليفة المعتضد العباسي للقبض على (المهدي) حيث أرسل ثلاثة من الشرطة إلى بيت الإمام الحسن العسكري في سامراء، ورأوا في البيت بحراً من الماء ورجلاً على حصير على الماء قائماً يصلي، وغرقوا عند محاولتهم التقدم نحوه، ثم اعتذارهم وتراجعهم[(٢)].

وينقل المجلسي والصدر قصة أخرى مشابهة، وهي: تجريدُ المعتضد لحملةٍ أكبر وكَبْس البيت وسماع العسكر لصوت قراءة من السرداب، واجتماعهم عند مدخله لإلقاء القبض على صاحب الصوت، وخروجه من بين أيديهم[(٣)].

ـ شهادة نواب (محمد بن الحسن العسكري) الأربعة:

إن من أهم الأدلة التاريخية على ولادة ووجود (الإمام محمد بن الحسن العسكري) دليل شهادة(النواب الأربعة) الخاصين الذين ادعوا (النيابة) عنه، في فترة (الغيبة الصغرى) من سنة ٢٦٠ إلى سنة ٣٢٩هـ. حيث كان هؤلاء النواب يدعون مشاهدته واللقاء به وإيصال الأموال إليه، ونقل الرسائل، و(التواقيع) منه إلى المؤمنين به.

---

(١) المصدر السابق (ص ٤٧٦ ـ ٤٧٩).

(٢) الطوسي: «الغيبة» (ص ١٤٩). الراوندي: «الخرايج والجرايح» (ص ٦٧). المجلسي: «بحار الأنوار» (١٣ / ١١٨). الصدر: «الغيبة الصغرى» (ص ٥٧٧).

(٣) الصدر: «الغيبة الصغرى» (ص ٥٦٠). المجلسي: «بحار الأنوار» (١٣ / ١١٨).

وكان الجيل الأول من (النواب) أو (السفراء) أو (الوكلاء) ـ كما يسميهم الشيعة الاثني عشرية ـ رجال من أصحاب الإمامين علي بن محمد الهادي والحسن بن علي العسكري، وكان على رأسهم عثمان بن سعيد العمري، الذي كان وكيلاً للإمامين في قبض الأموال من الشيعة وإيصالها إليهما في حياتهما، والذي يصفه الشيخ الطوسي بأنه: «الشيخ الموثوق به ومن السفراء الممدوحين للأئمة»[١].

ويقال: إنه كان محل ثقة الإمامين العسكريين، ولم يكن وكيلاً لهما في جمع الأموال فقط، وإنما كان يقوم بأدوار أكبر في إيصال رسائل الإمامين إلى الشيعة، وكان يحتل مرتبة عظيمة عندهما. وينقل الشيخ الطوسي في كتاب «الغيبة» رواية عن أحمد بن إسحاق القمي، قال: دخلت على أبي الحسن، علي بن محمد في يوم من الأيام، فقلت: يا سيدي أنا أغيب وأشهد، ولا يتهيأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت، فقول مَنْ نقبل، وأمر من نمتثل؟ فقال لي: «هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ما قاله لكم فعني يقوله، وما أداه إليكم فعني يؤديه»، فلما مضى أبو الحسن (أي مات) وصلت إلى أبي محمد الحسن العسكري ذات يوم، فقلت له مثل قولي لأبيه، فقال لي: «هذا أبو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات، فما قاله لكم فعني يقوله، وما أدى إليكم فعني يؤديه»[٢].

وينقل الطوسي أيضاً عن أحمد بن علي بن نوح أبي العباس السيرافي، قال: أخبرنا أبو نصر عبدالله بن محمد بن أحمد المعروف بابن برنية الكاتب، قال: حدثني بعض الأشراف من الشيعة الإمامية أصحاب الحديث، قال: حدثني أبو محمد العباس ابن أحمد الصائغ، قال: حدثني الحسين بن أحمد الخصيبي، قال: حدثني محمد بن إسماعيل وعلي بن عبدالله الحسنيان، قالا: دخلنا على أبي محمد الحسن (العسكري) بسر من رأى، وبين يديه جماعة من أوليائه وشيعته حتى دخل عليه بدر خادمه، فقال: يا مولاي بالباب قوم شُعْثٌ غُبْر، فقال لهم: هؤلاء نفر من شيعتنا باليمن (في حديث

---

(١) الطوسي: «الغيبة» (ص ٢٠٩ ـ ٢١٤).

(٢) الطوسي: «الغيبة» (ص ٢١٥).

طويل يسوقه) إلى أن ينتهي إلى قول الحسن لبدر: فامض ائتنا بعثمان بن سعيد العمري، فما لبثنا إلا يسيراً حتى دخل عثمان، فقال له سيدنا أبو محمد: «امض يا عثمان فإنك الوكيل والثقة المأمون على مال الله، واقبض من هؤلاء النفر اليمنيين ما حملوه من المال (ثم ساق الحديث إلى أن قال): ثم قلنا بأجمعنا: يا سيدنا والله إن عثمان لمن خيار شيعتك، ولقد زدتنا علماً بموضعه من خدمتك وإنه وكيلك وثقتك على مال الله، قال: «نعم، واشهدوا على أن عثمان بن سعيد العمري وكيلي، وأن ابنه محمد وكيل ابني مهديكم»[1].

ويروي الطوسي عن أبي محمد هارون بن موسى قال: وقال جعفر بن محمد بن مالك الفزاري عن جماعة من الشيعة منهم علي بن بلال وأحمد بن هلال ومحمد بن معاوية بن حكيم والحسن بن أيوب بن نوح (في خبر طويل مشهور) قالوا جميعاً: اجتمعنا إلى أبي محمد الحسن بن علي (العسكري) نسأله عن الحجة من بعده، وفي مجلسه أربعون رجلاً، فقام إليه عثمان بن سعيد العمري، فقال له: يا ابن رسول الله أريد أن أسألك عن أمر أنت أعلم به مني، فقال له: اجلس يا عثمان، فقام مغضباً ليخرج، فقال: لا يخرجن أحد، فلم يخرج منا أحد إلى أن كان بعد ساعة، فصاح بعثمان، فقام على قدميه، فقال: أخبركم بما جئتم؟ جئتم تسألوني عن الحجة من بعدي، قالوا: نعم، فإذا غلام كأنه قطع قمر أشبه الناس بأبي محمد (الحسن العسكري)، فقال: «هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم، اقبلوا من عثمان ما يقوله وانتهوا إلى أمره، واقبلوا قوله فهو خليفة إمامكم، والأمر إليه»[2].

ويقول الطوسي ـ نقلاً عن حفيد العمري، هبة الله ـ: إن الحسن بن علي لما مات حضر غسله عثمان بن سعيد وتولى جميع أمره في تكفينه وتحنيطه وتقبيره مأموراً بذلك للظاهر من الحال... وكانت توقيعات صاحب الأمر تخرج على يدي عثمان بن سعيد وابنه أبي جعفر، إلى شيعته وخواص أبيه بالأمر والنهي، والأجوبة عما يسأل الشيعة عنه

---

(١) المصدر السابق (ص ٢١٥ ـ ٢١٦).
(٢) المصدر السابق (ص ٢١٧).

إذا احتاجت إلى السؤال فيه، بالخط الذي كان يخرج في حياة الحسن، فلم تزل الشيعة مقيمة على عدالتهما إلى أن توفي عثمان بن سعيد[1].

وبهذا أصبح العمري (نائباً خاصاً) عن (الإمام المهدي) بعد أن ادعى وجوده وولادته والنيابة له، وقد سأله أحمد بن إسحاق، فقال له: أنت الآن ممن لا يُشَكُّ في قوله وصدقه، فأسألك بحق الله وبحق الإمامين اللذين وثقاك، هل رأيت ابن أبي محمد الذي هو صاحب الزمان؟ فبكى ثم قال: على أن لا تخبر بذلك أحداً وأنا حي، قال: نعم، قال: قد رأيته، وعنقه هكذا (يريد أنها أغلظ الرقاب حسناً وتماماً) قال: فالاسم؟ قال: نهيتم عن هذا[2].

وقد توفي عثمان بن سعيد العمري بعد وفاة الإمام الحسن العسكري بسنتين وخلف ابنه محمداً (سفيراً) بين الإمام المهدي والشيعة.

وينقل الكليني والطوسي (تواقيع) واردة من الإمام بتوثيقه وتزكيته وتنصيبه في منصب (النائب الخاص)[3].

ويقول عبدالله بن جعفر الحميري القمي - زعيم الشيعة في قم -: إن المهدي قد أرسل إلى العمري الابن (توقيعاً) جاء فيه: «إنا لله وإنا إليه راجعون، تسليماً لأمره ورضاء بقضائه، عاش أبوك سعيداً ومات حميداً، فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه، فلم يزل مجتهداً في أمرهم ساعياً فيما يقربه إلى الله عز وجل، نضّر الله وجهه وأقال عثرته. . .

وكان من كمال سعادته أن رزقه الله تعالى ولداً مثلك يخلفه من بعده، ويقوم مقامه بأمره ويترحم عليه، وأقول: الحمد لله، فإن الأنفس طيبة بمكانك وما جعله الله عز وجل فيك وعندك، أعانك الله وقواك وعضدك ووفقك، وكان لك ولياً وحافظاً

---

(١) المصدر السابق (ص ٢١٦).

(٢) المصدر السابق (ص ٢١٥).

(٣) المصدر السابق (ص ٢١٨).

وراعياً وكافياً»[١].

وقال الحميري: لما مضى أبو عمر (عثمان بن سعيد) أتتنا الكتب بالخط الذي كنا نُكَاتَبُ به بإقامة أبي جعفر مقامه[٢].

وقال محمد بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي: إنه خرج إليه بعد وفاة أبي عمر «والابن وقاه الله لم يزل ثقتنا في حياة الأب رضي الله عنه وأرضاه ونضّر وجهه، يجري عندنا مجراه، ويسد مسده، وعن أمرنا يأمر الابن وبه يعمل، تولاه الله، فانتهِ إلى قوله وعرّف معاملتنا ذلك»[٣].

وروى الطوسي عن إسحاق بن يعقوب، قال: سألت محمد بن عثمان العمري أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه مسائل أَشكلت عليَّ فوقَّع (التوقيع) بخط مولانا صاحب الدار: «وما محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه وعن أبيه من قبل، فإنه ثقتي وكتابه كتابي»[٤].

وكان العمري إذا سئل: هل رأيت المهدي؟ يقول: «نعم، وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام، وهو يقول: اللهم أنجز لي ما وعدتني» ورأيته متعلقاً بأستار الكعبة في المستجار وهو يقول: «اللهم انتقم لي من أعدائي»، والله إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة يرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه»[٥].

ويقول الطوسي: إن التوقيعات كانت تخرج على يد العمري طول حياته بالخط الذي كانت تخرج في حياة أبيه، لا يعرف الشيعة في هذا الأمر غيره[٦].

واستمر العمري (الابن) في هذا المنصب حوالي خمسين سنة حيث توفي في

---

(١) الطوسي «الغيبة» (ص ٢٢٠).
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق (ص ٢٢٢).
(٦) المصدر السابق (ص ٢٢١).

مطلع القرن الرابع الهجري سنة ٣٠٥هـ، وأوصى إلى (الحسين بن روح النوبختي) الذي كان واحداً من عشرة وكلاء له في بغداد، وأوصى النوبختي الذي توفي سنة ٣٢٥هـ إلى النائب الرابع علي بن محمد السمري (الصيمري) كخليفة من بعده بالوكالة عن الإمام المهدي الغائب[١].

وإلى جانب هؤلاء (النواب الأربعة) ادعى النيابة حوالي أربعة وعشرين رجلاً آخر من أصحاب الإمامين الهادي والعسكري، أو من أتباعهم كالحسن الشريعي، ومحمد ابن نصير النميري، وأبي هاشم داود بن القاسم الجعفري، وأحمد بن هلال العبرتائي، ومحمد بن علي بن بلال، وإسحاق الأحمر، وحاجز بن يزيد، ومحمد بن صالح الهمداني، ومحمد بن جعفر بن عون الأسدي الرازي، ومحمد بن إبراهيم بن مهزيار، والحسين بن منصور الحلاج، وجعفر بن سهيل الصيقل، ومحمد بن غالب الأصفهاني، وأحمد بن إسحاق الأشعري القمي، والقاسم بن محمد بن علي بن إبراهيم الهمداني، ومحمد بن صالح القمي، والقاسم بن العلاء وابنه الحسن، ومحمد بن علي الشلمغاني بن أبي العزاقر، وأبو دلف الكاتب.

وكان الكثير من هؤلاء يدعي وجود علاقة خاصة بينه وبين الإمامين الهادي والعسكري ومن ثم (الإمام المهدي) كما يدعي القدرة على اجتراح المعاجز والعلم بالغيب، ويخرج رسائل سرية، يقول إنها وردته من الإمام الغائب، ويقوم باستلام الأموال والحقوق الشرعية.

وقد اختلف الشيعة الإمامية القائلون بوجود الإمام الثاني عشر فيما بينهم حول صدق أولئك النواب، وصحة ادعائهم بالنيابة، فذهب فريق إلى تصديق (النواب الأربعة) الأوائل، وذهب فريق آخر كالنصيرية إلى تصديق الشريعي والنميري، كما ذهب آخرون إلى تصديق مجموعة أخرى.

ويعتبر البعض وجود (النواب الأربعة) وغيرهم ممن ادعى النيابة، شهادة تاريخية

---

(١) الصدوق «إكمال الدين» (ص ٥٠٣).

على وجود ابن للإمام الحسن العسكري هو (الإمام المهدي) بالإضافة إلى تلك الروايات التاريخية التي تحدثت عن ولادته ومشاهدته في حياة أبيه واللقاء به بعد ذلك.

يقول السيد محمد باقر الصدر في كتابه: «بحث حول المهدي»: إنه ليس من المعقول أن يكذب أولئك النواب الثقات العدول في دعواهم النيابة، أو في وجود الإمام المهدي، بعد أن أجمع الشيعة على صدقهم وورعهم وتقواهم.

وقد اعتبر بعض المحدثين السابقين كالنعماني محمد بن أبي زينب: أن وجود أولئك النواب الخاصين الأربعة في فترة (الغيبة الصغرى) وانقطاعهم في فترة (الغيبة الكبرى) الممتدة منذ ذلك الحين إلى يوم الظهور، وانسجام الفترتين مع الروايات التي تتحدث عن وجود غيبتين صغرى وكبرى للإمام المهدي، دليلاً على وجود (محمد بن الحسن العسكري) وصحة غيبته.

ـ رسائل المهدي (محمد بن الحسن العسكري):

ذكر الصدوق، والطوسي، وابن شهر آشوب، والطبرسي، عدداً من الرسائل التي قالوا إن (الإمام محمد بن الحسن العسكري) قد بعث بها إلى عدد من (وكلائه) في عصر (الغيبة الصغرى).

منها ما رواه الطوسي في كتاب «الغيبة» عن أحمد بن إسحاق الأشعري القمي الذي يقول إنه كتب إلى (ابن الحسن) رسالة حول دعوة جعفر بن علي الهادي لأهل قم لاتباعه بعد وفاة أخيه، ويقول فيها: إن (صاحب الزمان) كتب إليه كتاباً يتضمن اتهام جعفر بالجهل بالدين وبالفسق وشرب الخمر والعصيان لله، وبعدم امتلاكه لأية حجة، ودعوة لامتحانه، وتأكيداً على عدم جواز اجتماع الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين[١].

وينقل الطوسي رواية أخرى عن ابن أبي غانم القزويني: أنه وجماعة من الشيعة اختلفوا حول وجود (الخلف) وتشاجروا، ثم إنهم كتبوا في ذلك كتاباً أنفذوه إلى

(١) الطوسي: «الغيبة» (ص ١٧٤ ـ ١٧٦).

(الناحية) وأعلموه بما تشاجروا فيه، فورد جواب كتبهم بخطه عليه السلام، وكان يتضمن أسفاً وحرقة عليهم، ودعوة للتسليم وعدم محاولة الكشف عن أستار الغيبة[1].

ويروي الصدوق في «إكمال الدين» عن إسحاق بن يعقوب، قال: سألت محمد ابن عثمان العمري أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ، فورد التوقيع (الجواب) بخط مولانا صاحب الدار، وكان فيه: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم» كما كان يتضمن تزكية وتوثيقاً للعمري، وإباحةً للخُمْسِ في عصر الغيبة، ونهياً عن السؤال عن سبب الغيبة[2].

وينقل الصدوق في «إكمال الدين» رسالة أخرى من (الإمام المهدي) إلى (النائب الأول) عثمان بن سعيد العمري وابنه محمد (النائب الثاني) يذكر فيها أخبار الخلاف بين الشيعة حول (الخلف) وقول بعضهم بعدم وجود غير جعفر بن علي، ويطالب الشيعة بعدم البحث عما ستر عنهم لكي لا يأثموا وعدم كشف ستر الله لكي لا يندموا، والاقتصار على الإجمال والتعريض دون التفسير والتصريح[3].

وقد ذكر ابن شهرآشوب في «المناقب» والطبرسي في «الاحتجاج»: أن المفيد أخرج نسخاً من رسائل قال إن الإمام المهدي قد بعثها إليه بيد أعرابي وبخط رجل آخر، وكان المهدي يخاطب فيها المفيد بالأخ السديد والمولى الرشيد والمخلص الناصر، وملهم الحق ودليله، والعبد الصالح الناصر للحق والداعي إليه بكلمة الصدق[4].

هذه أهم القصص التي تروى عن مشاهدة (الإمام محمد بن العسكري) عند ولادته وفي حياة أبيه، وعند وفاته وبُعيد ذلك.

---

(١) الطوسي: «الغيبة» (ص ١٧٢ ـ ١٧٤).
(٢) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٤٨٣). الطوسي: «الغيبة» (ص ١٨٦ ـ ١٨٨).
(٣) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٥١٠).
(٤) انظر: النوري الطبرسي «خاتمة المستدرك» (٣ / ٥١٨). الجزائري: «الأنوار النعمانية» (٢ / ٢١). ابن بطريق الحلي: «رسالة نهج العلوم». «قصص العلماء للتنكابني» (ص ٣٩٩).

وهناك قصص أخرى كثيرة تروى من مشاهدته في البيت الحرام في الطواف أو في شعب من شعاب الطائف أو في المدينة، أو هنا وهناك.

ـ مناقشة الدليل الثالث: التاريخي على وجود (محمد بن الحسن العسكري)[1]:

إن المؤلفين الذين أوردوا روايات ولادة (محمد بن الحسن العسكري) في كتبهم أراحوا أنفسهم من تهمة الاعتماد على هكذا روايات ضعيفة، وقالوا في البداية: إننا نثبت وجود (الإمام الثاني عشر) بالطرق الفلسفية العقلية الاعتبارية النظرية، ولسنا بحاجة إلى الروايات التاريخية، وإنما نأتي بها من باب الإسناد والتعضيد والتأييد.

والمرجح أنهم كانوا يوردونها من باب (الغريق يتشبث بقشة) وإلا فإنهم أعرف الناس بضعفها وهزالها...

وكان الشيعة الاثنا عشرية يقولون عن الشيعة الفطحية ـ الذين ادَّعوا وجودَ ولدٍ مكتوم للإمام عبدالله الأفطح بن جعفر الصادق وزعموا ولادته في السر واختباءه في اليمن ـ إنهم اخترعوا وجود شخص وهمي لا وجود له هو (الإمام المهدي محمد بن عبدالله الأفطح) نتيجة لوصولهم إلى طريق مسدود.

ومن المعلوم أن الإخباريين الأوائل كانوا يتلقفون كل رواية بلا دراسة ولا تمحيص..

وقد أنفق محقق كبير مثل السيد مرتضى العسكري سنوات طويلة من عمره، لكي يثبت في مجلدين أو ثلاثة: أن عبدالله بن سبأ أسطورة وهمية اختلقها بعض المؤرخين لكي يتهموا الشيعة بأخذ نظرية الوصية في الإمامة من الإسرائيليين... لكنه لم يبذل واحداً بالمئة أو بالألف من تلك ا لجهود ليبحث حقيقة (وجود الإمام الثاني عشر) أو

---

(١) انظر: «تطور الفكر السياسي الشيعي»: السيد أحمد الكاتب، ط١، ١٩٩٧م، (ص ٢٠٤ ـ ٢٣٠). «حوارات السيد أحمد الكاتب مع المراجع والعلماء والمفكرين حول وجود الإمام الثاني عشر» الدار العربية للعلوم، ناشرون، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، (ص ٥٧ ـ ٥٨ و٦٣ و٨٣ و١٩٧ ـ ٢٠١ و٢٠٧). «كسر الصنم»: آية الله العظمى أبو الفضل البرقعي، ط٢، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، دار البيارق، عمان، (ص ٣١٨ ـ ٣٢٤).

يدرس تلك الروايات التي تتحدث عن ولادته، ولم يتوقف عندها في كتاب من كتبه، وهو الذي اكتشف وجود (مئة وخمسين صحابياً مختلقاً).

بعد ذلك يمكن القول بعدم وجود قضية مهملة أو معرض عنها في التراث الشيعي كقضية (وجود الإمام المهدي وولادته)، ولا توجد قضية خارج البحث والاجتهاد مثل تلك القضية... وقد تأكد من وجود حالة نفسية عقائدية تحول دون ممارسة البحث العلمي أو نقد تلك الروايات التاريخية لدى المراجع والعلماء والمفكرين الشيعة...

وينبغي الإشارة إلى أن هذه الروايات لم تكن معروفة في فترة ما يسمى بـ (الغيبة الصغرى) حيث لم ينقلها المؤلفون الذين اعتقدوا بوجود الإمام الثاني عشر، وكتبوا حول ذلك في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، كالنوبختي في (فرق الشيعة)، وسعد بن عبدالله الأشعري القمي في (المقالات والفرق)، وعلي بن بابويه الصدوق في «الإمامة والتبصرة من الحيرة»، ومحمد بن أبي زينب النعماني في «الغيبة» وحتى الكليني الذي حاول أن يجمع أية قصة أو رواية حول الموضوع،... فهو لم يذكر كثيراً من تلك القصص التي سجلها من بعده الشيخ محمد بن علي الصدوق في «إكمال الدين» أو الشيخ المفيد في «الإرشاد» و«الفصول» أو الشيخ الطوسي في «الغيبة».

ومن المعروف أن الشيخ الصدوق (الابن) جاء بعد حوالي مئة سنة من وفاة الإمام العسكري، وأن الشيخ الطوسي توفي بعد قرنين من ذلك التاريخ، ولكنهما راحا يسجلان كل ما يسمعان من حكايات وإشاعات وأساطير تتعلق بولادة (محمد بن الحسن العسكري)، ويرسلان أو ينقلان عن عدد من الغلاة والضِّعاف والمجاهيل والمختلقين.

وهذه الأدلة التاريخية، كما يبدو، تختلف فيما بينها اختلافاً فاحشاً وكبيراً بدءاً من تحديد هوية أم (محمد بن الحسن) المفترضة، ومروراً بتاريخ ولادته، وانتهاء بأدق التفاصيل...

فقد اختُلِفَ في اسم والدته بين الجارية نرجس أو سوسن أو صقيل أو خمط أو ريحانة أو مليكة، أو الحرة مريم بنت زيد العلوية، وأنها جارية ولدت في بيت بعض

أخوات الإمام الهادي، أو اشْتُريت من سوق الرقيق في بغداد.

واختلفت تلك الروايات في تحديد تاريخ الولادة في اليوم والشهر والسنة، واختلفت تبعاً لذلك في تحديد عمره عند وفاة أبيه بين سنتين أو ثماني سنوات.

واختلفت في طريقة الحمل في الرحم أم في الجنب، وفي الولادة من الفرج أو من الفخذ!

واختلفت الروايات أيضاً في تحديد لونه بين البياض أو السمرة.

واختلفت في طريقة نموه بين الطريقة العادية المتعارف عليها، والقول بأنه كان يبدو عند وفاة أبيه بهيئة صبي، وبين الطريقة اللاطبيعية، واختلفت في هذه الطريقة بين النمو السريع في اليوم مثل النمو خلال سنة اعتيادية، أو النمو في اليوم مثل النمو في أسبوع، والنمو في الأسبوع مثل النمو خلال شهر، والنمو في شهر مثل النمو خلال سنة، وبناء على ذلك فإنه كان يبدو قبل وفاة أبيه بهيئة رجل كبير قد يبلغ سبعين عاماً، بحيث لم تتعرف عليه عمته حكيمة واستغربت من أمر الإمام الحسن لها بالجلوس بين يديه.

واختلفت في أمر التكتم عليه:

فقالت رواية: إن حكيمة ودعت الإمام الحسن في أعقاب ولادة ابنه وانصرفت إلى منزلها وعندما اشتاقت له بعد ثلاثة أيام رجعت ففتشت عنه في غرفته فلم تجد له أثراً، ولا سمعت له ذكراً، فكرهت أن تسأل، ودخلت على أبي محمد (الحسن العسكري) فبدأها بالقول: «هو يا عمة في كنف الله أحرزه وستره حتى يأذن الله له، فإذا غَيَّبَ الله شخصي وتوفاني ورأيت شيعتي قد اختلفوا فأخبري الثقات منهم وليكن عندك مستوراً وعندهم مكتوماً، فإن ولي الله يغيبه الله عن خلقه ويحجبه عن عباده، فلا يراه أحد حتى يقدم له جبرئيل فرسه».

وقالت رواية أخرى: إن الإمام الحسن العسكري أعلن عن ولادة ابنه وأرسل إلى بعض أصحابه بكبش لِيَعقُّوا عنه، وأنه عرضه على مجموعة من أصحابه، وأنه كتب إلى أحمد بن إسحاق القمي بذلك، وأنه أخرج ابنه وأراه إياه عند زيارته له في (سر من

رأى) وأن عدداً من الخدم والأصحاب شاهدوا بالصدفة أو بالعمد ابن الإمام الحسن وهو جالس في غرفة أو يمشي في الدار.

واختلفت الروايات بين ذكر الخوف من السلطة للقبض عليه، وبين الاطمئنان التام إلى حد الخروج للصلاة على جثمان أبيه واستقبال الوفود في دار أبيه.

واختلفت الروايات حول علم الأصحاب والخدم بوجود ابن للإمام العسكري، فقال بعض هذه الروايات: بأن الخدم والأصحاب المقربين كانوا يعلمون بوجوده وأنهم قد شاهدوه، وقال بعضها الآخر: إنهم فوجئوا به عند ظهوره للصلاة على جثمان أبيه وعدم معرفته إلا بالعلامات العديدة.

واختلفت الروايات حول نضجه العقلي، فقال بعضها: إنه سجد لحظة ولادته وتَشَهَّدَ بالشهادتين وصلى وسلم على آبائه واحداً واحداً، وقرأ آيات من القرآن المجيد، وقال البعض الآخر من هذه الروايات: إنه كان وهو غلام يلعب برمانة ذهبية ويصد أباه عن كتابة ما يريد!

ـ رواية حكيمة:

تقول رواية الصدوق عن حكيمة: إن نرجس لم يكن بها أي أثر للحمل وأنها لم تكن تعرف ذلك، وقد استغربت عندما قالت لها حكيمة: إنها ستلد تلك الليلة، وقالت: يا مولاتي ما أرى شيئاً من هذا! وأن حكيمة نفسها استغربت عندما أخبرها الإمام الحسن بولادة ابن له في ليلة النصف من شعبان، وتساءلت: من أمه؟ وعندما قال لها: (نرجس) قالت: جعلني الله فداك ما بها من أثر. وعندما اقترب الفجر ولم يظهر أي أثر دخل الشك إلى قلب حكيمة.

وتقول الرواية: إن حكيمة أقبلت تقرأ القرآن على نرجس فأجابها الجنين من بطن أمه، يقرأ مثلما تقرأ، وسلم عليها، مما أثار فزعها، ومع ذلك تقول الرواية: إن حكيمة أخذتها فترة ولم تشهد عملية الولادة، وفي رواية أخرى: أن نرجس غُيِّبت عن حكيمة، فلم ترها، كأنه ضُرب بينهما حجاب، مما أثار استغرابها ودفعها إلى الصراخ واللجوء إلى أبي محمد العسكري.

ورواية الصدوق لا تذكر ما ذكره الطوسي في إحدى رواياته: إن حكيمة وجدت على ذراع الوليد مكتوباً: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً» بالرغم من تقدم الصدوق على الطوسي، ولكن الصدوق ينفرد بذكر الطيور التي حلّقت فوق رأس الوليد، وقول الحسن لطير منها: احمله واحفظه ورده إلينا في كل أربعين يوماً.

ويتفق الاثنان: الصدوق والطوسي على تكلم الوليد والتشهد بالشهادتين والصلاة على النبي والأئمة السابقين والسلام على أمه وأبيه.

كما يتفقان أيضاً على أن الوليد غاب بعد ذلك واختفى، وأن عمته لم تجد له أثراً ولا سمعت له ذكراً.

كل هذه الأمور غريبة لم تعرف عن رسول الله ﷺ، ولا عن أحد من الأئمة السابقين، وهي من مقولات الغلاة وأساطيرهم، ولا علاقة لها بالشيعة الجعفرية أو الإمامية الذين جعلوا النص طريقاً للتعرف على الإمام الجديد، ولم يذكروا شيئاً من تلك الأمور الخارقة اللاطبيعية. . .

ليست هناك حاجة لإحداث المعجزة والأمور الخارقة للعادة مع ولادة (الإمام الثاني عشر). وإذا كان لا بد للمعجزة أن تحدث، فلا بد أن تحدث أمام الناس لكي يطلعوا عليها ويؤمنوا برسالتها، ولا يمكن أن تحدث بصورة سرية لا يطلع عليها أحد، فما الفائدة منها؟

وتقول الرواية المنسوبة إلى حكيمة: إن الإمام الحسن العسكري كان يعلم بصورة غيبية بجنس الجنين وأنه ذكر، كما تقول: إنه كان يعلم غيبياً ما تفكر به حكيمة التي شكت في قوله، وقال لها: لا تعجلي يا عمة، كما تشير إلى علم الإمام الحسن باقتراب أجله وقوله: (عن قريب تفقدونني). وكذلك علم الإمام المهدي (محمد بن الحسن العسكري) بالغيب وإجابته على أسئلة حكيمة قبل أن تبدأ بها. . .

وكل هذه الأمور تتفق مع نظريات الغلاة والمنحرفين عن أهل البيت، إذ إن هناك حديثاً مشهوراً لدى الشيعة عن أئمتهم: يأمر بضرب أي حديث يتعارض مع القرآن عرض الجدار.

إن كل هذه التساؤلات والإشكالات والمآخذ تضعف الرواية المنسوبة إلى حكيمة، وتسقطها عن الحجية والوثوق وتقرب من كونها أسطورة حاكها الغلاة والمتطرفون.

ـ رواية أبي الأديان البصري:

هي رواية انفرد بها الصدوق في كتابه «إكمال الدين»، عن رجل مُختلَق أو موهوم لم يذكر اسمه ولا اسم أبيه ولا عشيرته، (أبو الأديان البصري)، وقال إنه أحد خدام الإمام وحامل كتبه ورسوله إلى الأمصار وجامع أمواله، ومع ذلك فلم يعرفه أحد ولم يشر إلى وجوده أي مؤرخ آخر.

وبالرغم من المكانة العالية التي يعطيها إياه الصدوق، فإن الراوي (أبو الأديان) يعترف في نفس الرواية بأن الإمام العسكري لم يخبره بهوية الإمام من بعده، وجهله بوجود ابن للإمام، ويقول أيضاً: بأن عامة الشيعة بما فيهم عقيد والسمان (عثمان بن سعيد) والبصري نفسه عَزَّوا جعفر بن علي وهنؤوه. ولم يكونوا يعرفون من هو الإمام بعد العسكري وأرادوا أن يصلوا خلف جعفر.

وتعتمد الرواية من بدايتها إلى نهايتها على عنصر (علم الإمام بالغيب). . .

والرواية لا تذكر شيئاً عن الخوف والإرهاب المحيط بالشيعة وبالإمام الجديد، بل تقول إن الخليفة العباسي المعتمد وقف إلى جانب وفد قم في خلافهم مع جعفر وأنه أرسل لهم حرساً يحمونهم في الطريق، وتنسى الرواية التي تقول: إن السلطات العباسية كبست دار الإمام العسكري وفتشته بحثاً عن وجود ولد له.

وإذا كان الإمام فعلاً خائفاً ومتكتماً ومستوراً فلماذا يخرج للصلاة على أبيه، ولماذا يجلس في بيته ويستقبل الوفود على مقربة من عيون السلطة؟

من المعلوم والثابت تاريخياً أن أبا عيسى المتوكل هو الذي صلى على جثمان الإمام الحسن العسكري وشيعته عاصمة الخلافة (سر من رأى) التي أغلقت أبوابها عن بكرة أبيها وضجت بالبكاء والعويل. وإلى جانب رواية (أبو الأديان البصري) روايتان، رواية إسماعيل بن علي النوبختي، الذي يقول: إنه زار الإمام الحسن العسكري قبيل

ساعة من وفاته، فطلب الإمام من خادمه عقيد أن يأتيه بابنه، وأنه جاء به إليه، فقال له: «أبشر يا بني فأنت صاحب الزمان»، ورواية المجموعة من الأصحاب الذين قالوا: إن الإمام الحسن العسكري عرض عليهم ابنه وقال لهم: «هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم... أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا»..

والرواية الأولى تتناقض مع رواية أبي الأديان البصري الذي يقول فيها: إن (عقيد) كان يجهل وجود ولد للإمام العسكري، ولذلك طلب من أخيه جعفر أن يصلي عليه، بينما الرواية الأولى تقول: إن (عقيد) جاء بالصبي لأبيه أمام إسماعيل بن علي النوبختي.

ومن الجدير بالذكر أن النوبختي لا يشير بنفسه إلى هذه القصة، ويقول: إنه عرف بوجود ابن للحسن عن طريق الاستدلال النظري، كما ينقل عنه الصدوق في كتابه «إكمال الدين» (ص ٩٢) عن كتاب النوبختي «التنبيه».

أما الرواية الثانية فتتناقض أيضاً مع رواية أبي الأديان البصري التي تنفي معرفة كبار الأصحاب بوجود ابن للحسن العسكري، بما فيهم السمان (عثمان بن سعيد العمري) و(حاجز الوشاء) الذي تساءل من جعفر: من الصبي لنقيم عليه الحجة؟ فقال: والله ما رأيته قط ولا أعرفه.

ومن المعروف أن السمان العمري وحاجز الوشاء ادعيا (النيابة الخاصة والوكالة من الحجة ابن الحسن) بعد ذلك، فمتى رأوه؟ ومتى أخذوا الوكالة منه؟

وتقول الرواية الثانية أيضاً: إن الإمام الحسن العسكري قال لأصحابه بعد أن عرض عليهم ابنه: «أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا» فكيف ظهر بعد ذلك وصلى على جثمان أبيه واستقبل الوفود؟.

إن هذه الروايات تتناقض مع رواية حكيمة التي يقول فيها الإمام العسكري: إنها لن تراه بعد يوم ولادته، حيث تعود كل رواية فتنقض الرواية السابقة!

وهذا يدل على أن الفريق الذي اخترع وجود ولد للإمام الحسن العسكري خلافاً للظاهر والحقيقة... أن هذا الفريق راح يختلق القصص والحكايات والأساطير عن

مولد ابن الحسن واللقاء به في حياة أبيه ومشاهدته عند وفاته. ولما كانت الروايات مختلقة ولا تعبر عن الحقيقة ومصنوعة من قبل رجال مختلفين، فقد جاءت الروايات متناقضة ومختلفة في أدق التفاصيل.

إن الرواية التاريخية تقول: إن الإمام الحسن العسكري لم يُشِرْ إلى وجود ولد له، وعندما أحسَّ بالوفاة استدعى القاضي ابن أبي الشوارب، وأوصى أمامه بأمواله وممتلكاته إلى أمه (حديث)، وقد ادعت جارية له اسمها (نرجس) بأنها حامل منه أملاً في عتقها لأنها كانت ستصبح (أم ولد) وتعتق من نصيب ابنها، وربما كات الدورة الشهرية قد تأخرت عليها فظنت نفسها أنها حامل، وقد أرجأ القاضي قسمة التركة واهتم بالجارية ونقلها إلى نساء الخليفة المعتمد، وأمر باستبرائها، أي التحقق من ادعائها الحمل، ثم لم يتبين عليها أي شيء...

وراح الذين ادعوا وجود الولد... ينسجون الإشاعات والأساطير بصورة سرية خافتة ليضلوا بها البسطاء ويستفيدوا من ورائها الأموال، ولم يصدق العلماء والمحققون الأوائل بتلك الإشاعات.

ثم جاء الشيخ الصدوق بعد مئة عام، والشيخ الطوسي بعد مئتي عام ليسجلوا تلك القصص والأساطير دون أن يحققوا بمصادرها وأسنادها، ودون أن يعتمدوا عليها كثيراً، وكانوا يشعرون بضعفها وهزالها، فقالوا في البداية: إننا نعتمد على الدليل العقلي (الفلسفي) لإثبات وجود (ابن الحسن) ونأتي بتلك القصص من باب المعاضدة والتأييد، ثم جاء من بعدهم من المؤرخين (الإخباريين) فنقلوا تلك القصص الأسطورية كأنها حقائق تاريخية لا تقبل المناقشة والحوار... وبالرغم من وجود عمليات تزوير وتلاعب في الكتب القديمة والحديثة، فلم أرَ من يتوقف لكي يدرس تلك الكتب ويتأكد من صحتها.

وإن من الضروري في البحث العلمي التأكد:

أولاً: من صحة نسبة الكتب التاريخية المعروفة: كتاب «الغيبة» وكتاب «إكمال الدين» و«الإرشاد» و«الفصول» إلى أصحابها، والتأكد من عدم إضافة أو نقصان أو

تحوير أي شيء منها، وهذا أمر عسير غير ممكن، حيث لا توجد في التراث الشيعي من الكتب التي صحت نسبتها إلى مؤلفيها سوى كتب الحديث الأربعة «الكافي، من لا يحضره الفقيه، التهذيب، الاستبصار» التي رواها العلماء واحداً عن واحد.

ثانياً: لا بد من دراسة مؤلفي هذه الكتب التاريخية ومدى ضبطهم ودقتهم، وهذا أمر ممكن.

ثالثاً: دراسة سلسلة الرواة الذين ينقلون عنهم... فإن بعض الرواة لا وجود لهم... وبعضهم غلاة كذابون وضاعون، هذا حسبما يقول علماء الرجال الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، كالطوسي والنجاشي والكشي وابن الغضائري وغيرهم.

وهناك بعض الرواة الموثوقين عند علماء الرجال (الإماميون الاثنا عشريون) وصدقهم والأخذ عنهم.

لكن بقية الفرق الإمامية والشيعية والإسلامية لا تعترف بعدالتهم وتشك في صدقهم، وذلك كالنواب الأربعة وغيرهم ممن ادعى رؤية (الإمام المهدي) واللقاء به وأخذ الوكالة عنه...

ولقد كان الشك موجوداً في حياتهم، وخاصة بصدق دعواهم في (النيابة)، ويتساءل الناس عن مصير الأموال التي يجبونها باسم (الإمام المهدي) وكان أدعياء النيابة يكذب بعضهم بعضاً، ويتهم كل فريق منهم الفريق الآخر بالدجل والشعوذة.

وبناء على ما تقدم سوف نقدم دراسة عن سلسلة رواة القصص التاريخية التي تتحدث عن ولادة ووجود ومشاهدة (الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري) دراسة محايدة تعتمد أساساً على تقييم علماء الرجال الشيعة الإمامية الاثني عشرية.

- رواية حكيمة:

ينقل الصدوق في كتابه «إكمال الدين» (ص ٤٢٤) قصة ولادة (صاحب الزمان: محمد بن الحسن العسكري) عن محمد بن الحسن بن الوليد، قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار، قال: حدثنا أبو عبدالله الحسين بن رزق الله، قال: حدثني موسى بن

محمد القاسم، قال: حدثتني حكيمة... والحسين بن رزق الله شخص مجهول أو مُختلَقٌ لا وجودَ له في تراجم الرجال، أما موسى بن محمد فهو مهمل. وفي بعض النسخ يوجد (الحسين بن عبيد الله) بدلاً من (أبو عبدالله بن الحسين) وهو مَنْ يطعنُ فيه النجاشي ويتهمه بالغلو.

وفي رواية أخرى ينقل الصدوق القصة عن الحسين بن أحمد بن إدريس، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل، قال: حدثني محمد بن إبراهيم الكوفي، قال: حدثنا محمد بن عبدالله الطهوي عن حكيمة...

وتختلف النسخ الموجودة من «إكمال الدين» في اسم الطهوي، ففي بعضها: الظهري وفي بعضها الزهري، وفي بعضها: المطهري، ولا يوجد أي ذكر لهذا الرجل في تراجم الرجال مما يحتمل اختلاقه من قبل بعض الرواة، وعلى أي حال فهو مجهول.

أما الطوسي فينقل القصة في كتاب «الغيبة»[1] عن عمة الإمام الحسن العسكري، ويسميها (خديجة) بدلاً من (حكيمة).

وينقل القصة مرة أخرى عن ابن أبي جيد عن محمد بن الحسن بن الوليد عن محمد بن الحسن القمي عن أبي عبدالله المطهري عن حكيمة، التي تذكر أن اسم والدة ابن الحسن العسكري (سوسن) وليس (نرجس) كما وردت في رواية الصدوق.

وينقل القصة أيضاً برواية ثالثة عن ابن أبي جيد عن محمد بن الحسن بن الوليد عن محمد بن يحيى العطار عن محمد بن حمويه الرازي، عن الحسين بن رزق الله عن موسى بن محمد...

وفي رواية رابعة ينقلها الطوسي عن أحمد بن علي الرازي، عن محمد بن علي، عن علي بن سميع بن بنان، عن محمد بن علي، عن أبي الداري، عن أحمد بن محمد، عن أحمد بن عبد الله، عن أحمد روح الأهوازي، عن محمد بن إبراهيم، عن حكيمة،

---

(١) الطوسي: «الغيبة» (ص ١٣٨ ـ ١٤٦).

بمثل معنى الحديث الأول، إلا أنه قال: قالت: بعث إلي أبو محمد (الحسن العسكري) ليلة النصف من رمضان، وليس من شعبان!؟.

وفي رواية خامسة ينقلها الطوسي عن أحمد بن علي الرازي عن محمد بن علي عن حنظلة بن زكريا، قال: حدثني الثقة عن محمد بن بلال عن حكيمة.

وفي رواية سادسة ينقلها الطوسي عن جماعة من الشيوخ عن حكيمة..

وفي هذه الرواية الأخيرة لا يذكر الطوسي اسم أحد من الشيوخ الذين يرسلون الرواية إلى حكيمة من دون ذكر أي سند، وهذا ما يُسْقِطُها عن الحجية والاعتبار.

وفي الرواية التي قبلها لا يذكر حمزة بن زكريا (الذي يضعفه النجاشي) من هو (الثقة) الذي حدثه؟

أما محمد بن علي بن بلال فهو أحد أدعياء الوكالة عن المهدي، وقد اختلف مع محمد بن عثمان العمري (وهو أيضاً أحد أدعياء الوكالة عن المهدي).

وأما أحمد بن علي الرازي، فإن الطوسي نفسه يضعفه في كتب الرجال، وكذلك يضعفه النجاشي وابن الغضائري، ويتهمونه بالغلو.

وبناء على هذا يتبين حال الرواية الرابعة التي ينقلها الطوسي عن أحمد بن علي الرازي (الضعيف الغالي) الذي ينقلها عن مجهول هو (أحمد الأهوازي).

أما الرواية الثالثة، ففيها (محمد بن حمويه الرازي) وهو مجهول أيضاً، بالإضافة إلى (الحسين بن رزق الله) المجهول كذلك.

وفي الرواية الثانية يتبدل اسم (محمد بن عبدالله الطهوي) الذي ذكره الصدوق إلى (أبي عبدالله المطهري) وهو مجهول في كلا الحالين.

أما في الرواية الأولى فتقول عمة الإمام الحسن العسكري ـ التي يسميها خديجة بدلاً من حكيمة ـ: إنها لم تعاين مولد ابن الحسن، وإنما سمعت بذلك خبراً كتب به أبو محمد (الحسن العسكري) إلى أمه في المدينة.

إذن فإن النتيجة لرواية حكيمة عن مولد (ابن الحسن) يرويها المتأخرون عن غلاة

عن ضعاف عن مجاهيل عن مختلقين، لا يمكن الاعتماد عليها مطلقاً.

- رجل من أهل فارس:

ينقل الكليني في «الكافي»[1] والصدوق في «إكمال الدين»[2]، والطوسي في «الغيبة»[3]، والصدر في «الغيبة»[4]، قصة (رجل من أهل فارس) ذهب إلى (سر من رأى) ولزم باب أبي محمد الحسن العسكري يعمل مع الخدم، وشاهد يوماً غلاماً أبيض، فقال له الإمام الحسن: «هذا صاحبكم».

وهذه رواية ضعيفة جداً لا حاجة للتوقف عندها حيث لا تذكر اسم الراوي وتكتفي بالقول: إنه (رجل من أهل فارس) وهذا أسلوب مرفوض في الحديث مطلقاً.

- يعقوب بن منقوش:

ورواية يعقوب بن منقوش التي يقول فيها: إنه سأل الإمام العسكري يوماً: «من صاحب هذا الأمر؟» فقال له: «ارفع سِتراً مُسْبلاً على باب بيت» فخرج منه غلام خماسي، فقال: «هذا صاحبكم»، وهذه الرواية ينقلها الصدوق عن أبي طالب المظفر ابن جعفر بن المظفر العلوي السمرقندي، عن جعفر بن محمد بن مسعود عن أبيه محمد ابن مسعود العياشي عن آدم البلخي عن علي بن الحسن بن هارون الدقاق عن جعفر بن محمد بن عبدالله بن القاسم عن يعقوب بن منقوش، فهذه الرواية ضعيفة جداً، لما يأتي:

أولاً: عدم وجود شخص باسم المظفر السمرقندي في تراجم الرجال.

ثانياً: العياشي يروي عن الضعفاء كثيراً، كما يقول النجاشي، وهو يقول بتحريف القرآن في تفسيره بصراحة.

---

(١) «الكافي» للكليني (١ / ٣٢٩).

(٢) الصدوق: «إكمال الدين» (٤٣٥).

(٣) الطوسي: «الغيبة» (١٤٠).

(٤) الصدر: «الغيبة» (٢٨٥).

ثالثاً: لقول آدم البلخي بالتفويض، وهو من الغلاة الذين يقولون بأن الله خلق محمداً وفَوَّضَ إليه خَلْقَ الدنيا، وهو الخَلاَّقُ لما فيها، ثم فوض الأمر إلى علي بن أبي طالب[1].

رابعاً: إهمال الدقاق واختلاف اسم والده بين الحسن والحسين.

خامساً: مجهولية جعفر بن محمد بن عبدالله.

سادساً: إهمال يعقوب بن منقوش، واضطراب اسم والده بين منقوش ومنفوش ومنفوس.

ـ عثمان بن سعيد العمري:

أما الرواية التي ينقلها الصدوق في «إكمال الدين»[2] والطوسي في «الغيبة»[3] عن جماعة فيهم عثمان بن سعيد العمري، ومعاوية بن حكيم ومحمد بن أيوب، وقول الإمام لهم: «هذا إمامكم من بعدي. . .» فإن الصدوق والطوسي يرويانها عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري، وهو كذاب شهير وضّاع للأحاديث، يقول عنه ابن الغضائري: «كذاب متروك الحديث جملة، وكان في مذهبه ارتفاع (غلو) ويروي عن الضعفاء والمجاهيل، وكل عيوب الضعفاء مجتمعة فيه. . . روى في مولد القائم أعاجيب».

ويقول عنه النجاشي: «كان ضعيفاً في الحديث، وقال أحمد بن الحسين: كان يضع الحديث وضعاً ويروي عن المجاهيل، وسمعت من قال: كان أيضاً فاسد المذهب والرواية، ولا أدري كيف روى عنه شيخنا النبيل الثقة أبو علي بن همام وشيخنا الجليل الثقة أبو غالب الرازي».

أما رواية (نسيم) و(طريف أبو النصر) الخادمين عند الإمام العسكري، فينقلهما

---

(١) انظر رجال الكشي.

(٢) الصدوق «إكمال الدين» (ص ٤٣٥).

(٣) الطوسي: «الغيبة» (ص ٢١٧).

الصدوق عن المظفر السمرقندي (المهمل) عن العياشي (الضعيف) عن آدم البلخي (الغالي المفوض).

وأما رواية إسماعيل النوبختي التي يرويها الطوسي عن أحمد بن علي الرازي، فهي ضعيفة جداً، لأن الطوسي نفسه لا يوثق الرازي ويتهمه بالضعف والغلو، إضافة إلى اتهام ابن الغضائري والنجاشي له بذلك.

ويروي الطوسي رواية أخرى عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري، وعن أحمد ابن علي الرازي، فهي ضعيفة جداً، لأن الطوسي نفسه لا يوثق الرازي ويتهمه بالضعف والغلو، إضافة إلى اتهام ابن الغضائري والنجاشي له بذلك.

ويروي الطوسي رواية أخرى عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري، وعن أحمد ابن علي الرازي عن كامل بن إبراهيم المدني الذي يقول: إنه دخل على الإمام العسكري فجاءت الريح وكشفت ستراً مرخى على باب، فشاهد فتى وراءه، فعرفه الفتى وناداه باسمه، ثم رجع الستر إلى حاله فلم يستطع كشفه.

إن هذه الرواية واضحة الضعف بعد روايتها عن الفزاري والرازي الغاليين الضعيفين.

ـ أبو الأديان البصري:

أما رواية (أبو الأديان البصري) التي ينفرد بنقلها الصدوق، ويرسلها دون أي سند حيث يقول (وحدث أبو الأديان. . .) بالرغم من أن بينهما حوالي مئة عام، ولا يعرف أحد شخصاً بهذا الاسم مما يؤكد اختلاقه من قبل بعض الغلاة.

وأما قصة مجيء وفد قم والجبال إلى مدينة (سر من رأى) التي ينقلها الصدوق، ففي سندها أحمد بن الحسين الآبي العروضي، وأبي الحسين بن زيد بن عبدالله البغدادي عن سنان الموصلي عن أبيه، فكلهم مجاهيل لا وجود لذكرهم في تراجم الرجال، بالإضافة إلى اضطراب اسم البغدادي.

ـ سعد بن عبدالله القمي:

أما رواية سعد بن عبدالله القمي التي يقول فيها: (إنه دخل مع أحمد بن إسحاق على الإمام العسكري فرأى على فخذه غلاماً وهو يلعب برمانة ذهبية، والتي ينقلها الصدوق عن النوفلي الكرماني عن أحمد بن عيسى الوشاء البغدادي عن أحمد بن طاهر القمي، فيوجد في سندها أربعة من المهملين أو المجهولين، وأما الراوي الخامس (الشيباني) فهو من الضعاف والغلاة المفوضة، كما يقول الكشي وابن الغضائري والطوسي والنجاشي.

وقد سلب العلامة الحلي في «الخلاصة» الثقة من سعد بن عبدالله القمي على أثرها، وقال الشهيد الثاني: «إن أمارات الوضع عليها لائحة» وذلك لما تتضمن من لعب الغلام (المهدي) بالرمانة الذهبية!

فإذا جمعنا الضعف في سند كل رواية إلى الضعف في المتن، وإلى تناقض الروايات مع نفسها، وتناقضها مع الرواية الظاهرية، فإنها تصبح مجرد إشاعات وهمية أسطورية، لا تُثبتُ مولدَ إنسانٍ عادي، فكيف يمكن أن نعتمد عليها في إثبات مولد إمام من الأئمة وبناء عقيدة دينية على أساس ذلك؟

ـ رد السيد أحمد الكاتب على السيد سامي البدري:

يقول السيد أحمد الكاتب في رده على سامي البدري في كتابه «حوارات أحمد الكاتب» بقوله: «يريد البدري منا... أن نؤمن بسرعة بكل ما نقله الرواة دون دراسة أو تمحيص أو تفكير أو مقارنة أو تأكد من السند، أو اجتهاد في المسألة، لمجرد أن جماعة من أصحاب الإمام العسكري الذين يعتقد البدري بسذاجة بصدقهم ووثاقتهم، فقد نقلوا بعض الروايات الباطنية السرية التي تتحدث خلافاً للظاهر عن وجود ولد للإمام العسكري بعد وفاته. بالرغم من أنهم جميعاً يعترفون بأن الإمام العسكري لم يتحدث عن ذلك في حياته، وأنهم كانوا يلفون دعاواهم بالسرية والكتمان، ويحرمون التفتيش عن ذلك الولد أو ذكر اسمه أو موضعه أو مكانه أو صفته، أي باختصار: إن القول بوجود الولد كان قولاً باطنياً سرياً مخالفاً للظاهر والمعروف من حياة الإمام العسكري.

ولم يوضح البدري لماذا آمن بصدق النواب الأربعة الذين ادعوا النيابة الخاصة عن الإمام الغائب، مع أن النائب الأول عثمان بن سعيد العمري عزّى جعفر بن علي وهنأه بالإمامة؟ وكيف قبل دعاواهم بعلم الغيب واجتراح المعاجز؟ ولماذا لم يؤمن بأدعياء النيابة الآخرين العشرين؟ وكيف عرف الصادق من الكاذب منهم؟ وقد قال أهل البيت عليهم السلام: «خدامنا وقوامنا شرار خلق الله» وذلك حسبما يقول الطوسي: لأن فيهم من غيّر وبدل وخان.

ولو كان أولئك النواب يشيرون إلى ولد ظاهر غير مستور ويَدَّعون بُنُوَّتَهُ للإمام العسكري لما كان أحد يصدقهم في مقابل الإمام الذي ينفي وجود أي ولد له، فكيف وأن دعواهم بوجود له في السر لم يظهر لها أي مصداق خارجي رغم مرور مئات السنين.

واللافت أن الأستاذ البدري يرفض القبول بنسبة ولد إليه في السر أو العلن دون معرفته أو إقراره، في حين يقبل نسبة ولد إلى الإمام العسكري بعد وفاته بالرغم من إرادته، ومن المعروف أن الباطنية الغلاة كانوا ينسبون كثيراً من الأقوال والأفعال والأولاد إلى أهل البيت في حياتهم وبعد وفاتهم دون علمهم ويؤولون نفي أهل البيت لمزاعمهم الباطلة السخيفة بالتقية والخوف»[1].

ـ رد أحمد الكاتب على السيد محمد تقي المدرسي:

في حوار السيد أحمد الكاتب مع محمد تقي المدرسي في كتابيه «الإمام المهدي والإيمان بالغيب» و«الإمام المهدي قدوة الصديقين» جاء في بعض الرد عليه في كتابه «حوارات أحمد الكاتب» قوله: «لا يجد المدرسي الجرأة لبحث أو تقديم أي دليل تاريخي على ولادة ابن الحسن العسكري، كما فعل خاله السيد محمد الشيرازي، فهو يعرف جيداً أنها مجموعة أساطير مضحكة، وإشاعات بلا سند ولا دليل، ولذلك ينتقل إلى الاستدلال بالأحاديث العامة (السنية) الواردة حول خروج مهدي في آخر الزمان. ثم يقول: لم يتشكك في عقيدة المهدي إلا بعض المتأثرين بالثقافة العلمانية كابن

(١) أحمد الكاتب: «حوارات أحمد الكاتب مع المراجع والعلماء والمفكرين حول وجود الإمام الثاني عشر»، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، (ص٥٧ـ٥٨).

خلدون الذي حاول أن يؤسس نظرية نقدية للنصوص الدينية بعيداً عن الإيمان بالغيب والتسليم لحقائق الوحي، وقد أورد ٢٨ حديثاً في عقيدة المهدي وحاول تضعيف أسانيد بعضها، وكان واضحاً أن تشكيكه كان قائماً على نظرية في الاجتماع من قيام الملك بالعصبية، ومحاولة نسبة هذه العقيدة بتلك العصبية... ولكن إذا جعلنا معيار تقييم العقائد السياسية والحركات الاجتماعية فلا تسلم حتى العقيدة بأصل الدين من هذا المعيار ذي البعد الواحد... ولم يعرف ابن خلدون أن سلامة سند حديث واحد تكفي لقبول عقيدة غيبية، ولا يضر ضعف سند غيره، لأن مجرد الضعف لا يدل على كذب الحديث بل هو مؤيد له.

ويستعين المدرسي بقول للشيخ المحدث ناصر الدين الألباني: «إن عقيدة خروج المهدي عقيدة ثابتة متواترة عنه ﷺ يجب الإيمان بها لأنها من أمور الغيب، والإيمان بها من صفات المتقين كما قال تعالى: ﴿ألم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين. الذين يؤمنون بالغيب﴾ وإن إنكارها لا يصدر إلا عن جاهل أو مكابر، أسأل الله أن يتوفانا على الإيمان بها وبكل ما صَحَّ في الكتاب والسنة».

ونقول للمدرسي: حتى لو صحت تلك الأحاديث التي رفضها ابن خلدون، فإنها أحاديث عامة، لا تشير إلى ولادة أو وجود شخص باسم (محمد بن الحسن العسكري).

ونحن إنما نتحدث عن الإمام الثاني عشر، وليس عن (الإمام المهدي) المطلق، فلماذا تتهرب من صلب الموضوع لتستجير بموضوع آخر؟

ويا ليته تحدث أيضاً بلغة علمية! انظروا كيف يحاول إثبات دعاواه، فيقول: «كان أول من كتب من علماء السنة في هذه العقيدة الحافظ نعيم بن حداد المروزي، حيث عنون كتابه باسم «الفتن والملاحم»، وتوجد نسخة من الكتاب في المكتبة البريطانية حيث سجلت فيها بتاريخ ١٩٢٤م، كما توجد نسخ منها في مكتبات الهند وسوريا. والمؤلف من مشائخ علماء السنة، وقد توفي سنة ٢٢٧هـ.

وليس هذا إلا تهريج إعلامي في الحقيقة، فماذا قال المروزي؟ ومن هم رواته؟

وما هو سند الكتاب؟ وما هو رقم الكتاب في المكتبة البريطانية؟ وفي أي مكتبة بريطانية؟ وأين توجد النسخ الأخرى في مكتبات الهند وسوريا؟ ماهي عناوينها، وأرقامها؟ وهل اطلعت عليها مباشرة ورأيتها بعينك؟ أم تنقل عن أناس لا تعرفهم؟ وحتى إذا صحت الدعوى، من يقول إن نسخة المكتبة البريطانية هي نسخة مسندة وأصلية وصحيحة وسالمة من التحريف والتصحيف؟

إن السيد المدرسي يحاول أن يوحي لنا بأن الحافظ المروزي الذي توفي سنة٢٢٧هـ قد قال شيئاً عن الإمام المهدي، ولما كان هذا التاريخ قبل ولادة الإمام الثاني عشر المفترض، فإنه لا بد أن يكون إعجازاً وتنبُّؤاً بالغيب وله علاقة بذلك.

وهكذا يحاول المدرسي أن يدعونا للإيمان بـ (الحقيقة الكبرى، حقيقة الإمام الغائب، والوحي النازل من الغيب). . . »[١].

ـ رد السيد أحمد الكاتب على صادق الحسيني الشيرازي:

جاء في بعض جوانب رد السيد أحمد الكاتب على السيد صادق الحسيني الشيرازي في حواره معه في كتابيه «المهدي في القرآن» و«المهدي في السنة» قوله:

«وكان من المفترض بعد قبول الشيعة بالفكر الديمقراطي، تجاوز الفكر الطائفي القديم والتخلي عنه، أو عدم التحمس الزائد له.

إلا أن بعض رجال الدين لم يستوعبوا التطورات الجذرية التي حصلت في الفكر السياسي الشيعي، ولا زالوا يحاولون جر الناس إلى الماضي السحيق، ويتشبثون بكل خرافة وأسطورة.

وبدلاً من أن يعتمدوا على القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الثابتة والصحيحة، إذا بهم يعتمدون على التأويلات التعسفية والأخبار الضعيفة والمختلقة، ويبنون نظريات خاصة يتهمون من لا يؤمن بها بالخروج من الدين وفي هذا تطرف كبير وغلو وفتنة وفساد كبير وتمزيق لوحدة الأمة الإسلامية.

---

(١) المصدر السابق (ص ٨٣ ـ ٨٤).

ولهذا كانت دعوتنا إلى الاهتمام بموضوع (الإمام المهدي) ودعوة العلماء الشيعة لإعادة النظر في الأدلة التاريخية التي تتحدث عن ولادته واستمرار حياته منذ أواسط القرن الثالث الهجري إلى اليوم، أو على الأقل إلى الاجتهاد في هذا الموضوع كما يجتهدون في مواضيع الطهارة والنجاسة والصلاة والصوم وسائر العبادات.

ولكن مع الأسف الشديد قابل كثير من العلماء دعوتنا لدراسة الموضوع بالإهمال والإصرار على اتباع منهج التقليد، ومن هؤلاء العلماء المرجع السيد صادق الشيرازي الذي كتب ونشر عدة كتب حول الموضوع خلال السنوات الماضية، ولكنها خلت من أي مستوى من مستويات البحث والاجتهاد، وظلت تدور في إطار الجمع والتأليف، ولم يكتف بذلك وإنما اعتبر مَنْ لا يؤمن بوجود (الإمام المهدي) كافراً بنبوة النبي محمد ﷺ»[1].

- آية الله العظمى أبو الفضل البرقعي[2] مع الكليني في كتابه «الكافي» في مولد محمد بن الحسن العسكري:

يقول آية الله العظمى أبو الفضل البرقعي في وصف كتاب «الكافي» للكليني:

«فإن لكل قوم صنماً خاصاً بهم، وذلك الصنم قد يكون حجراً أو شجراً أو إنساناً

---

(١) السيد أحمد الكاتب: «حوارات أحمد الكاتب مع المراجع والعلماء والمفكرين حول وجود الإمام الثاني عشر» ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، الدار العربية للعلوم، الناشرون، بيروت، (ص ٢٠٧ـ٢٠٨).

(٢) العالم المجاهد آية الله العظمى العلامة السيد أبو الفضل بن الرضا البرقعي رحمه الله تعالى (يرجع بنسبه إلى آل البيت) تلقى علومه في الحوزة العلمية في قم في إيران، ونال درجة الاجتهاد في المذهب الجعفري الاثني عشري، له مئات التصانيف والمؤلفات والبحوث والرسائل.
نبذ التعصب الطائفي المقيت ونبه إلى ضرورة الرجوع إلى دراسة القرآن والسنة.
عُذِّبَ وأُهين في زمن الشاه وفي زمن الثورة الخمينية، جرت محاولة لاغتياله في زمن الثورة الخمينية أصيب فيها ببعض الأذى لكنها لم تؤد إلى وفاته، كتبه محظورة الطبع والتداول في إيران، توفي رحمه الله في عام ١٩٩٢م، ووصى ألا يدفن في مقابر الشيعة (عن كتاب «كسر الصنم» لمترجم الكتاب الدكتور عبدالرحيم ملا زادة البلوشي).

أو يكون كتاباً، فكل ما يجعل الإنسان منحرفاً عن مسيرة العقل الصحيح وينتج عنه التعصب الذميم يمكن أن يسمى صنماً، ومن ذلك كتاب «أصول الكافي» الذي يخالف القرآن في معظم محتوياته وموضوعاته، فإن هناك فئة يعدون موضوعاته وحياً إلهياً بل يعدونه أعلى من كتاب الوحي، فهم لا يعدون القرآن كافياً، في حين أنهم يعدون هذا «الكافي» كافياً لسعادتهم، ويتعصبون لهذه العقيدة، ويخضعون للذين مجّدوا هذا الكتاب مع أنهم لم يدرسوه ـ كما يجب ـ ونحن بعد أن أجرينا عليه الدراسة اللازمة نقول:

إن هذا الكتاب يجمع المتناقضات والأضداد ويضم بين دفتيه من الخرافات ما لا يحصى»[1].

لقد أجرى أبو الفضل البرقعي دراسة لأحاديث أبواب كتاب «الكافي» للكليني، دراسة علمية لأسانيدها ومتونها مبيناً بذلك ما وصف به هذا الكتاب واحتواءه على الكثرة الكثيرة من الأحاديث الضعيفة والمختلقة والخرافات التي ألفها الغلاة من الشيعة الإمامية الاثني عشرية، معتمدين في سند هذه الأحاديث على رواة ضعفاء أو مجهولين أو مختلقين لا وجود لهم.

ومن بين أبواب هذا الكتاب الذي أجرى له دراسة في سند أحاديثه ومتونها ـ باب مولد الصاحب رضي الله عنه ـ أي مولد (محمد بن الحسن العسكري) فيقول[2]:

«روى الكليني في هذا الباب واحداً وثلاثين حديثاً، وعَدَّ العلامة المجلسي اثنين وعشرين منها بين ضعيف ومجهول.

وجمع الكليني هذه الأخبار لإثبات ولادة الإمام ووجوده، مع أن رواة هذه الأخبار على الأكثر مجهولو الأحوال ومجهولو الهوية وضعاف، ولا يَثبتُ شيءٌ بقولِ

(١) آية الله العظمى أبو الفضل البرقعي: «كسر الصنم»، ترجمة الدكتور عبدالرحيم ملا زادة البلوشي، ط٢، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، دار البيارق، عمان، مقدمة المؤلف الأولى، (ص ٢٩).

(٢) انظر: «كسر الصنم» لآية الله العظمى أبو الفضل البرقعي، ترجمة الدكتور عبدالرحيم ملا زادة البلوشي، ط٢، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، دار البيارق، عمان، (ص ٣١٨ ـ ٣٢٤).

هؤلاء ولم يأت هؤلاء في رواياتهم بما يدل على رؤية الإمام.

ولندرس هذه الأخبار واحداً واحداً:

أما الحديث الأول:

فقد روى عن أحمد البرقي الشَّاكّ في الدين والمذهب، وقد أخرجه أهلُ قم منها. هذا الشخص روى أن توقيعاً جاء من الإمام الحسن (العسكري) لما قتلوا الزبيري وكان قد كتب فيه (أي في التوقيع): هذا جزاءُ مَنْ زعم أنه يقتلني وليس لي عَقِبٌ، ثم أضاف البرقي نفسه قال: وُلِدَ له ولد، ولكنه لم يأتِ بالدليل.

وأما الحديث الثاني:

فقد نقل الرواة المجهولو الأحوال، عن رجل من أهل فارس لم يذكر اسمه ولا مذهبه ومسلكه أنه قال: كنت في بيت أبي محمد (أي الحسن العسكري) فرأيت جارية معها شيء معطر، قلت لها: اكشفي عما معك، فكشفت عن غلام أبيض حسن الوجه، وكشف عن بطنه فإذا به شعر نابت من لبته إلى لبته أخضر ليس بأسود، ثم قال: هذا صاحبكم.

والآن من هذا الفارسي؟ لا أحد يعلم ذلك! ومن كانت تلك الجارية، ومن كان ذلك الطفل؟ أيضاً لا أحد يعلم.

أما الحديث الثالث:

نقله رجل سمي بغانم الهندي الذي ذهب إلى بغداد، وجاء أحدهم إليه وقال له: هل أنت غانم الهندي، قال: نعم، وأخذه إلى بستان فرأى شخصاً جالساً، فقال له مرحباً يا فلان، وتكلم معه باللغة الهندية وسأله عن حاله، وقال له: هل تريد أن تحج مع أهل قم، قال: نعم، قال: لا تحج معهم، وانصرف سنتك هذه وحج في قابل.

والآن لا أحد يعلم من الذي رآه وقال له لا تذهب إلى الحج!

هل كان غرض ذلك الهندي المجهول أن يثبت المذهب الاثني عشري بهذه التفاصيل التافهة، وهل يثبت المذهب بكلام رجل هندي مجهول الحال؟ وهل يجوز

لأحد أن يأتي بمذهب بعد نبي الإسلام ودين الإسلام؟ هل يجوز أن تنحصر الإمامة والقيادة باثني عشر شخصاً»؟!

أما الحديث الرابع:

فيه حسن بن نضر، وأبو صدام الذي كان وكيل ناحية على حَدِّ قولِ الممقاني في المجلد الأول من كتابه في الرجال (ص ٣١٢)، وكانت قد تجمعت لديه أموال، وتَحيَّرَ وقام بالتحقيق حتى ذهب إلى سر من رأى وأخذوه إلى بيت عليه ستر فنودي منه، اْحمدِ اللهَ ولا تَشُكَّنَّ. وأما هو فلم ير أحداً، ولم يعين من كان المنادي، وماذا كان حسبه ونسبه...

أما الحديث الخامس:

قال محمد بن علي بن مهزيار ـ الذي ادعى أبوه علي بن مهزيار الوكالة عن الأئمة وجمع مالاً كثيراً وأنفقه على نفسه ـ كنتُ أشكُّ في وجود الإمام، وعدم وجود إمام بعد سيدنا العسكري ـ وقد جُمعت أموال كثيرة عند أبي، وحملها أبي وركب السفينة، وخرجت معه ماشياً[1]، فتوعك توعكاً شديداً، وقال: يا بني رُدَّني فهو الموت. وقال لي: اتق الله في هذا المال، وأوصى إلي فمات. فقلت في نفسي: لم يكن أبي ليوصي بشيء غير صحيح، وحملت الأموال معي إلى العراق، واشتريت داراً على الشط وبقيت أياماً... إلى أن يقول في النهاية: حتى وصلتني رقعة فيها: جعلناكَ مكان أبيك.

هذا الوكيل ابن الوكيل لا رأى الإمام ولا نقل دليلاً. فهل يمكن إثبات شيء عن طريق هؤلاء الوكلاء الذين جمعوا أموال الناس، وكانوا متحيرين! ربما كانوا من الذين جمعوا أموال الشيعة البسطاء باسم الوكالة وسرقوها.

---

(١) الأب علي بن مهزيار يركب سفينة ـ لا يخبرنا الراوي من أين؟ـ ومعه أموال كثيرة باسم الإمام العسكري، ولا ندري هل ركب سفينة في البحر، أم ركب سفينة الصحراء (أي الجمل)!؟ بينما ابنه محمد بن علي خرج معه ماشياً!؟ ويتوعك الأب ويوصي ابنه بالمال، وحمل الابن المال إلى العراق واشترى داراً على الشط، وإذ به تصله رقعة فيها: جعلناك مكان أبيك!؟ (الناشر).

أما الحديث السادس:

فهذا أقل صدقاً من الكل، لأن أبا عبدالله النسائي (ولا يُعلم اسمه ولا عمله) يقول: أوصلت أشياء إلى المرزباني، ولا أحد يعلم مَنْ هو وماذا كان عمله، ولماذا أوصل إليه أموالاً حيث كان سوار، وردّه وأمر بكسره، فكسره وأرسل له الذهب الخالص وقبل.

والآن يرد السؤال: من هو أبو عبدالله النسائي، ومن هو المرزباني؟ وذهب ذلك السوار ترى من أية مسكينة كان؟ وما هذا الخبر الذي لا أول له ولا آخر؟!

نرجو من الله أن لا يكتشف أعداء الإسلام أن في كتبنا مثل هذه الخرافات![1].

أما الحديث السابع:

فهو أكثر نقصاً من سابقه لأنه يقول: قال الفضل الخزاز المديني ـ ولا يُعلم من هو وماذا كان عمله ـ قال: إن قوماً من أهل المدينة من الطالبيين كانوا يقولون بالحق، وكانت الوظائف ترد عليهم، فلما توفي أبو محمد (سيدنا الحسن العسكري) رجع قوم منهم عن القول بالولد، فوردت الوظائف على مَنْ ثبت منهم على القول بالولد وقطع الباقين.

حسن! ما نتيجة هذا الخبر، وما الفائدة منه؟ وما هدف الكليني من ذكره؟ لا أحد يعلم ذلك، ربما كان ذلك بشأن كثرة سواد الجيش، بالله عليكم هل هذا الحديث صحيح»؟!

أما الحديث الثامن:

فهو مثل سابقيه، لأنه يقول: أوصل رجل من أهل السواد مالاً!

والآن من كان هذا الرجل؟ وماذا كان اسمه؟ وأي مال هذا؟ وأين أوصله؟

---

(١) وهل واضعو مثل هذه الخرافات إلا أعداء الإسلام والمسلمين، هدفهم هدم الإسلام وتشويه صورته المشرقة.

لماذا لم يعين في هذا الحديث؟

ثم رد عليه وقيل له: أخرج حق ولد عمك.

ونتساءل: القرآن يقول: لا يعلمُ الغيبَ إلا الله. فمن هذا الذي أخبر عن الغيب، إن كان هو الإمام فهل يُوحَى إليه؟ وإن كان مرشداً أو شيخاً أو شيطاناً ـ نعم يمكن أن يكون ذلك من وحي الشيطان ـ وبالإضافة إلى ذلك لا يُعرف الراوي محمد بن علي، ومن كان المقصود أصلاً؟

وأما الخبر التاسع:

قال قاسم بن الهلال، وكأنه كان وكيلاً لأخذ الأموال: ولد لي عدة بنين، فكنت أكتب وأسأل الدعاء فلم يأت الجواب وماتوا كلهم، فلما ولد لي الحسن ابني كتبتُ وتضرعت فأُجبت.

والسؤال هو إلى من كتب؟ لا يُعلم، وإن كان كتب للإمام هل كان الإمام يعلم الغيب ويعلم أن أبناءه لا يبقون حتى لم يجب.

وبالإضافة إلى ذلك يقول: إن احترام الإمام مع الخدام يعني أن الوكلاء يخبرون عن الغيب عن الإمام وتكون لهم معجزات. وذلك لكي يزيد الناس في دفع الأموال، وإلا فإن العالم ليس مخبراً عن الغيب، ثم إنه يمكن أن يكون ابنه الحسن بقي قَدَراً كما مات البقية قَدَراً، فلم يكن ثمة دعاء مستجاب ولا معجزة؟!

أما الخبر العاشر:

وهذا أيضاً مهمل كسابقه لأنه يقول: قال أبو عبدالله بن صالح ـ المجهول الحال، ولا نعلم مذهبه ولا عمله ـ خرجت سنة من السنين من بغداد ـ ولا معنى لهذه الجملة ـ ولا بد أن يقول خرجت من بغداد فاستأذنت في الخروج فلم يؤذن لي، فأقمت اثنين وعشرين يوماً فأذن لي.

لا أحد يعلم ممن استأذن هذا المجهول، ومن أذن له بعد اثنين وعشرين يوماً.

وماذا يريد الكليني أن يثبت بهذه القصص التي لا أول لها ولا آخر؟

أما الخبر الحادي عشر:

فهو أيضاً كسابقه، لأنه روي عن مجهول عن نضر بن صباح البجلي، وهو أيضاً مجهول ومهمل، وهذا روى عن مجهول آخر يسمى محمد بن يوسف الشاشي، قال: خرج لي باسورٌ في مَقعدتي فأريته الأطباء، وأنفقت عليه مالاً، فقالوا: لا نعرف له دواء، فكتبتُ رقعة أسأل الدعاء، فوقّع عليه السلام إليَّ: ألبسكَ الله العافية وجعلك معنا في الدنيا والآخرة. قال: فما مرت علي جمعة حتى عوفيت.

والموضوع هنا: هو أن هذا المجهول يريد أن يقول: إن الإمام مستجاب الدعوة، وإن كان الأمر كذلك فقد كان من الواجب أن يشفى فوراً لا بعد أسبوع.

بالإضافة إلى ذلك إذا فتح رأس الباسور فإنه يشفى بعد عدة أيام سواء كان الداعي مستجاب الدعوة أم لم يكن.

ولا ندري هل يقصد الكليني بهذه الأخبار أن يملأ كتابه أم ترى كان له هدف آخر، وإلا فإن هذه الأخبار لا تَرُدُّ باطلاً ولا تُثْبِتُ حقاً؟

الخبر الثاني عشر:

هو أيضاً كسابقه، روى علي المجهول، عن علي بن الحسن اليماني، وهو أيضاً مهمل مجهول، قال: كنت ببغداد فتهيأت قافلة لليمانيين، فأردت الخروج معها، فكتبت ألتمس الإذن في ذلك، فجاءت رسالة فيها: لا تخرج معهم، فليس لك في الخروج معهم خيرة وأَقِمْ في الكوفة، فأقمتُ وخرجت القافلة فخرجت عليهم (حنظلة) وهي قبيلة فاجتاحتهم. وكتبت أستأذن في ركوب الماء فلم يؤذن لي، فسألت عن المراكب التي خرجت في تلك السنة في البحر فما سَلِمَ منها مركب. ثم يقول: ذهبت إلى سامراء وصليت في المسجد، وبعد فراغي من الزيارة إذ بخادم قد جاءني فأخذني إلى بيت حسين بن أحمد، ثم سارّه ـ ولم أَدْرِ ما قال له ـ حتى آتاني جميعَ ما أحتاجُ إليه، وجلست عنده ثلاثة أيام، واستأذنته في الزيارة من الداخل فأذن له، فزرته ليلاً.

من هو هذا المستأذن؟ وهل كل من أراد السفر عليه أن يستأذنه من جهة الإمام الغائب، إن كان قصده من الإذن هي الجهة، فإن هذا الجواب الذي أتى به مخالف

للقرآن لأن الله قال في سورة الأحقاف لرسوله: (قُلْ... ما أدري ما يُفعَلُ بي ولا بِكُمْ) ولكن هذا المجهول يقول: إن المجيب علم أن اللصوص يهاجمون القافلة الفلانية، أو يهلك المسافرون في البحر. وهذا خلافُ القرآن، وبالنهاية أخذوه إلى بيت حسين بن أحمد. من كان هذا؟ وماذا كان عمله؟ ولماذا بقي عنده ثلاثة أيام؟ ودار مَنْ؟ وما معنى الداخل والخارج؟.

إن الناس يظنون أن كتاب «الكافي» كتاب علمي معقول، ولا يتوقعون أبداً أن يكون فيه مثل هذه الموهومات والمهملات والخرافات.

الحديث الثالث عشر:

هو كسابقيه بل أشد خرافة منها جميعاً، ولأنه طويل جداً فإنه يُشبه حديثَ المرءِ مع نفسه بحيث لا يرتبط أول الكلام بآخره، وليته احتوى موضوعاً علمياً أو معقولاً.

الحديث الرابع عشر:

روى علي وهو شخص مجهول، عن مجهول، عن محمد بن الحسن، وهو مجهول ومهمل، قال: شككت في أمر حاجز (حاجز بن يزيد الذي كان يدعي وكالة الإمام الغائب وما عرف هويته) فجمعت شيئاً ثم صرت إلى العسكر (سر من رأى) فوصلتني رسالة تقول: ليس فينا شَكٌّ ولا فيمن يقوم مقامنا بأمرنا، رُدَّ ما معكَ إلى حاجز بن يزيد.

انظروا إلى هذا الحديث، قال مجهول: شككت في أمر مجهول آخر، ثم ذهبت إلى سامراء، وكتب مجهول لم أره، هل هذا أصبح مُدْرَكاً دينياً، هل هذه الخرافات هي علوم الأئمة.

الحديث الخامس عشر:

روى علي بن محمد، وهو غير معلوم الحال، عن محمد بن صالح، وفيه اختلاف عند علماء الرجال. هل وكيل الدهقان مجهول الحال أم وكيل سيدنا العسكري، أو وكيل ابنه؟ وكان من الذين جمعوا أموالاً باسم الإمام!

ترى ماذا عمل بتلك الأموال! لا يعرف ذلك أحد، لأن الإمام إذا غاب لم تعد له حاجة في أموال الناس.

على كل حال يقول هذا الذي لا يُعلم حاله: عندما توفي أبي صار الأمر لي، وكان لأبي على الناس سفاتج من مال الغريم ـ يقول الممقاني يعني من مال الإمام ـ (يظهر أن أباه أيضاً أخذ المال باسم الإمام) فكتبت إليه أعلمه، فكتب: طالبهم واستقضي عليهم. فقضى في الناس إلا رجلاً واحداً كانت عليه سفتجة بأربعمئة دينار، فجئت إليه أطالبه، فماطلني واستخفَّ بي ابنه وسَفَّه عليَّ، فشكوته إلى أبيه، فقال: وماذا كان؟ فقبضتُ على لحيته وأخذت برجله، وسحبته إلى وسط الدار، وركلته ركلاً شديداً، فخرج ابنه يستغيث بأهل بغداد، ويقول: قُمِّيٌّ رافضي قتلَ والدي، فاجتمع علي خلق كثير، فركبتُ دابتي وقلت: أحسنتم يا أهل بغداد تميلون مع الظالم على الغريب، أنا رجل من أهل همذان من أهل السنة، وهذا ينسبني إلى أهل قم والرفض، ليذهبَ بحقي ومالي، فمالوا عليه وأرادوا أن يدخلوا حانوته حتى أوقفتهم، وطلب إلى صاحب السفتجة، وحلف بالطلاق أن يوفيني مالي متى أبعدتهم عنه.

انظر كيف أخذوا أموال الناس بالقوة باسم وكالة الإمام، وفضلاً عن هذا جمعوا هذه الأشياء كأحاديث ذكروها في خيرة كتبهم باسم علوم الأئمة، وأثبتوا هذه الخرافات كأدلة على وجود إمام الزمان وولادته، مع أنها لا تتعلق بالولادة ولا بالزعامة أبداً.

وأخبار هذا الباب كلها من هذا القبيل، وفيها أسوأ من هذه، ونقل الأخبار من علم الغيب عن الإمام الغائب على الأكثر، وناقلوها لم يطلعوا على القرآن... وهم كذلك مجهولو الأحوال، وارجع أيها القارىء الكريم إلى باقي الأخبار في هذا الباب فستجد الغرائب».

الدليل الرابع: الإعجازي على وجود (محمد بن الحسن العسكري)[1]:

بالإضافة إلى الأدلة (العقلية والنقلية والتاريخية) على وجود (محمد بن الحسن العسكري) فإن المؤيدين لنظرية الوجود هذه يوردون دليلاً رابعاً هو (المَعَاجز) أو (علم

(١) انظر: «تطور الفكر السياسي الشيعي»: أحمد الكاتب، ط١، ١٩٩٧م، (ص ١٥٩ ـ ١٦٠).

الغيب) التي يقولون إن (النواب الأربعة) كانوا يقومون بها ويتحدثون عن علم الغيب هذا، وقد استعرضنا كثيراً من تلك (المعاجز) في أثناء الحديث عن الروايات التاريخية حول ولادة (ابن الحسن) ووجوده في الفصل الماضي.

وسوف نستعرض (المعاجز) التي قدمها النواب الأربعة (عثمان بن سعيد العمري، ومحمد بن عثمان، والحسين بن روح النوبختي، وعلي بن محمد السمري) (وكلاء) (الإمام المهدي) في فترة: (الغيبة الصغرى) التي امتدت حوالي سبعين عاماً من ٢٦٠هـ إلى ٣٢٩هـ تاريخ وفاة (النائب الرابع).

وقد ذكر الشيخ المفيد في كتاب «الإرشاد» قصة محمد بن إبراهيم بن مهزيار، الذي شكك في وجود (الإمام المهدي) بعد وفاة الإمام الحسن العسكري، والذي يقول: إن أباه قد أوصى إليه بمالٍ جليل، وأمره أن يتقي الله فيه ويسلمه لخليفة الإمام العسكري، فقال في نفسه: «أحمل هذا المال إلى بغداد وأكتري داراً على الشط ولا أخبر أحداً بشيء، فإن وضح لي شيء كوضوحه في أيام أبي محمد (الحسن العسكري) أنفذته، وإلا أنفقته في ملاذي وشهواتي».

فقدم بغداد واكترى داراً على الشط وبقي أياماً، فإذا برقعة مع رسول، وفيها: «يا محمد معك كذا وكذا. . . » حتى قَصَّ عليه جميع ما معه وذكر في جملتها شيئاً لم يحط به علماً، فسلَّمَ المالَ إلى الرسول، وبقي أياماً ثم خرج إليه إعلان بنصبه (وكيلاً) مقام أبيه[1].

وذكر الكليني والمفيد والطوسي أمثلة كثيرة على (معاجز) النواب، وعلمهم بالغيب، كدليل على ارتباطهم بالإمام المهدي، وعلى وجود المهدي وارتباطه بالسماء. ومنها:

- قيام الإمام المهدي برفع جمل وما عليه في السماء.
- نهي الإمام المهدي لرجل عن ختان ابنه، وموت الطفل بعد ذلك بقليل.

---

(١) المفيد: «الإرشاد» (ص ٣٥١).

- نهي رجل عن السفر في البر والبحر وأمره بالإقامة في الكوفة، وخروج القراصنة وقطاع الطرق على القوافل في ذلك الوقت.

- قصة معرفة العمري بموضع أمانة نسيها الرسول بين أمتعته، مع عدم حمل الرسول لأية تذكرة أو كتاب حول الموضوع.

- إخبار العمري بتاريخ وفاته في اليوم والشهر والسنة.

- إخبار العمري الناس بالأجوبة العجيبة، وإخباره لرجل بتفاصيل خلاف سري بينه وبين زوجته.

قدرة النائب الثالث: الحسين بن روح النوبختي على قراءة رسالة بيضاء ومعرفته بمحتوياتها، والإجابة عليها بسرعة.

- إخبار علي بن بابويه الصدوق بولادة ولدين صالحين له في المستقبل.

- إخبار النوبختي باللغات الأجنبية والتكلم بها، من دون تعلم، بالمعجزة.

- إخبار النائب الرابع السمري لأصحابه، وهو في بغداد بنبأ وفاة علي بن الحسين ابن بابويه في قم في نفس اليوم.

- إخبار الشيعة بتاريخ وفاته بعد ستة أيام.

- إخبار الوكيل القاسم بن العلاء بقرب وفاته بعد أربعين يوماً، وإرجاع بصره إليه بعد فقده لمدة طويلة، وإخباره ببقاء ولده وعدم موته كإخوته السابقين.

- علم النواب بمصدر الأموال التي كانت ترد إليهم.

- إخبار محمد بن زياد الصيمري بوفاته، وموته في الوقت المحدد[1].

ويشير الطوسي إلى «دليل المعاجز» ويعتبره: «دليلاً على إمامة ابن الحسن وثبوت غيبته ووجود عينه، لأنها أخبار تضمنت الإخبار بالمغيبات وبالشيء قبلَ كَوْنِه

---

(١) الكليني: «الكافي» (١ / ٥١٩)، المفيد: «الإرشاد» (ص ٣٥٢ ـ ٣٥٥)، الطوسي: «الغيبة» (ص ١٧٩ و٢٢٢ و١٨٤ و١٨٨ و١٩٢ و١٩٣ ـ ١٩٥ و٢٤٣).

على وجهٍ خارقٍ للعادة لا يعلم ذلك إلا من أعلمه الله على لسان نبيه ﷺ ووصل إليه من جهة مَن دلّ الدليل على صدقه، لأن المعجزات لا تظهر على يد الكذابين، وإذا ثبت ذلك دلّ على وجود من أسندوا ذلك إليه»[1].

ـ نقد ومناقشة دليل المعاجز[2]:

من الملاحظ أن معظم تلك (المعاجز) التي يدعيها القائلون بوجود (المهدي محمد بن الحسن العسكري) والتي ينقل أكثرها الطوسي، يدور حول محور (علم النواب الأربعة بالغيب) وهي تحاول إثبات صحة دعاوى النواب بالوكالة والنيابة عن (الإمام المهدي) وبالتالي (صحة وجوده).

وقد لجأ (النواب الأربعة) وغيرهم من أدعياء النيابة الذين تجاوز عددهم العشرين إلى سلاح (المعاجز) بعد أن أعيتهم الحيلة لإثبات دعاواهم في النيابة، في غياب النصوص والأدلة العلمية على ولادة (الإمام) أو صحة نيابتهم عنه، كما لجأ إلى ذلك من قبل محمد بن بشير الذي ادعى الوكالة عن الإمام موسى الكاظم، بعدما ادعى الواقفيةُ هروبه من السجن وغيبته ومهدويته، لإثبات دعاواهم الواهية في النيابة عنه.

وإذا ألقينا ـ كمثال ـ نظرة على قصة (الوكيل): محمد بن إبراهيم الأهوازي الذي يعترف أنه كان يشك بوجود محمد بن الحسن العسكري في البداية، وأنه حمل الأموال التي كانت لدى أبيه إلى بغداد، واستأجر داراً على شاطىء دجلة، وفكر بصرف الأموال على ملذاته وشهواته، ثم تحوله إلى ادعاء (الوكالة) التي تدر عليه ربحاً مستمراً حتى آخر يوم من حياته، وذلك بتأليف قصة الاتصال الغيبي مع العمري.

وإذا ألقينا نظرة على هذه القصة، فإننا سنكتشف العلاقة بين ادعاء (المعاجز) للإمام المهدي وادعاء (النيابة عنه).

ولسنا بحاجة ماسّة لمناقشة «دليل المعاجز» أو «العلم بالغيب» فإن هذا الأمر لم

---

(١) الطوسي: «الغيبة» (ص ١٩٩).

(٢) انظر: «تطور الفكر السياسي الشيعي»: أحمد الكاتب، ط١، ١٩٩٧م، (ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣).

يثبت لأحد من الأئمة الأحد عشر السابقين من آل البيت، ولم يكن رسول الله ﷺ هو الذي كانت له قابلية الاطلاع من الله على علم الغيب، لم يكن ليدعيه أو يمارسه بمثل ما كان يدعيه (النواب) ويشيعون عن أنفسهم معرفته. وقد اعتمد الرسول الأكرم على العقل (ومعجزة القرآن) الخالدة، وقال للمشركين الذين طالبوه بإتيان المعاجز والآيات الخارقة، كتفجير الينابيع من الأرض وإسقاط السماء كسفاً والرقي في السماء، وإنزال الكتب منها، قال لهم: ﴿سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾ [الإسراء: ٩٣]!! وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ [العنكبوت: ٥٠]، وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ﴾ [الإسراء: ٥٩].

فإذا لم يكن الرسول الأعظم ﷺ يستخدم المعاجز والآيات لإثبات رسالته، فكيف استطاع (النواب الأربعة) استخدامها لإثبات نيابتهم؟ ومن الذي يؤكد حصول ذلك؟ علماً بأن الطوسي الذي يذكر معظم تلك (المعاجز) الوهمية قد جاء بعد عصر النواب بمئة عام أو أكثر. وقد اعتمد على تلك الروايات، وهي أخبار آحاد متهافتة جداً صادرة عن الغلاة والمشبوهين وذوي المصالح المادية في وضعها، ولا توجد رواية واحدة منها يمكن الاعتماد عليها بعد تنقيح السند، وهي تشتمل على عدة نقاط غامضة، فتروى عن المجاهيل، أو عن أشخاص بدون أسماء، وتعتمد على الادعاء الفارغ دون دليل.

وإن من السهل جداً وصف تلك (المعاجز) المدعاة، بـ (الكذب والاختلاق أو السحر والشعوذة والمخاريق) وهو ما يسقطها عن الحجية، وعن أن تكون (معاجز) خارقة للعادة وحاسمة للجدال. وكان الشيخ الصدوق في «إكمال الدين» قد برر عدم لجوء الإمام أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب رضي الله عنه) إلى سلاح (المعاجز) لإثبات حقه بالخلافة، بسبب احتمال تفسير الآخرين لها بالسحر والشعوذة والمخاريق[1].

وقد رفض والده علي بن بابويه الصدوق ادعاء الحلاج بالنيابة عن الإمام المهدي

---

(١) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ١٠٩).

ومعرفته للغيب، وأمر بإخراجه من دكانه ركلاً بالأرجل![1].

إن (المعاجز الغيبية) متعارضة مع القرآن الكريم الذي ينفي علم الغيب عن أي بشر، ويقول: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾، ويقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ويقول: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾.

ومن هنا لم يشر السيد محمد باقر الصدر... في (بحث حول المهدي) إلى مسألة معاجز النواب الأربعة كدليل على صحة نيابتهم وادعائهم في وجود (الإمام محمد بن الحسن العسكري)[2].

الدليل الخامس: الإجماع على وجود (محمد بن الحسن العسكري)[3]:

بعد الدليل العقلي، والروائي (النقلي)، والتاريخي، ودليل المعاجز الغيبية الخارقة للعادة، يأتي دليل الإجماع الذي يشير إليه بعض القائلين بنظرية وجود (محمد ابن الحسن العسكري) وولادته.

وأول من أشار إلى دليل الإجماع هو سعد بن عبدالله الأشعري القمي في «المقالات والفرق»[4].

ونقل الصدوق عن النوبختي: أن الشيعة أجمعوا على أن الإمام الحسن العسكري قد خلف ولداً هو الإمام، وقال: إن كل من قال بإمامة الأحد عشر من آباء القائم لزمه القول بإمامة الثاني عشر، لنصوصِ آبائهِ عليه باسمه ونسبه وإجماع شيعتهم على القول بإمامته، وأنه القائم الذي يظهر بعد غيبة طويلة فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً[5].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) محمد باقر الصدر: «بحث حول المهدي» (ص ٣٦).

(٣) انظر: «تطور الفكر السياسي الشيعي»: أحمد الكاتب، ط١، ١٩٩٧م، (ص ١٦١).

(٤) سعد بن عبدالله الأشعري القمي: «المقالات والفرق» (ص ١٠٦).

(٥) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٤٤ و٩٣).

وهذا ما يتبادر لأذهان الناس اليوم، حيث يحتج الكثير من الناس بأن قضية وجود (الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري) هي من الأمور المجمع عليها بين صفوف الشيعة الإمامية الاثني عشرية على الأقل.

نقد ومناقشة دعوى الإجماع

كدليل على وجود (محمد بن الحسن العسكري)[1]:

من المعروف أن الإجماع عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية لا يعتبر دليلاً مستقلاً، إلا إذا كان كاشفاً عن رأي المعصوم، ولم يكن يستند إلى دليل قرآني أو روائي (نقلي) أو عقلي، فإذا كان يستند إلى آية من القرآن الكريم، فيمكن مراجعة الآية والنظر في الأمر.

وقد يختلف اجتهادنا عن اجتهاد السابقين الذين أجمعوا على ضوء فهمهم الخاص لها. فلا يصبح اجتهادهم أو الإجماع الذي بنوه على أساس ذلك الاجتهاد حجة علينا، لأن الحجة في القرآن، وهو ـ مثلاً ـ لا يدل عندنا على المطلوب.

وكذلك الأمر بالنسبة للأحاديث، وحكم العقل.

الحالة الوحيدة التي قد يصبح الإجماع فيها دليلاً شرعياً وحجة عند الشيعة، هي فيما إذا كان الإجماع موجوداً في مسألة معينة، ولم نكن نعرف مستند الإجماع، فنحتمل أنه مبني على حديث ـ عن المعصوم ـ لم يصلنا، وبالتالي نقطع على أنه معبر عن رأي المعصوم.

وهذا الإجماع لم يحصل إلا في الأجيال الأولى القريبة من عهد الأئمة وهو ما يعبر عنه بإجماع المتقدمين، فإذا لم يكن في مسألة إجماع عند المتقدمين، وحصل فيها بعد ذلك إجماع لدى المتأخرين فإنه ليس بحجة، لأنه لا يعبر عن رأي المعصوم، ولأن الإجماع بذاته ـ دون رأي المعصوم ـ غير حجة.

---

(١) انظر: «تطور الفكر السياسي الشيعي»: أحمد الكاتب، ط١، ١٩٩٧م، (ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥).

والإجماع حول مسألة وجود المهدي ليست من نوع الإجماع الوارد في بعض المسائل الفقهية الجزئية، بل هو ـ حسب الغرض ـ مبني على الأدلة العقلية والنقلية والتاريخية، وليس معبراً عن رأي أو قول لم يصل إلينا من الأئمة.

والإجماع الذي يدعيه الأشعري القمي أو النوبختي أو الصدوق غير حاصل أساساً في موضوع وجود (الإمام محمد بن الحسن العسكري)، ولم يختلف الشيعة الإمامية سابقاً في مسألة كما اختلفوا في موضوع (الخَلَف) حيث انقسموا بعد وفاة الإمام الحسن العسكري إلى أربع عشرة فرقة:

فقال بعضهم بمهدوية الحسن بن علي العسكري.

وقال بعضهم بمهدوية أخيه محمد.

وقال بعضهم بمهدوية أخيه الآخر جعفر.

وقال بعضهم بانقطاع الإمامة.

ولم يقل بوجود وولادة وإمامة ومهدوية (محمد بن الحسن العسكري) إلا فرقة واحدة من بين تلك الفرق الأربع عشرة.

وقد اختلفت هذه الفرقة أيضاً فيما بينها على أقسام، وذلك حول اسم وهوية المهدي!

وقد فصل النوبختي في كتابه «فرق الشيعة»، والأشعري القمي في كتابه «المقالات والفرق»، والمفيد في «الفصول المختارة من العيون والمحاسن»، والطوسي في «الغيبة» أخبار تلك الفرق التي أوصلها بعضهم إلى عشرين فرقة...

وقد نقل الصدوق والطوسي أخبار تشاجر الشيعة واحتكامهم إلى العمري حول وجود الخلف للإمام الحسن العسكري!

كل ذلك يدل على عدم وجود الإجماع في هذه المسألة عند الشيعة الأوائل، بل يوجد النص المضاد من الإمام الحسن العسكري، حيث أوصى لأمه ـ باتفاق جميع الشيعة ـ ولم يوصِ لأحدٍ غيرها، ولو كان له ولد حتى الرحم لكان أوصى إليه، وهذا ما

لم يحصل.

لذلك يمكننا القول ـ إذا استثنينا شرذمة قليلة ـ: إن إجماع الشيعة في القرن الثالث والقرن الرابع كان قائماً على عدم الإيمان بوجود (محمد بن الحسن العسكري).

وقد ذكر ذلك عامة مؤرخي الشيعة كالنوبختي، والأشعري القمي، والكليني، والنعماني، والصدوق، والمفيد، والطوسي، الذين أطلقوا على ذلك العصر اسم (عصر الحيرة).

* * * * *



الفصل الثالث
ظاهرة الغيبة

ـ السبئية أول من قال بالغيبة:

يعد السبئية الغلاة أول من قال بفكرة المهدية في الإسلام، فقد قال ابن سبأ لما بلغه مقتلُ علي رضي الله عنه: والله لو جئتموني بدماغه في سبعين صرة لعلمنا أنه لم يمت حتى يسوق العربَ بعصاه، فلما بلغ ابن عباس ذلك قال: لو علمنا أنه يرجع لما تزوجنا نساءه ولا قسمنا ميراثه[١].

ويرى ابن حزم في الغيبة مؤثرات الأفكار اليهودية[٢].

ـ علاقة المهدية في التشيع بالمسيحية والمانوية:

ربط بعض المستشرقين فكرة المهدية في التشيع بالمسيحية، مثل جولدتسيهر، إذ يعتبر إيليا النموذج الأول لأئمة الشيعة الغائبين. وبعضهم ربطها بالمانوية، أمثال ماسينيون[٣].

ـ عقيدة الغيبة عند فرق الإمامية:

إن فكرة الإيمان بإمام خفي أو غائب تكاد توجد لدى معظم فرق الإمامية التي وجدت في التاريخ الإسلامي.

---

(١) الشريف الرضي: «نهج البلاغة» (٥ / ٤٢٥).

(٢) ابن حزم: «الملل والنحل» (٢ / ١٨٠١).

(٣) الدكتور كامل مصطفى الشيبي: «الصلة بين التصوف والتشيع» (ص ١١٨ و١٢١).

فتذهب هذه الفرق بعد موت مَنْ تَدَّعي الإمامةَ فيه من أهل البيت إلى إنكار موته، والقول بخلوده، واختفائه عن الناس، وعودته إلى الظهور في المستقبل، مهدياً يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

ولا تختلف هذه الفرق إلا في تحديد الإمام الذي تدعي له العودة، كما تختلف في تحديد الأئمة وأعيانهم، الذين يعتبر الإمام الغائب واحداً منهم.

ويعد ابن سبأ اليهودي أول من أدخل هذه العقيدة عليهم، ولذا فإن القمي والنوبختي ـ وهما من شيوخهم في القرن الثالث ـ والشهرستاني، قالوا بأن السبئية أول فرقة قالت بالوقف على علي وغيبته(١).

ثم انتقلت هذه الفكرة من السبئية إلى الكيسانية(٢)، حيث قالت لما مات محمد ابن الحنفية (أحد أبناء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه) ـ وكانت تدعي أنه إمامها ـ: «إنه حي لم يمت، وهو في جبل رضوى بين مكة والمدينة عن يمينه أسد، وعن يساره نمر، موكلان به يحفظانه إلى أوانِ خروجه وقيامه، وقد تغنى شعراؤهم بذلك حتى قال شاعرهم (كثير عزى):

ألا إن الأئمــــةَ مـــن قـــريـــش ... وُلاةُ الحــــقِّ أربعـــــةٌ ســـــواء

علـــيٌّ والثـــلاثـــة مـــن بنيـــه ... هــم الأسبــاط ليــس بهــم خفــاء

(١) انظر: «المقالات والفرق» للقمي (ص ١٩ ـ ٢٠)، «فرق الشيعة» للنوبختي (ص ٢٢)، «الملل والنحل» للشهرستاني (١ / ١٧٤).

(٢) هي فرقة من فرق الروافض تقول بإمامة محمد بن الحنفية، وسميت كيسانية نسبة للمختار ابن أبي عبيد الثقفي، لأن لقبه كيسان، وكذلك تسمى بالمختارية والكيسانية. فرق بلغت عند الأشعري إحدى عشرة فرقة، وقد ادعى المختار نزول الوحي عليه، وقال بالبداء وضلالات أخرى) عن كتاب «بروتوكولات آيات قم»: تأليف الدكتور عبدالله الغفاري، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، (ص ١٦).
انظر: عن الكيسانية: «مقالات الإسلاميين» (١ / ٩١). «الفرق بين الفرق» (ص ٢٣ و٣٩ ـ ٥٣)، «مسائل الإمامة للناشىء الأكبر» (ص ٢٥ وما بعدها)، «المقالات والفرق» (ص ٢١ ـ ٢٢).

فسبـــطٌ سبـــطُ إيمـــانٍ وبِـــرٍّ   وسبـــط غَيَّبتـــه كـــربـــلاء
وسبـــط لا يـــذوقُ المـــوتَ حتـــى   يقـــود الخيـــل يقـــدمها اللـــواء
تَغَيَّـــبَ لا يُـــرى عنـــا زمـــانـــاً   بـــرضـــوى عنـــده عســـل ومـــاء[1]

وقد حددت الكيسانية مدة غيبة ابن الحنفية بسبعين عاماً، وأنه سيظل هذه المدة بجبل رضوى، ثم يظهر فيقيم لهم الملك ويقتل لهم الجبابرة من بني أمية[2]. ولكن مضت السبعون سنة ولم تتحقق هذه الوعود[3].

ثم شاعت دعوى الغيبة بين فرق الروافض، فكل فرقة إذا مات إمامها أنكرت موته، وزعمت أنه غائب وسيعود، وتنفرد الاثنا عشرية عنهم بأنها زعمت وجودَ ولدٍ لم يولد أصلاً وقالت إنه غاب وهو رضيع، وسيعود، ووراء هذه الدعاوى في الغيبة سر.

ـ أسباب الغيبة:

بعد تقديم جميع الأدلة العقلية والنقلية والتاريخية على وجود (محمد بن الحسن العسكري) وولادته في منتصف القرن الثالث الهجري، فإن غيبته عن الأنظار وعدم خروجه وتصديه لقيادة الأمة الإسلامية، والاضطلاع بمهام الإمامة، يشكل تحدياً كبيراً للقائلين بوجوده.

ولذلك عليهم أن يفسروا (سر الغيبة)، وقد قدموا عدة نظريات في تفسير ظاهرة الغيبة المحيرة، وهي:

١ـ نظرية الحكمة المجهولة:

مال الشيخ الصدوق إلى هذه النظرية في «إكمال الدين» وقال بحتمية وجود

---

(١) انظر: «مسائل الإمامة» (ص ٢٦)، «مقالات الإسلاميين» (١ / ٩٢ ـ ٩٣)، «الفرق بين الفرق» (ص ٤١).
(٢) «مسائل الإمامة» (ص ٢٧).
(٣) عن «بروتوكولات آيات قم»: الدكتور عبدالله الغفاري، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، (ص ١٦ ـ ١٧).

حكمة في غيبة الإمام، انطلاقاً من آثار حكمة الله في حججه المتقدمين (الأئمة السابقين، وقال: إن إيماننا بعصمة الإمام المهدي يقتضي منا التسليم بوجود حكمة وراء غيبته[١].

وقد نفى السيد المرتضى علم الهدى ضرورة معرفة سبب الغيبة على وجه التعيين وكفاية علم الجملة بوجود سبب ما للغيبة، مع الإيمان بعصمة الإمام، واعتبر العلم في ذلك كالعلم بمراد الله من الآيات المتشابهات في القرآن الكريم[٢].

وقال الطوسي بضرورة افتراض سبب لغيبة (صاحب الزمان) واستتاره، والقول بوجود حكمة مسوّغة وإن لم نعلمها مفصلاً، كما يتم افتراض أسباب وحِكَمٍ لخلقِ الله عز وجل للبهائم والمؤذيات والصور القبيحة وإيلام الأطفال، وإن لم نعلم وجه حكمتها بالتفصيل.

وقال: إذا علمنا إمامته بدليل وعلمنا عصمته بدليل آخر، وعلمناه غاب، حملنا غيبته على وجه يطابق عصمته، فلا فرق بين الموضعين[٣].

وقال محمد حسين كاشف الغطاء في كتاب «أصل الشيعة وأصولها»: «إن السؤال عن الحكمة ساقط إذا قامت البراهين على وجوب وجود الإمام في كل عصر، وأن الأرض لا تخلو من حجة، وأن وجوده لُطفٌ، وتصرفه لطف آخر». واعتبر المقام أدق وأغمض من ذلك، كما اعترف بجهل الحكمة وعدم الوصول إلى حاقّ المصلحة[٤].

الرد ومناقشة هذه النظرية:

قال السيد أحمد الكاتب في حواره مع الشيخ محمد مهدي الآصفي في كلمته عن (الإمام المهدي) في مؤتمر عقد في لندن حول الموضوع في المركز الإسلامي الإيراني في شهر تشرين الثاني سنة ١٩٩٩م.

---

(١) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٢١ و٨٥).
(٢) الطوسي: «تلخيص الشافي» للمرتضى (٤ / ٢١١).
(٣) الطوسي: «الغيبة» (ص ٥٧ ـ ٥٨).
(٤) «أصل الشيعة وأصولها»: محمد حسين كاشف الغطاء (ص ٧١).

«إن معنى الإمام وفلسفته في الفكر الإمامي هو المُطَبِّق للدين والقائد والمنفذ، والخليفة والحاكم، وهو ما يعنونه بقولهم: لا بد في الأرض من إمام، وإلا فإن الله عز وجل لديه ملائكة كثيرون، وهو ليس بحاجة إلى أحد لكي يحفظ الكون كما يقول بعض الغلاة.

إذن فإن الغيبة الطويلة تتناقض مع مهمة الإمامة وفلسفتها، ولا يجوز أن نحتم على الله أن يعين إماماً من عنده للأمة ثم نقول: إنا لا نعرف ما هو وجه الحكمة في اختفاء هذا الإمام.

إذن لماذا افترضنا وجوب تعيين الإمام، ورفضنا أن تقوم الأمة باختيار الإمام العادل؟

إن مثل الشيخ الآصفي كمثل من يقول بضرورة تعيين الدولة شرطياً للمرور في تقاطع طرق، ثم يقول: إن الشرطي غائب، وعندما نسأله عن الحكمة من وراء غيبة الشرطي الذي ترك الشوارع في حالة اضطراب، يقول: إن علم ذلك عند الدولة، أو أنه ينظم السير من وراء حجاب.

إما أن يكون وجود الشرطي المعين من قبل الدولة ضرورياً أو لا يكون، ولا يعقل أن نقول: إنه ضروري وإنه معين ولكنه غائب، وعلم ذلك عند الله، أو لا بد أن نريح أنفسنا بالقول أن على البلدية أن تنتخب شرطياً لتنظيم السير وأن ذلك من أعمالنا وليس من أعمال الملك، أو رئيس الوزراء[1].

٢ ـ نظرية التمحيص[2]:

المقصود بهذه النظرية هو تمحيص الشيعة وتمييزهم وغربلتهم من أجل التعرف

---

(١) أحمد الكاتب: «حوارات أحمد الكاتب مع المراجع والعلماء والمفكرين حول وجود الإمام الثاني عشر»، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، (ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥).

(٢) انظر: «تطور الفكر السياسي الشيعي»: أحمد الكاتب، ط١، ١٩٩٧م، (ص ١٦٤).

على حقيقة إيمانهم بالمهدي وصبرهم على البلاد.

وقد روى الصدوق والطوسي روايات عديدة في هذا المضمون عن الإمامين محمد الباقر وجعفر الصادق، ويتحدث بعض تلك الروايات عن عدم ظهور صاحب الأمر إلا بعد ذهاب ثلثي الناس، وعدم بقاء أحد إلا القليل، وعن غربلةِ الشيعة كما يُغربَلُ الزوانُ من القمح[1].

تقول رواية منها: «إنه لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة يغيبها حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنما هي محنة من الله امتحن بها خلقه، وأن عقولكم تصغر عن هذا الأمر، وأحلامكم تضيق عن حمله، ولكن إن تعيشوا تدركوه»[2].

وتشبه رواية أخرى من هذه الروايات: «غيبة المهدي بإبطاء العقوبة التي استنزلها نوح من السماء حتى أخذت طوائف من المؤمنين به تَرتَدُّ طائفةً بعد أخرى، وكذلك القائمُ فإنه تمتد أيام غيبته ليصرح الحق عن محضه، ويصفو من الكدر بارتداد كل من كانت طينته خبيثة من الشيعة الذين يخشى عليهم النفاق إذا أحسوا بالاستخلاف والتمكين والأمن المنتشر في عهد القائم»[3].

هذه النظرية لم يأخذ بها إلا الصدوق، وأهملها المفيد والمرتضى والطوسي، وإن كانوا قد ذكروا بعض الروايات المتضمنة لها، وفسر الطوسي تلك الروايات الواردة حول امتحان الشيعة في حال الغيبة بأنها تعني اتفاق ذلك في أثنائها لا أنه سبب لها[4].

الرد على نظرية التمحيص:

ذكر الكليني في «الكافي» في ـ كتاب الحجة ـ باب التمحيص والامتحان، وقد تولى آية الله العظمى أبو الفضل البرقعي دراسة أحاديث هذا الباب، فقال:

---

(١) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٣٤٦ ـ ٣٤٨)، الطوسي: «الغيبة» (ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ و٢٠٦).

(٢) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٣٦٠). الطوسي: «الغيبة» (ص ١٠٤ ـ ٢٠٤).

(٣) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٣٥٢ و٣٥٧). «الغيبة»: الطوسي (ص ١٠٤ و١٠٨).

(٤) الطوسي: «الغيبة» (ص ٢٠٣).

«روى ستة أحاديث في هذا الباب، عن الرواة أنفسهم الغارقين في العيوب من رأسهم إلى أخمص قدمهم، حيث عدّ المجلسي أكثرها ضعيفاً ومجهولاً ومرسلاً، ولا اعتبار البتة للروايات التي ينقلها علي بن إبراهيم محرف القرآن، أو يونس بن يعقوب وأمثالهما.

ولكن لنفحص متونها: فهناك روايات خلطوها بالقرآن، حيث إن الله يمتحن البشر، وهذا كلام صحيح، ولكن الكليني يقصد أمراً باطلاً، لأنه يقول: إن الأئمة قالوا لأصحابهم: إن ظهور الإمام الغائب سوف يتأخر لِتُمتَحنوا ويصل كل منكم إلى الشقاوة أو السعادة.

ونحن نقول: هذا حسن. لقد امتُحِنَ كل واحد من أصحاب الأئمة حتى وصلوا إلى الشقاوة أو السعادة فلماذا لم يظهر بعد؟!

الإمام المنتظر إذا كان سوف يظهر بعد ألف وأربعمائة سنة، فماذا ينفعهم ظهوره؟ وإن امتحان الله عباده يكون لكمالهم ونضجهم هم، ويكون الامتحان كما قال القرآن بالشدة والخوف ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]. ولا يتعلق الامتحان أصلاً بغيبة الإمام أو ظهوره، وقد كان الامتحان قبل أن تكون الأئمة، وسوف يبقى حتى بعد ذهاب الأئمة.

فلا ينحصر الامتحان بغيبة أحد أو إمام، ولا معنى لذلك أصلاً، نعم إحدى وسائل الامتحان هي وجود الولي العادل أو الظالم، ولكن الكليني قَصَرَ الامتحانَ على عدم وجود الإمام وغيبته فقط»[١].

٣ـ نظرية الخوف:

تعتبر هذه النظرية من أقوى النظريات في تفسير سبب الغيبة لدى الإمامية الاثني عشرية، فقد روى الكليني في «الكافي»، والصدوق في «إكمال الدين» مجموعة روايات

---

(١) آية الله العظمى أبو الفضل البرقعي: «كسر الصنم»، ترجمة الدكتور عبدالرحيم ملا زداة البلوشي، ط٢، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، دار البيارق، عمان، (ص ٢٦١).

عن الإمام الصادق، تشير إلى أن سبب الغيبة هو الخوف على الحياة والتقية[1].

وقال الشيخ المفيد في كتاب «الإرشاد»: «خلف الحسن ابنه المنتظر لدولة الحق وكان قد أخفى مولده، وستر أمره لصعوبة الوقت وشدة طلب سلطان الزمان له واجتهاده في البحث عن أمره، ولِمَا شاع من مذهب الإمامية فيه، وعُرِفَ من انتظارهم له، فلم يظهر ولده في حياته، ولا عرفه الجمهور بعد وفاته»[2].

واعتبر المفيد أن الظروف المحيطة بغيبة (الإمام المهدي) أصعب بكثير من الظروف التي أحاطت بالأئمة السابقين من أهل البيت الذين لم يختفوا عن الأنظار، وكانوا يتحصنون بالتقية، وأن سلاطين الزمان كانوا يعلمون قيام المهدي بالسيف، ولذلك كانوا أحرص على ملاحقته واستئصال شأفته، وأن السبب الذي كان يمنعه من الخروج هو قلة الأعوان والأنصار»[3].

وأكد السيد المرتضى في كتابه «الشافي»: «أن سبب غيبته إخافةُ الظالمين له ومنعهم يده عن التصرف فيما جُعلَ إليه التدبيرُ والتصرف فيه، فإذا حيل بينه وبين مراده سقط عنه فرض القيام بالإمامة، وإذا خاف على نفسه وجبت غيبته ولزم استتاره»[4].

وقال الكراجكي في «كنز الفوائد»: «إن السبب في غيبة الإمام إخافة الظالمين له وطلبهم بسفك دمه وإعلام أنه متى أبدى شخصه لهم قتلوه، ومتى قدروا عليه أهلكوه، وإنما يلزمه القيام بواجباته بشرط التمكن والقدرة وعدم المنع والحيلولة وإزالة المخافة على النفس والمهجة، فمتى لم يكن ذلك فالتقية واجبة، والغيبة عند الأسباب الملجئة إليها لازمة، لأن التحرز من المضار واجب عقلاً وسمعاً»[5].

وحصر الطوسي أسباب الغيبة في الخوف، وقال: «لا علة تمنع من ظهوره إلا

(١) «الكافي» للكليني (١ / ٣٣٧ـ٣٣٨ و٣٤٠)، الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٤٨١).
(٢) الشيخ المفيد: «الإرشاد» (ص ٣٤٥).
(٣) المفيد: «الأمالي والفصول المختارة» (ص ٣٩٥).
(٤) المرتضى: «الشافي» (٣/ ١٤٩).
(٥) الكراجكي: «كنز الفوائد» (١ / ٣٧١).

خوفه على نفسه من القتل، لأنه لو كان غير ذلك لما ساغ له الاستتار، وكان يتحمل المشاق والأذى، فإن منازل الأئمة وكذلك الأنبياء عليهم السلام إنما تعظم منزلتهم لتحملهم المشاق العظيمة في ذات الله»[1].

الرد ومناقشة نظرية الخوف:

يقول السيد أحمد الكاتب:

«ولكن لماذا يخاف الإمام (محمد بن الحسن) على نفسه من القتل، وقد خرج الإمام الحسين وضحى بنفسه في كربلاء؟

إن السيد المرتضى والطوسي والكراجكي يجيبون على ذلك بالقول: إن أحداً من البشر لا يقوم مقام الإمام المهدي، لأنه آخر الأئمة، ولأن مصلحة المكلفين مقصورة عليه![2].

وهذا الجواب يفترض عدة أمور هي:

١ ـ تحديد مهدوية الإمام الثاني عشر من قبل الأئمة السابقين، والإشارة إليه من قبل.

٢ ـ وجود أزمة سياسية وعداوة وخوف لدى السلطات العباسية من المهدي، ووجود خوف شديد وأعظم لدى الإمام من المخاوف التي كانت في عصور الأئمة السابقين في ظل الحكام الأمويين والعباسيين.

٣ ـ خاتمية الإمام الثاني عشر للأئمة وانحصار الإمامة فيه.

٤ ـ تحريم التقية للمهدي قبل قيامه وظهوره.

وإلا فإذا قلنا: إن الأئمة السابقين لم يحددوا هوية المهدي من قبل، فلا حاجة

---

(١) الطوسي: «الغيبة» (ص ٢٠٣).

(٢) المرتضى: «الشافي» (١ / ١٤٧)، الطوسي: «الغيبة» (ص ٦٣)، الكراجكي: «كنز الفوائد» (١ / ٣٧١).

للغيبة منذ ولادته.

وإذا ثبت أن العلاقة بين أهل البيت وبين العباسيين كانت طبيعية وإيجابية ولا يوجد فيها ضغط أو توتر سياسي، فلا حاجة أيضاً إلى الغيبة، وإذا قلنا إن الإمام الثاني عشر هو واحد من الأئمة وليس آخرهم، كما كان الإماميون يعتقدون في البداية وحتى نهاية القرن الثالث، فلا توجد ضرورة للغيبة، لأن الأئمة السابقين كانوا جميعاً معرضين للقتل ولم يغيبوا. وإذا قلنا إن الإمام الثاني عشر (المهدي) يجوز له استخدام التقية كسائر الأئمة فرضاً، فإنه يكون بمقدوره أن ينفي هويته ومهدويته إلى أن يظهر، ولم يكن بحاجة إلى الغيبة منذ ولادته!»[1].

وقد رد أبو الثناء الآلوسي على ادعاء أن غيبة الإمام محمد بن الحسن العسكري كانت بسبب الخوف من السلطات التي كانت قائمة آنذاك، بقوله:

«ويالله العجب من هؤلاء الطَّغَام[2]، وإن هم إلا كالأنعام، يعتقدون إمامته، ويحققون غيبته، ويقولون: إن نصب الإمام لطف واجب على الله، فأيُّ لُطفٍ في النصب ثم الاختفاء، وأي نفعٍ في الإمامة مع الخوف من الأعداء، على أنه لم ينقل أحد من المؤرخين أن ولداً للحسن العسكري ادّعى الإمامة وطلب الزعامة، وانتهض للخلافة، وأن أحداً من خلفاء وقته هدده وأخافه.

على أن الذين يخافهم إنْ كانوا، فقد انقرضوا أجمعين منذ مئات السنين، وقد شاع التشيع في كثير من البلاد، وتسلط الجم الغفير من شيعته على العباد... فَهلاَّ حَدَّثتهُ نفسه بالظهور؟... وما تراه يخطر له ببال، ولا يمر له بخيال، بل يزداد كل يوم تستراً واختفاء وهجراً لشيعته وجفاءً، فتسمية هؤلاء بالعنقائية[3] أولى من تسمية أنفسهم بالإمامية.

---

(١) السيد أحمد الكاتب: «تطور الفكر السياسي الشيعي»، ط١، ١٩٩٧م، (ص ١٦٥ ـ ١٦٦).

(٢) الطَّغام: أراذل الناس وأوغادهم... والضعيف والرديء من كل شيء. «المعجم الوسيط» ـ مادة: طغم.

(٣) نسبة إلى العنقاء: طائر مُتَوَهَّم لا وجود له. «المعجم الوسيط»: مادة: عنق.

ولله در القائل:

مـا آنَ للسـرداب أن يَلِـدَ الـذي ضَيَّعتمـوهُ بجهلكـم مـا آنـا

فعلـى عقـولكـم العَفـاءُ لأنكـم ثَلَّثتمـوا العنقـاء والغيـلانـا

فالحق الحقيق بالقبول، والكلام الذي يرتضيه ذوو العقول، أن المهدي ليس بغائب ولا مختف في السرداب ولا هارب. . .

والقول بوجوده وغيبته الآن ضَربٌ من الهذيان»[1].

ويقول السيد محمود شكري الآلوسي في مختصره للتحفة الاثني عشرية لشاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي: «الاختفاء من القتل نفسه محال، لأن موتهم (أي الأئمة) باختيارهم ـ كما تدعي الإمامية الاثني عشرية ـ! وإن كان من خوف إيذاء البدن يلزم أن الأئمة فرّوا من عبادة المجاهدة وتحمل المشاق في سبيل الله تعالى، وهذا بعيد عنهم. ومع هذا لا معنى لاختفاء صاحب الزمان بخصوصه، فإنه يعلم باليقين أنه يعيش إلى نزول عيسى ولا يقدر أحد على قتله وأنه سيملك الأرض بحذافيرها، فبأي شيء يتخوف ويختفي؟ ولماذا لم يُظهر الدعوةَ ويتحمل المشقة كما فعله سيد الشهداء؟

وما قاله المرتضى في كتابه «تنزيه الأنبياء والأئمة» من أنه فرق بين صاحب الزمان وبين آبائه الكرام، فإنه مُشارٌ إليه بأنه مهدي قائم، صاحب السيف، قاهر للأعداء، منتقم منهم، مُزيلٌ للدولة والملك عنهم، فله مخافةٌ لا تكون لغيره، فكلام لا لُبَّ فيه، لأن خوف القتل نفسه قد غلب عليه، ومع هذا معلوم له باليقين أن أحداً لن يقتله أبداً، وأيضاً ألا يعلم أن المخالفين لا يقبلون من أحد دعوى المهدوية قبل ألف سنة، وأن المهدي يُظِلُّه السحاب لا سقفُ السرداب، وأنه يظهر في مكة لا في (سُرَّ من رأى)، ويدعو الناس بعد الأربعين من عمره لا في زمن الطفولة ولا الشيخوخة.

---

(١) «التبيان شرح إطاعة السلطان» (ق ١٨ / ب ـ ١٩ / أ) نقلاً عن «جهود أبي الثناء الألوسي»: الدكتور عبدالله البخاري، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، (ص ٥٢٥ ـ ٥٢٦).

على أن السيد محمد الجنفوري في الهند ادعى المهدوية ولم يقتل ولم يخوَّف، وأيضاً قد كثر محبوه وناصروه في زمن الدولة الصفوية أكثر من رمل الصحارى والحصى، فالاختفاء مُنافٍ لمنصب الإمامة الذي مبناه على الشجاعة والجرأة، فهلا خرج وصبر واستقام إلى أن ظفر، وهلا كان كالقوم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

ثم ما حكى أولاً من قصة الغار واستتار سيد الأبرار من خوف الكفار، فكلامٌ واقع في غير موقعه، لأن استتاره عليه الصلاة والسلام لم يكن لإخفاء دعوى النبوة، بل كان من جنس التورية في الحرب، لأجل أن الكفار لا يطلعون على مقصده ولا يسدون الطريق عليه، وهذا أيضاً كان ثلاثةَ أيام، فقياسُ ما نحنُ فيه عليه غايةُ الحماقةِ والوقاحة، ففرق واضح لا يخفى على من له أدنى عقل بين الاختفاء الذي كان مقدمة لظهور الدين والغلبة على الكافرين، وبين الاختفاء الذي لازمه الخذلان، وترك الدعوة وانتشار الطغيان، فالأول تلوح مياه الهمة من أسرَّته، وتتبلج أقمار النصرة من تحت طرَّته، بخلاف الثاني، فغبار الجبن يلوح على خدِّه، والفرار عن الدعوة موسوم على حدِّه، فأي فرقة سخرها الإمام لنفسه في هذه الغيبة، وأي ملك ملكه!؟

ولو ابتغى صاحب الزمان فرصة ثلاثمائة سنة مكان ثلاث ليالٍ، وعِوَضَ الغار سردابَ (سُرَّ من رأى)، وبدل المدينة المنورة دارَ المؤمنين (قم) ودارَ الإيمان (كاشان)، وبدل الأنصار شيعةَ فارس والعراق قائلاً بأني في هذه الصورة أجمع الأسباب وأتخذُ الأصحاب، ثم خرج لكشف الغمة وإصلاح حال الأمة، لتحمل أهلُ السنَّة وغيرهم هذه الشرائط، وأنَّى ذلك، فليست هذه إمامة، بل هي لعمرك قيامة.

وقد ترك الشيخ مقداد[1] صاحب «كنز العرفان» من المتأخرين طريق القدماء وقال: كان الاختفاء لحكمة استأثر بها الله تعالى في علم الغيب عنده.

---

(١) هو المقداد بن عبدالله السيوري، أحد أعلام الشيعة في القرن التاسع، صاحب «كنز العرفان» ومن المتأخرين.

ويرد عليه أن هذا مجرد ادعاء يمكن أن يقال مثله في كل أمر يكون مناقضاً لِلُّطفِ، فلا يثبت اللطف في شيء! وبه يفسد كلام الشيعة كله لأن مبنى أدلتهم عليه، يقولون: إن أمر كذا لطفٌ واللطفُ واجب عليه تعالى! فليتأمل، والله سبحانه وتعالى يُحِقُّ الحق وهو يهدي السبيل»[1].

وفي حوار السيد أحمد الكاتب مع الشيخ محمد رضا الجعفري في محاضرته عن (حتمية الغيبة) يقول:

«إن الغيبة كانت تتناقض مائة بالمائة مع نظرية الإمامة التي تحتم وجود الإمام المعصوم في كل زمان، ووجوب تعيين الله للإمام ليقود المسلمين ويطبق الشريعة، ويحفظ الأمن، ويقيم الحدود، ويشكل الحكومة الإسلامية.

إذ إن الغيبة تعني عدم وجود ذلك الإمام وعدم تمتع المسلمين بلطفه. وهذا ما حدث للشيعة الإمامية الاثني عشرية، الذين ظلوا لقرون طويلة يعيشون على أمل ظهور ذلك الإمام الغائب، ثم يئسوا منه وصرفوا النظر عنه، وقاموا بانتخاب الإمام (الفقيه العادل) بأنفسهم. ولا يزال الشيعة محرومين من لطف ذلك الإمام المفترض وكأنه لم يكن شيئاً مذكوراً.

وبما أن الغيبة كانت تتناقض مع نظرية الإمامة، فقد كان المتكلمون السابقون يشعرون بالإحراج وكانوا يفسرونها بأعذار وهمية، ويلقون اللوم على عاتق الظالمين الذين أخافوا الإمام وألجؤوه إلى الغيبة، أو يحملون الشيعة المسؤولية بسبب تقاعسهم عن نصرة الإمام، ويطالبونهم بإعداد أنفسهم لنصرته والذب والدفاع عنه.

ومع أن الخوف من الأعداء ليس سبباً معقولاً ولا مبرراً للغيبة، أو الهروب من مواجهة الحياة، ولا توجد أدلة تاريخية تثبت وجود الخوف، أو الظروف الأمنية الشديدة طوال ألف عام، فإن الشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي اعتبروا:

---

(١) «مختصر التحفة الاثني عشرية»: السيد محمود شكري الآلوسي، طبعة استانبول، تركية ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، (ص ١١٨ ـ ١٢٠).

«أن لا سبب للغيبة ولا علة تمنعه من الظهور إلا خوف الإمام على نفسه من القتل، لأنه لو كان غير ذلك لما ساغ له الاستتار، وكان عليه أن يتحمل المشاق والأذى، فإن منازل الأئمة إنما تعظم لتحملهم المشاق في سبيل الله[1]» . . .[2].

ويتحدث السيد أحمد الكاتب عن حالة الدولة العباسية وضعفها، والثورات العلوية عشية الغيبة التي عمت العالم الإسلامي آنذاك، والثورات الإسماعيلية في اليمن وشمال إفريقيا، ثم يتحدث عن تعاطف الخلفاء العباسيين مع العلويين في ذلك الحين، ثم يقول بعد ذلك:

«إذن فإن الظروف المحيطة بالغيبة من قبل ومن بعد، لم تكن تنطوي على أي مبرر للخوف والتقية، بحيث يخفي الإمام الحسن العسكري مولد ابنه، ويكتمه بالمرة، ولم يكن من العسير على (محمد بن الحسن العسكري) لو كان موجوداً فعلاً أن يظهر هنا وهناك، وحتى لو كان قد أعلن عن نفسه منذ البداية أنه (المهدي المنتظر) لم يكن يصعب عليه اللجوء إلى أطراف الدولة العباسية، ويختبىء بالجبال والغابات، وأن يتحدى السلطات العباسية الضعيفة جداً ويقيم دولته المعهودة، ويؤدي مسؤولياته في إمامة الشيعة والمسلمين.

ومن المعروف أن الحكام البويهيين (الشيعة المؤمنين به) طالبوا الشيخ المفيد أن يخرج ويحكم بدل الخليفة العباسي، كما خرج (المهدي الفاطمي) وحكم في شمال إفريقيا، بعد أن كان مستتراً، فلم يُحِرِ المفيدُ جواباً، بعد تهافت حكاية التقية والخوف على نفسه من القتل»[3].

---

(١) انظر: «الأمالي والفصول المختارة» للمفيد (ص ٣٩٥). «الشافي» للمرتضى (٤ / ١٤٩)، «الغيبة» للطوسي (ص ٢٠٣).

(٢) السيد أحمد الكاتب: «حوارات أحمد الكاتب مع المراجع والعلماء والمفكرين حول وجود الإمام الثاني عشر»، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، (ص ٢٦١).

(٣) السيد أحمد الكاتب: «تطور الفكر السياسي الشيعي»، ط١، ١٩٩٧م، (ص ٢٤٩).

ـ أسباب أخرى لدعوى غيبة الإمام محمد بن الحسن العسكري[1]؟

هناك أسباب أخرى غير التي قال بها علماء الشيعة الإمامية الاثني عشرية ـ التي مرّ ذكرها ـ ربما تكون هي الأسباب الحقيقية في ادعاء نظرية الغيبة، بل هي الأسباب الحقيقية وما ادعته الإمامية الاثني عشرية هو تبرير وتغطية لهذه الأسباب الحقيقية:

فمن خلال الخصومة والنزاع بين فرق الإمامية، حيث كل طائفة من هذه الفرق تنادي بإمام لها أو مهدي، وتُكَذِّبُ الأخرى، تسربت الحقيقة.

استمع ـ مثلاً ـ إلى ما ترويه طائفة الاثني عشرية في تكذيبها طائفة أخرى من الإمامية أيضاً.

وقفت على موسى الكاظم وأنكرت موته، وادعت أنه غاب وسيرجع، وخالفت من ذهب إلى القول بإمامة ابنه من بعده.

فقالت الإمامية الاثني عشرية في ادعاء هذه الطائفة: «مات أبو إبراهيم (موسى الكاظم) وليس من قوّامه[2] إلا وعنده المال الكثير، وكان ذلك سبب وقفهم وجحدهم موته، طمعاً في الأموال، كان عند زياد بن مروان القندي سبعون ألف دينار، وعند علي ابن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار..»[3].

وجاءت عندهم روايات كثيرة في هذا المعنى، تكشف ما خفي[4].

---

(١) انظر: «بروتوكولات آيات قم»: الدكتور عبدالله الغفاري، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، (ص ١٨ ـ ٢٣).

(٢) أي: من نوابه ووكلائه، وهم الذين يأكلون أموال الناس باسم خمس الإمام وحق الإمام، وقد انتشروا في العالم الإسلامي في ذلك الزمان.

(٣) «الغيبة» للطوسي، (ص ٤٢ ـ ٤٣). «الإمامة» لابن بابويه (ص ٧٥)، وانظر: «علل الشرائع» لابن بابويه الصدوق، (١ / ٢٣٥)، «رجال الكشي» (ص ٤٩٣ ـ ٥٩٨)، «بحار الأنوار» (٤٨ / ٢٥٣).

(٤) انظر: «الغيبة» للطوسي (ص ٤٣ وما بعدها). «رجال الكشي» الروايات رقم: (٧٥٩ و٨٧١ و٨٨٨ و٨٩٣).

إذن وراء دعوى غيبة الإمام وانتظار رجعته الرغبة في الاستئثار بالأموال، فإذا ما توفي الرجل الذي يدعون إمامته أنكروا موته لتحقيق أمرين:

الأول: لتبقى الأموال التي اكتسبوها باسمه في أيديهم ولا يسلموها لمن بعده من ذريته.

الثاني: ليستمر دفع الأموال إليهم باسم خمس الإمام الغائب.

وهكذا تستمر عمليات النهب والسلب، والضحية هم هؤلاء السذج المغفلون الذين يدفعون الأموال، أموالهم إلى أولئك المخادعين الذين زعموا بأنهم نواب الإمام الغائب.

وقد استمرأت فرق الرافضة هذه الغنيمة الباردة، فلا يموت إمام حتى تسارع طائفة منهم إلى إنكار موته، وإعلان غيبته، ودعوى النيابة عنه، والتبشير بعودته من قريب مهدياً يملأ الأرض عدلاً، ويدفع إليهم القناطير المقنطرة من الذهب والفضة.

وإلى اليوم يتمسك شيوخ الروافض ومراجعهم بعقيدة الغيبة، ليظل هذا المال يتدفق عليهم من كل حدب وصوب فيأخذوه باسم النيابة عن الإمام الغائب حيث فرضوا على الأتباع الخمس للإمام، ويأخذه هؤلاء الآيات بلا تعب، لأنهم يقولون: يجب دفع الخمس للفقيه زمن الغيبة[1]، ومن لم يدفع فهو في عداد الكافرين.

يقول شيوخهم ومراجعهم: «من منع منه درهماً أو أقل كان مندرجاً في الظالمين لهم (أي لأهل البيت) والغاصبين لحقهم، بل من كان مُسْتَحِلاً لذلك كان من الكافرين»[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أما ما تقوله الرافضة من أن خُمْسَ مكاسبِ المسلمين يؤخذ منهم، ويُصرف إلى من يرونه هو نائب الإمام المعصوم أو إلى غيره، فهذا قول لم يقله قط أحد من الصحابة لا علي ـ رضي الله عنه ـ ولا غيره، ولا أحد من

---

(١) انظر: «النور الساطع» لشيخهم المعاصر علي كاشف الغطا (١ / ٤٣٩).

(٢) «العروة الوثقى» لليزدي وبهامشها تعليقات مراجعهم في هذا العصر (٢ / ٣٦٦).

التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من القرابة لا بنو هاشم ولا غيرهم! وكذلك من ا لمعلوم بالضرورة أن النبي ﷺ لم يخمس أموال المسلمين ولا طالب أحداً قط من المسلمين بخمس ماله[1].

وثمة أسباب أخرى لنشوء فكرة الغيبة، منها:

أن التشيع كان مأوى قلوب أصحاب النحل والأهواء، لأنهم يجدون من خلاله الجو المناسب لتحقيق أهدافهم والعودة إلى معتقداتهم. فانضم إلى ركب التشيع أصناف من أصحاب النحل والاتجاهات الغالية، وكان هذا الخليط يشطح بالشيعة نحو معتقداته الموروثة.

ولهذا نجد مسألة الغيبة لها جذورها في بعض الديانات والنحل مما لا يستبعد معه أن لأتباع تلك الديانات دوراً في تأسيس هذه الفكرة في أذهان الشيعة، كالمجوسية مثلاً، فالمجوس تدعي أن لهم مُنْتَظراً حياً باقياً من ولد يشتاسف بن بهراسف يقال له إبشاوثن، وأنه في حصن عظيم بين خراسان والصين[2].

ـ مكان الغيبة:

«إن معظم الروايات التي تتحدث عن (المهدي محمد بن الحسن العسكري) تشير إلى أنه كان في بيت أبيه في (سرّ من رأى) عاصمة الخلافة العباسية يومذاك، وأن الذين شاهدوه في حياة أبيه شاهدوه فيها، وتقول بعض الروايات: إنه خرج للصلاة على جثمان أبيه الذي توفي ودفن في (سامراء) وإنه التقى بعد ذلك بوفد قم الذي جاء يبحث عن الإمام الجديد، وإنه ظل مقيماً في البيت إلى أعوام طويلة حتى دهمته قوات المعتضد فغاب في (السرداب). وقد بنى الخليفة العباسي الناصر بالله قبة على ذلك السرداب، لا تزال موجودة حتى اليوم، ويزورها الشيعة من كل مكان، وهي القبة المعروفة بقبة سرداب الغيبة، في جوار قبر الإمامين الهادي والعسكري في مدينة سامراء

---

(١) ابن تيمية: «منهاج السنة» (٣/ ١٥٤).

(٢) «تثبيت دلائل النبوة» (١/ ١٩).

شمالي بغداد.

ويورد الشيخ المفيد في كتاب «الإرشاد» قصة رجل اسمه (علي بن الحسين) يقول: إنه زار الإمام المهدي في بيته في سامراء، وجلس عنده ثلاثة أيام، كما يذكر قصة (الحسن بن الفضل) الذي يقول إنه ورد العسكر (أي سامراء) فبعث إليه الإمام المهدي صرة فيها دنانير.

وينقل المفيد عن الحسن بن عبدالحميد أنه شك في أمر أحد وكلاء المهدي واسمه (حاجز بن يزيد) فذهب إلى العسكر (سامراء)، فخرج إليه ما يؤكد صحة دعوى ذلك الوكيل وينهاه عن الشك[١]. . »[٢].

ويقول أبو الثناء الآلوسي:

«واختلفوا في مكانه بعد الغيبة اختلافاً فاحشاً.

وقال الكليني: ولا يعلم ذلك إلا آحاد الشيعة، يعني بهم السفراء الذين زعموا السفارة في الغيبة الصغرى التي مدتها أربع وسبعون سنة»[٣].

- مدة الغيبة:

«مدة الغيبة في بداية القول بها تتأرجح بين أيام وشهور أو سنين لا تتجاوز عدد أصابع اليدين، كما تقول روايات كثيرة يذكرها الكليني في «الكافي»، والطوسي في «الغيبة»[٤].

بينما كان بعض الروايات يقول: إنها ستطول حوالي ثلاثين أو أربعين عاماً[٥].

---

(١) المفيد: «الإرشاد» (ص ٣٥٥).

(٢) السيد أحمد الكاتب: «تطور الفكر السياسي الشيعي»، ط١، ١٩٩٧م، (ص ١٦٦).

(٣) «جهود أبي الثناء الآلوسي»: الدكتور عبدالله البخاري، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، (ص ٥٢٤).

(٤) «الكافي» للكليني (١ / ٣٣٨)، الطوسي: «الغيبة» (ص ١٠٤).

(٥) «الكافي» للكليني (١ / ٣٤٠).

وأشارت بعض الروايات التي نقلها النعماني في كتابه «الغيبة» إلى تحديد مدة الغيبة جداً وحداثة عمر الإمام المهدي عند الظهور، وقد فسرها النعماني بحداثة عمره وقت إفضاء الإمامة إليه[1].

ونقل الطوسي رواية أخرى عن الإمام محمد الباقر: أن صاحب هذا الأمر لا يتجاوز الأربعين[2].

وقالت روايات أخرى أن عمره قد يجاوز المئة والعشرين[3].

وروى الطوسي في كتابه «الغيبة» عن أبي عبدالله جعفر الصادق، أنه قال: ما تنكرون أن يمد الله لصاحب هذا الأمر في العمر كما مدّ لنوح في العمر؟ وردّ على من استشكل حول طول مدة الغيبة وخروجها عن العادة، بأن الأمر ليس على ما قالوه، ولو صح لجاز أن ينقض الله العادة لضربٍ من المصلحة[4].

واستشهد الصدوق والطوسي بغيبات موسى بن عمران ويوسف بن يعقوب ويونس بن متى، وأصحاب الكهف، وصاحب الحمار، ونوح وسلمان الفارسي والدجال ولقمان بن عاد وربيع بن ضبع، ويعرب بن قحطان، الذين قالوا إنهم غابوا عن أقوامهم لفترات من الزمان»[5].

ـ قول المجلسي بوجود الإمام والتعليق عليه:

يقول المجلسي: إن وجود الإمام بنفسه لطف لوجوه:

أحدها: أنه يحفظ الشرائع ويحرسها من الزيادة والنقصان.

ثانيها: أن اعتقاد المكلفين بوجود الإمام سبب لردعهم عن الفساد وقربهم إلى

---

(١) النعماني: «الغيبة» (ص ٣٢٣).
(٢) الطوسي: «الغيبة» (ص ٢٥٨).
(٣) النعماني: «الغيبة» (ص ١٢٦).
(٤) الطوسي: «الغيبة» (ص ٧٦ ـ ٧٨).
(٥) السيد أحمد الكاتب: «تطور الفكري السياسي الشيعي»، ط١، ١٩٩٧م، (ص ١٦٦ ـ ١٦٧).

الصلاح.

ثالثها: أن تصرفه لا شك أنه لطف، وذلك لا يتم إلا بوجوده، فيكون وجوده بنفسه لطفاً وتصرفه لطفاً آخر(١).

ـ التعليق:

«إن كل كلمة في كلامه هذا تستبعد كلياً غياب الإمام..

بداية يقول: وجود الإمام بنفسه، إذ هو موجود حي ظاهر.

أما تصرفه فهو لطف آخر، والتصرف يعني وجود إنسان يتصرف ويصرف الأمور، فيكون قدوة للآخرين.

وأخيراً فإن انتفاء وجود اللطف يعني انتفاء اللطف بتنصيب الإمام»(٢).

ـ غياب الإمام يتعارض وأقوال الأئمة:

«إن غياب الإمام يتعارض وأقوال الأئمة، لأن هذه الأقوال تؤكد على:

١ ـ أن وجود الإمام حي ظاهر. ففي باب علة وجود الإمام يذكر ابن بابويه (٣٢) حديثاً مروياً عن الأئمة، منها اثنان فقط يذكرون فيها جملة (خاف أو مغمور أو ظاهر أو باطن) والثلاثون الباقيات تؤكد ضرورة وجوده(٣).

٢ ـ إن الذي يعلم الزيادة والنقصان قد يكون إماماً أو عالماً أو من يعرف الحق، والذي يعلم الزيادة والنقصان لا بد من تواجده بين الناس.

٣ ـ عدم جواز خلو الأرض من الإمام طرفة عين.

---

(١) الطوسي: «كشف المراد» (ص ٣٨٩) نقلاً عن كتاب «التشيع» للدكتور محمد البنداري، ط٣، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، دار عمار، عمان، (ص ٢٢٠).

(٢) الدكتور محمد البنداري: «التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي»، ط٣، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، دار عمار، عمان، (ص ٢٢٠ ـ ٢٢١).

(٣) ابن بابويه: «علل الشرائع» (١ / ١٩٥).

عن أبي عبدالله جعفر الصادق، والرضا: أن الحجة لا تقوم لله على خلقه بإمام حتى يُعرف، فالله أَجَلُّ وأعظمُ من أن يترك الأرض بغير حجة[1].

ويقول المازندراني في شرحه (للكافي): إن حجته على الخلق لا تتم إلا بسبب نَصْبِ إمام يبين لهم العقليات،

ثم يقول: المازندراني معلقاً على جملة (إلا بإمام حتى يعرف): في بعض النسخ (حي)، وفي بعضها (حق) بدل حتى[2].

ـ التعليق:

وفي كلتا الحالتين، أي إلا بإمام حي يعرف، أو حق يعرف، لا بد من وجوده، وإلا تسقط حجة الله على خلقه منذ غيبته وحتى ظهوره، وهذا يعني دعوة للمسلم للتحلل من مسؤولياته الدينية والابتعاد عن الإسلام طالما لا حجة لله عليه.

ومما يؤكد وجود الإمام حياً يعرف ما يروى عن أبي جعفر ـ محمد الباقر ـ: لو أن الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله[3]. . »[4].

ومما يروى عن الرضا قوله لمن زعموا أن أباه لم يمت: كذبوا وهم كفار، ولو كان الله يمدُّ في أجل أحد من بني آدم لحاجةِ الخَلْقِ إليه لمدَّ الله في أجل رسول الله ﷺ[5].

الكليني و(الغيبة) في كتابه «الكافي»:

روى الكليني في «الكافي» ـ كتاب الحجة ـ بابين، تحت عنوان: باب: (نادر في

---

(١) المازندراني: «شرح الكافي» (٥ / ١٤٧ ـ ١٤٨).
(٢) المصدر السابق (٥ / ١٤٨).
(٣) المصدر السابق (٥ / ١٥٤).
(٤) «التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي»: الدكتور محمد البنداري، ط٣، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، دار عمار، عمان، (ص ٢١٨ ـ ٢١٩).
(٥) الكشي: (ص ٣٩٠) نقلاً عن المصدر السابق.

حال الغيبة). وباب: (في الغيبة). وقد تولى آية الله العظمى أبو الفضل البرقعي دراسة أحاديث هذين البابين من السند والمتن فقال[1]:

باب: نادر في حال الغيبة:

«روى ثلاثة أحاديث في هذا الباب. يقول المجلسي بضعف الأول والثاني وبجهالة الثالث، لأن الرواة لا مذهب صحيح لهم ولا علم ولا تحقيق.

في هذا الباب والذي يليه وفيه واحد وثلاثون حديثاً.

وقد روى هؤلاء الرواة العوام موضوعات مبهمة، وغير منطقية وتَشُوبها الألغازُ، لأنهم كانوا عوام، كما هو حال غالب شعبنا من العوام الذين يصدقون كل ما يقال من كلام جاهل إذا كان في صدره عبارة (قال الإمام) ويُعظِّمونه جداً ويتوهمون أن هذه الكلمات تحمل العلم والأسرار، خاصة أن شعبنا ليس عربي اللسان. وحتى علماؤهم كالمجلسي أوّلوا الكلمات التي أوردوها باسم الإمام واهتموا بها اهتماماً يزيد على اهتمامهم بكلام الله، ويجدر القول أنه إذا كان الإسلام ديناً عاماً فلا بد أن يكون سهلاً، والله تعالى كلامه أَبين من كل بيان، وأعلمَ من كل عالم، وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [القمر: ١٧]، وعلى هذا فإن ما نجده في أقوال الأئمة من التعقيد والإبهام يأتي من تأويلاتهم لكلام الله الذي جاء في القرآن، وهذه التأويلات كلها تخالف العقل والإنصاف.

والآن لننظر إلى هذين البابين:

يقول في الحديث الأول: إن أقرب العباد إلى الله أولئك الذين ضيعوا حجة الله ولم يعرفوا مكانه. يعني أن كل من ضيع الحجة فهو من خيرة عباد الله، وقياساً على ذلك يكون أسوأ عباد الله ذلك الذي اعتبر القرآن حجة ثم حفظه ولم يضيعه.

فبالله عليكم كيف يمكن تأويل هذه المفتريات؟! وحجة الله يجب أن يكون بيِّناً

---

(١) انظر: «كسر الصنم»: آية الله العظمى أبو الفضل البرقعي، ط٢، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، دار البيارق، عمان، (ص ٢٥٢ ـ ٢٥٨).

ومُعَيَّناً، والحجةُ الضائعة وغير معلومةِ المكان ليست بحجة إطلاقاً، إذ يجب أن تكون حجة الله واضحة وبينة وتامة.

ويقول في آخر هذا الحديث: إذا علم الله أن أولياءه يشكون في حجته لم يُخْفِها عنهم.

يعني على سبيل المثال: إذا قال عشرات الألوف من السنيين أن الحجة (أي المهدي) غائب، فليس على الشيعة أن يشكوا بذلك، ويجب القول: إن هذا الكلام يظهر جهل الشرع ـ نعوذ بالله ـ لأنه إذا غابت الحجة عن أي عاقل وغابت عن آبائه وأجداده فلا بد أن يشك، إلا إذا شئنا أن نقول: إن العقلاء يشكون ولكن أولياء الله لا يشكون لأنهم غير عقلاء، ويعتبرون الحكمة الإلهية ألعوبة ـ نعوذ بالله ـ!

وفي الحديث الثاني أيضاً جاؤوا بمتناقضات، إذ يقولون في أول الحديث: إن العبادة في دولة الباطل مع الخوف أفضل من العبادة في دولة الحق مع السلطان، ولكن الراوي نفسه في النهاية يسأل قائلاً: أفتكون عبادتنا اليوم في إمامتكم أفضل من العبادة في دولة الحق والعدل.

وهنا يرده الإمام ويتعجب من جهله ويقول له: سبحان الله... ألا تحب أن يُظهرَ الله الحق والعدل في البلاد، ثم إن الراوي وهو عمار الساباطي كان رجلاً عامياً مجهول المذهب، وعلماء الرجال يقولون عنه إنه فطحي المذهب، ذلك أن عبدالله الأفطح، وهو إمام هذا الراوي كان رجلاً عامياً، فكيف يكون هو نفسه؟

والآن انظروا إلى آخر الحديث:

يقول الإمام الصادق في آخر الحديث: كل من مات منكم على هذه الحال يكون أفضل من شهداء بدر وأحد!

مع أن مثل هذا الكذب والافتراء لا يمكن أن يصدر عن أي إمام لأن شهداء بدر وأحد كانوا من المهاجرين والأنصار، والسابقين في الإسلام الذين أعزوه ونصروه في غربته وبداية عهده.

في الحديث الثالث:

روى سهل بن زياد الكذاب عن قول واحد من أصحاب أمير المؤمنين (ونحن لا نعرف اسمه ولا هويته) أن الإمام قال ألغازاً من الكلمات المبهمة والمغلقة، وذكر أشياء في وصف أشخاص ولم يأت بدليل الصدق ولم يعينهم ولم يذكر حتى أسماءهم.

ونحن نقول: إن بإمكان كل من شاء أن يفتح متجراً بهذه الكلمات ويؤولها لنفسه».

أما الباب الثاني وهو باب: في الغيبة، فيقول فيه:

«وردت روايات في هذا الباب، أكثرها ضعيف ومجهول أو مرسل على حد قول المجلسي، وإذا أردت أن تتبين حال رواتها صعب عليك ذلك جداً وأَضعتَ بذلك وقتك الثمين!

على سبيل المثال:

روى الحديث الأول عن جعفر بن محمد الكوفي المجهول الحال وهو عن صالح ابن خالد المجهول وهو عن يمان التمار المهمل المجهول. يعني روى مجهول، عن واقفي خائن، عن مجهول، عن مهمل... فهل يُعد حديث كهذا حجة؟

على كل حال فرواة هذا الباب إما غلاة أو مجهولون أو لا دينَ لهم أعني زنادقة.

وأما متن هذه الروايات فكلها مُبْهم ومهمل.

قال الإمام الصادق: صاحب هذا الأمر له غيبة، كل من يكون فيه كرجل يمسك شجرة أشواك، مع أنه لم يبين صاحب أي أمر ومتى وأين ومن؟!

يقول في الرواية الثانية، قال موسى بن جعفر رضي الله عنه لأخيه: إن لصاحب هذا الأمر غيبة يعجز عقولكم وفكركم وإدراككم عن أن تؤمنوا بها ولكنكم إذا عشتم فستدركون ذلك!

أجل... وعندما يعجز سيد جليل القدر كعلي بن جعفر عن أن يدرك ذلك فما المتوقع ممن هم دونه؟ إضافة إلى أن الله سبحانه لم يكلف الناس شيئاً لا يدركونه

فكيف يطالب به الإمام؟!

ثم إن موسى بن جعفر كان يعلم الغيب (حسب ما يدعون) فقد كان معلوماً لديه أن أخاه لا يدرك زمن ابن الخامس، وهو ليس من جيله، ولا يعيش، ومع هذا لم يقل (إذا عشت).

قال الإمام الصادق في الخبر الثالث، والحادي عشر للمفضل، وهو من الغلاة: لا تحدثوا أحداً بمذهبكم وغيبتكم، أما والله ليغيبنَّ إمامُكم سنيناً من دهركم، ولتُرفعنّ اثنتا عَشْرةَ رايةً مشتبهة لا يُدرى أيٌّ من أيٍّ. هنا بدأ المفضل بالبكاء. وقال: ماذا نفعل آنذاك؟

وهنا يجب القول، إن إمام المفضل لم يغب ولم ترفع في زمانه اثنتا عشرة راية مشتبهة لا يدرى أي من أي، وحتى زماننا هذا لم يحدث ذلك، فلماذا بكى المفضل وتوتر!!

فما العمل بشأن هذه الروايات؟ ويمكن أن يُؤَوِّل المجلسيون (نسبة للمجلسي من علماء الشيعة الاثني عشرية في علم الرجال) هذا الكلام من قبيل الأخبار المهملة، ويعدونها سراً من الأسرار ويصنعون بذلك ديناً سرياً.

وقال الإمام الصادق في الحديث الرابع: إن صاحب هذا الأمر يشبه سيدنا يوسف عليه السلام، ثم عَدَّ مَنْ يُنكر من الأمة هذا الشبه خنزيراً، ثم لعن الأمة التي تُنكر هذا الخبر...

والآن يجب أن نسأل هؤلاء الرواة المجهولين: فإن جميع العقلاء يجعلون هذه الأخبار تحتمل الصدق والكذب، وعلماء الشيعة أنفسهم يقولون: (الخبر يحتمل الصدق والكذب).

بناء على هذا إذا لم يصدق أحد هذه الرواية التي يحتمل أن تكون من كذب الرواة ووضعهم، فلماذا يكون خنزيراً وملعوناً؟!

ثم كيف يكون الإمام لعاناً، مع أن رسول الله ﷺ لما ضُربَ وكُسرت أسنانه

المباركة وبقي الحديد في فمه الشريف، قيل له: العنهم، فأجاب رسول الله ﷺ: «إني لم أُبعثْ لعاناً، وإنما بعثت رحمة للعالمين».

ولكنهم في الحديث الخامس: نسجوا من الموضوعات أكثر من غيره، ونحن نجزم بأن إماماً عالماً كسيدنا الصادق لا يمكن أن يقول شيئاً كهذا.

يقول في هذا الحديث: تكون غيبة الغلام قبل قيامته حيث إن ولادته مظنونة وموته مظنون وأصل وجوده مظنون.

لم يبين هنا من هو هذا الغلام وما اسمه، وكيف يكون حجة من يُشَكُّ أصلاً في وجوده، ولماذا على الناس أن يتقبلوا أمراً كهذا؟!

قال الله لرسوله في سورة يوسف الآية ١٠٨: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾، وقال في سورة الأعراف الآية ٢٠٣: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، وقال في سورة النساء الآية ١٧٤: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

أليس الإسلام ديناً يعتمد على البرهان، والبصائر والدليل، أم أنه دين يقبل بلا دليل كل خبر من راوٍ مجهول؟!

كيف ولماذا يقبلون إماماً يُشك في ولادته وموته؟! ولِمَ يكون خنزيراً كل من لا يقبل به؟

وبعد ذلك قال الإمام: لا بد أن يقتل غلام في المدينة، قال الراوي: هل يقتله الجيش السفياني؟ قال: لا، بل يقتله جيش بني فلان.

وهنا يجب أن يقال لهؤلاء: ما نتيجة هذه المُبهمات، وما المقصود من عبارة يجب أن يُقتل غلام، في حين لا يُعلَمُ من هو، وفي أي زمان هو، ولماذا يقتل؟ وقاتله من بني فلان، وما فائدة قتله؟... ومن هم المعنيون بالجيش السفياني؟! هل وقع الإمام في حيرة من الأمر فيما قال، ولماذا كانت الكتب الدينية مليئة بهذه الأشياء والترهات؟!

يقول في الحديث السادس والثاني عشر:

الناس يُضَيِّعون إمامهم وهو يأتي الحج ويراهم ولكنهم لا يرونه.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل لهذا الإمام جسم ورأس وجثة؟ وهل هو كغيره من البشر أم لا؟ ومتى ضيع الناس إماماً؟!

أنتم تقولون إن الله خبأه، أي لم يجده الناس أصلاً حتى يضيعوه؟ وإذا كان له جسم فكيف لا يرونه؟!

ترى هل يجب قبول هذه الأحاديث المخالفة للمنطق قهراً؟ أليس دين الإسلام دين برهان!

يقول في الخبر السابع:

قال أمير المؤمنين: إن غيبة الإمام الغائب هذا ستة أيام أو ستة أشهر أو ست سنين. والآن يجب أن يقال لهؤلاء الوضّاعين: لماذا يبقى هذا الخبر في الكتب بعدما تبين كذبه وبعد أن مضى عليه ألف سنة ونيف؟!

ولماذا يفرض على الناس أن يقبلوه قهراً؟!

ويجيبون أنه ورد في آخر هذا الخبر أن لله ابتداءات وأهدافاً ونهايات، ويمكن أنه قد حصل البدء، ونحن نقول: إنه لم يحصل البدء، وأن هذا الخبر كذب أصلاً.

يقول الحديث الثامن:

إن للإمام أن يمدح نفسه، وقال: نحن كنجوم السماء إذا غاب نجم ظهر آخر.

ونحن نقول الآن: لقد غاب نجم كما تقولون، فلماذا لا يظهر منكم نجم منذ ألف عام حتى الآن؟ ولماذا يَرِد هذا الخبر في الكتب الدينية على الرغم من أن الواقع يكذبه؟!

يقول في الحديث التاسع:

سئل الإمام: لماذا يغيب الإمام؟ ويقول الإمام في جوابه: لأنه يخاف من القتل!

وعلى هذا فإن على الأنبياء، والأوصياء، والأئمة أن يغيبوا، وحتى الخلفاء كان عليهم أن يغيبوا لوجود أعداء لهم يتربصون بهم، وعلى هذا فإن كل من له مقام يخاف من القتل، أو عليه أن يخاف من القتل، أن يختفي على حد قولكم.

هل يصبح هذا إماماً؟ وهل أصبح هذا مذهباً. وكذلك أيضاً الحديث ١٨ ـ ٢٩.

وفي الحديث الثالث عشر:

ذكر سيدنا الأمير رضي الله عنه كلمات على منبر الكوفة، لكنه لم يذكر أحداً، وبذلك يمكن لكل من شاء أن يطبق الكلمات على نفسه ويدعي الإمامة.

ويجب التساؤل لماذا يكون هذا الإبهام في القول والألغاز هو مصدر الأصول والفروع في الإسلام؟!

في الحديث الرابع عشر:

روى سهل بن زياد الكذاب الخرافي، عن سيدنا موسى بن جعفر رضي الله عنه: إن الآية التي نزلت في مكة في سورة الملك مكية لهداية المشركين، والمنكرين للإله الحق وهي قوله تعالى: ﴿قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾، وقال تعالى في الآية التي تليها: ﴿قل هو الذي ذرأكم في الأرض﴾ ثم يقول تعالى: ﴿أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين﴾.

نزلت تلك الآيات كي تجعل الكفار يقرون بالألوهية لله تعالى، ولم يكن موضوع الإمامة قائماً في مكة آنذاك، ولكن الراوي يقول في هذا الحديث، قال الإمام: إذا غاب إمامكم فمن يأتيكم بماء معين.

وهذا تأويل نسبه الغلاة حسب ما تراءى لهم لأنهم لم يقرأوا: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

في الحديث السابع عشر:

يقول لا بد للإمام من غيبة في عزلة.

وهنا يأتي السؤال التالي: لماذا لا بد، وبأي دليل؟

ثم يقول بعد ذلك: ما بثلاثين من وحشة.

وما هذا إلا ضرب من الألغاز ـ أيّ ثلاثينَ؟ ـ وأين؟ لم يُعلم!

يقول في الخبر: له غيبتان، الأولى يعرف فيها الشيعة الخاصة مكانه، وفي الثانية أصدقاؤه الخصوصيون.

وهنا نسأل: من هم أصدقاؤه الخصوصيون؟! وروى المجلسي أن من ادعى رؤية الإمام ومشاهدته فهو كذاب مفترٍ.

وفي الحديث الحادي والعشرين:

يكون الظهور في حين فترةٍ من الأئمة.

هذا حسن لقد مضى الآن أكثر من ألف عام على فترة الأئمة، فلماذا لم يظهروا حتى الآن؟

الإشكال المهم هو أن الكليني وأمثاله يتوقعون أن يقبل الناس مثل هذه الأوهام والمبهمات بلا دليل ويؤمنوا بها.

وفي الحديث الثاني والعشرين والثالث والعشرين:

أورد الآية ١٥ ـ ١٦ من سورة التكوير وهي مكية، وقال: إنها تعني الإمام الغائب، حيث قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ * ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ مع أن الخُنَّس الجواري الكُنَّس صِيغَتا جَمْعٍ، والإمام الغائب مُفْرد، ونحن نقول: إن هذه الآيات نزلت في مكة ولا علاقة لها بالإمام الغائب.

وفي الحديث الثلاثين:

نسب الآيتين ٨ ـ ٩ من سورة المدثر للإمام الغائب في حين أنهما بشأن القيامة، وقد قال الله فيهما: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ * فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ﴾.

وهذا الحديث يقول: فإذا نُقِرَ في قلبِ الإمام فإنه يظهر[1].

---

(١) ظهور هذا الإمام كظهور الصوص عندما ينقر البيضة، ولكن الفارق بينهما أن الصوص هو الذي ينقر قشرة البيضة، أما الإمام المنتظر فإن النقر ليس من قِبَلِهِ، بل النقر خارجي!؟ (الناشر).

وهذه الآيات مكية، ولا تتعلق السورة بالإمام أصلاً، ولا يناسب هذا التأويل الآيات السابقة واللاحقة لها، ثم يا ترى ما الفائدة من هذا الإبهام في القول.

وعلى هذه الشاكلة تمضي أحاديث الباب كلها فليتدبر القارىء وليتأمل»[١].

ـ تناقض الغيبة مع فلسفة الإمامة[٢]؟

تقول نظرية (الإمامة الإلهية): إن الأرض لا يجوز أن تخلو من إمام (أي من حكومة ودولة) وإن الإمام ـ أي الرئيس أو الخليفة أو القائد الأعلى ـ يجب أن يكون معصوماً، ومُعَيَّناً من قبل الله، وإن الشورى باطلة ولا يجوز انتخاب الإمام من قبل الأمة.

وتقول النظرية الموسوية ـ المتفرعة عن الإمامية والموازية للفطحية ـ: إن الإمامة تتسلسل بشكل وراثي عمودي في ذرية علي والحسين إلى يوم القيامة.

من هذا افترض المتكلمون الإماميون وجود وولادة ابن للإمام الحسن العسكري ـ بالرغم من عدم وجود أدلة تاريخية ـ ورفض بعضهم الإيمان بإمامة جعفر بن علي الهادي ـ لعدم جواز الجمع بين أخوين بعد الحسن والحسين ـ وقالوا: «لا بد أن يكون قد ولد الإمام الحجة بن الحسن العسكري، وأن أباه قد أخفاه عن أعين الناس».

لكن السؤال الذي فرض نفسه هو: إذا كانت الإمامة محصورة في هذا الشخص، ولا تجوز لغيره من الناس العاديين غير المعصومين، وغير المعينين من قبل الله تعالى، فلماذا يغيب ويختفي ولا يظهر ليقود الشيعة والمسلمين، ويؤسس الحكومة الإسلامية التي لا بد منها؟ مادام أن الأرض لا يجوز أن تخلو من إمام، والإمام الغائب لا يمكن

---

(١) آية الله العظمى أبو الفضل البرقعي: «كسر الصنم»، ط٢، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، دار البيارق، عمان، ترجمة الدكتور عبدالرحيم ملا زادة البلوشي، (ص ٢٥٢ ـ ٢٥٨).

(٢) انظر: «تطور الفكر السياسي الشيعي»: السيد أحمد الكاتب، ط١، ١٩٩٧م، (ص ٢٣٧ ـ ٢٤١)، «حوارات أحمد الكاتب مع المراجع والعلماء والمفكرين حول وجود الإمام الثاني عشر»، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، (ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠).

أن يمارس إمامته وقيادته للناس؟

وما هو السر في الغيبة؟ وإلى متى يغيب؟ وما هو واجب الشيعة في حالة الغيبة؟

لقد كانت النتيجة الطبيعية واللازمة لذلك الفكر هي نظرية (الانتظار) وتحريم النشاط السياسي في (عصر الغيبة) وهي النظرية التي سادت قروناً طويلة من الزمن. . .

وهذا ما شكل تناقضاً صارخاً مع فلسفة الإمامة التي تقول بوجوب الإمام في الأرض، ووجوب كونه معصوماً، ووجوب تعيين الله له في كل زمان ومكان، من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية وقيادة المسلمين، والإفتاء لهم وحل مشاكلهم التشريعية.

وكان الشيعة الإمامية (الموسوية) قد خاضوا تجربة مرة مماثلة مع (الحركة الواقفية) التي ادعت غيبة الإمام موسى الكاظم، ووقفت منها موقفاً رافضاً، وذلك لتناقض الغيبة مع فلسفة الإمامة، حيث قال لهم الإمام علي بن موسى الرضا: «**سبحان الله! يموت رسول ولا يموت موسى! قد والله مضى كما مضى رسول الله**»[1].

واتَّهمَ الواقفيةَ الذين زعموا أن أباه لم يمت، بالكذب والكفر بما أنزل الله عز وجل على محمد ﷺ، وقال: «لو كان الله يَمدُّ في أجلِ أحدٍ من بني آدم لحاجة الخلق إليه لَمَدَّ في أجلِ رسولِ الله ﷺ»[2].

وناقش الإمام الرضا (الواقفية) في معنى الإمام، وفائدة قولهم بالإمامة إذا كانوا يعلقون التزامهم بإمام غائب لا وجود له في الحياة، وينبههم إلى ضرورة التفاعل مع الإمام الحي الظاهر، وينقل عن آبائه قولهم: «أن الحجة لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام حي يُعرف. ومن مات بغير إمام مات ميتة جاهلية، إمام حي يعرفه. وقد قال رسول الله ﷺ: من مات وليس له إمام يسمع له ويطيع مات ميتة جاهلية، ومن مات وليس عليه إمام حي ظاهر مات ميتة جاهلية، إمام حي»[3].

---

(١) الكليني: «الكافي» (١ / ٣٨٠).

(٢) الكشي: «الرجال» (ص ٣٧٩).

(٣) «الكافي» للكليني (١ / ١٧٧)، الحميري: «قرب الإسناد» (ص ٢٠٣).

وهذا يكشف عن رفض الإمام الرضا لنظرية الغيبة في أيام الإمام، وذلك لسقوط الحجة عن الناس في حالة الغيبة، وضرورة حضور الإمام بينهم ومعرفتهم له، والاستماع إليه وطاعته، والتفاعل معه، إذا كان يجب على الله أن يبعث إماماً من قبله.

إذن فإن الغيبة تشكل تناقضاً صارخاً مع (ضرورة وجود الإمام) الذي يفترض أن يتصدى لقيادة المسلمين، ولا يجوز له أن يغيب عن الساحة . . .

روى الصدوق حديثاً عن الإمام الصادق يعتذر فيه عن بيان وجه الحكمة في (غيبة صاحب الأمر) وذلك لأمر لم يؤذن له بكشفه للناس، ويقول: «إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره، وإنه أمرٌ من أمرِ الله، وسر من سر الله، وغيب من غيب الله»[(١)].

ورفض الشيخ المفيد سلوك طريق العقل والاعتبار في التحري عن سبب الغيبة، وقال: «إن المصلحة لا تُعرف إلا من جهة علّام الغيوب، المطلع على الضمائر، والعالم بالعواقب الذي لا تخفى عليه السرائر. . .»[(٢)].

وطالب الكراجكي الشيعة بالكف عن التفكير في هذه المسألة (أي مسألة الغيبة)، بعد الإيمان بوجود الإمام وعصمته، وأنه لا يفعل شيئاً إلا بإذن الله والتسليم لكل خطوة أو فعل أو موقف يتخذه (الإمام المعصوم) حتى مع عدم معرفة الأسباب والأغراض، وقال: «إنه ليس يلزمنا معرفة هذا السبب ولا يتعين علينا الكشف عنه، ولا يضرنا عدم العلم به»[(٣)].

ونفى الشيخ الطوسي الحاجة إلى تكلف الكلام في سبب غيبة الإمام بعد ثبوت وجوده[(٤)].

---

(١) الصدوق: «علل الشرائع» (ص ٢٤٦)، «الأمالي»(ص ٤٢٦).

(٢) المفيد: «الفصول المختارة» مسألة في الغيبة، (ص ٢٦٦ و٢٦٩).

(٣) الكراجكي: «كنز الفوائد» (١ / ٣٧١).

(٤) الطوسي: «الغيبة» (٣ ـ ٤).

وبعد اعتراف أركان نظرية (الغيبة) بعدم وجود تفسير معقول وأكيد للغيبة، لا تبقى حاجة لمناقشة الروايات والنظريات المختلفة التي قدموها لتبرير الغيبة، بالحكمة المجهولة أو بتمحيص الشيعة وغربلتهم، أو بخوف صاحب الزمان على حياته من القتل، فإن رواتها غلاة وضعاف، ومضمونها لا ينطبق على (محمد بن الحسن العسكري).

ونظرية الخوف التي يدعيها الإمامية الاثني عشرية كأقوى سبب في غيبة الإمام، هي بعيدة جداً عن أخلاق أهل البيت وحبهم للشهادة في سبيل الله، وهي تثير تساؤلات كبيرة، حول السر وراء عدم حفظ الله تعالى للمهدي ـ على فرض وجوده ـ كما حفظ النبي موسى وأنجاه من فرعون، وكما حفظ الرسول الأعظم ﷺ المبشر به من قبل.

وبالرغم من عدم تحديد الأئمة من أهل البيت لهوية المهدي من قبل، فإن التسليم بهذه المقولة جدلاً يثير تساؤلاً عن السر وراء إعلان أهل البيت لاسم القائم من قبل إذا كانوا يعرفون أنه سيتعرض للضغط؟ ولماذا لم يتركوه سراً لحين موعد القيام، حتى يجنبوا المهدي ملاحقة الأعداء منذ الولادة والطفولة؟

وإذا صحت نظرية الخوف من الأعداء فلماذا يستتر المهدي عن أوليائه؟ ولقد قام مئات الملايين من الشيعة عبر التاريخ بانتظار (الإمام المهدي) وإعلان الاستعداد لنصرته، وقامت لهم دول تتبنى الإيمان به، فلماذا لم يظهر مع ارتفاع الخوف بالتأكيد؟

وهذا سؤال طرحه بعض رؤساء الدولة البويهية الشيعية التي قامت في القرن الرابع الهجري، على الشيخ المفيد، وطالبه بالإجابة عليه، فأحال المفيد الإجابة على الله وقال: «إن سر الغيبة لا يعلمه إلا هو» واعترف فيه بكثرة الشيعة في ظل الدولة البويهية، ولكنه شكك في صدقهم وشجاعتهم وتقواهم[1].

والآن... وبعد مضي أكثر من ألف عام على القول بنظرية (الخوف) في تبرير (الغيبة)... وبعد سقوط عشرات الدول وقيام أضعافها، فإن تلك النظرية تبدو بعيدة

---

(١) المفيد: «الأمالي» (ص ٣٩٠).

جداً عن الواقع، وعارية عن أية مصداقية، ولا تشكل سوى فرضية وهمية لتبرير فرضية وجود الإمام (محمد بن الحسن العسكري) وتناقض غيبته مع مسؤولية الإمامة الملقاة على كاهله من الله، وهذا ما يثبت عدم صحة فرضية ولادة ووجود (الإمام الحجة ابن الحسن) وإلا فلو كان حقاً موجوداً لكان يجب عليه الظهور والقيام عند أول فرصة تسمح له بذلك، وعدم جواز إبقاء الأمة مهملة بدون قيادة شرعية. . .

واليوم زال الخوف، وأزال الشيعة الأسباب التي دفعت الإمام إلى الغيبة، وأعدوا العدة لنصرته، وعزموا على معاضدته والانقياد له، والكف عن نصرة الظالمين، ودعوه للخروج، ولكنه لم يخرج!

وقد رفض الشيخ الصدوق في «إكمال الدين» التصديق بقول الواقفية في غيبة الإمام موسى الكاظم ومهدويته لأن عمره كان قد تجاوز يومذاك العمر الطبيعي المعهود، ومع ذلك فقد روى هو والطوسي روايات تقول بأن عمر المهدي قد يطول مثل عمر نوح، وجواز أن ينقض الله العادة لضربٍ من المصلحة[1].

وفي حوار السيد أحمد الكاتب مع الشيخ علي الكوراني العاملي حول وجود (محمد بن الحسن العسكري) يقول: «إن الغيبة المفترضة تتناقض مع فلسفة الإمامة التي تقول بأن من الواجب على الله تعالى أن ينصب لعباده أئمة معصومين، وهو ما كان يقول به فلاسفة الإمامية السابقون. ويمكن مراجعة أي كتاب في الإمامة للشيخ المفيد أو السيد المرتضى أو الشيخ الطوسي أو العلامة الحلي، وخاصة كتاب «الألفين»، للتأكد من فلسفة الإمامة، ومعنى الإمام ودوره في الحياة في مفهوم الإمامية، حيث يقول الإمامية: إنه لا يعقل أن يترك الله المسلمين بلا والٍ أو إمام بعد الرسول، أو أن يتركهم لكي ينتخبوا الإمام عبر الشورى، ولم يكن حديث الإمامية عن الإمامة يدور حول إدارة الكون.

وطبقاً لهذا المفهوم، فإن الغيبة تشكل تناقضاً صارخاً مع نظرية الإمامة ووجوب

(١) الطوسي: «الغيبة» (ص ٧٦ و٧٨).

تعيين الله للإمام في كل زمان، فقد مضى أكثر من ألف ومائة عام والمسلمون والشيعة بالخصوص ليس لهم إمام من الله، ولذلك ذهبوا يبحثون عن إمام فقيه عادل، ويكتفون به لإقامة دولتهم، بعد أن اضطرتهم النظرية الإمامية السابقة إلى الاعتزال السياسي والانتظار الطويل.

ومن هنا أعتقد أن الشيعة اليوم هم جعفرية فقط، وقد تخلوا عن نظرية الإمامة وشروطها المثالية التعجيزية في العصمة والنص، والاثني عشرية، والتمسك بانتظار الإمام الغائب، وذلك على المستوى العملي، وإن كان البعض يحمل في مخيلته بعض آثار الفكر الإمامي البائد.

وقد عاد الشيعة بذلك إلى فكر أهل البيت الأصيل القائم على الشورى، وحق الأمة في الانتخاب، وخرجوا من الفكر الدخيل الأسطوري الذي بثه الغلاة في تراثهم.

لقد كانت مهمة الأئمة في الفكر الإمامي تنقسم إلى أمرين هما التشريع في الحوادث الواقعة وتحصيل العلم بها من الله، والتنفيذ.

وقد تخلى الشيعة عن الركن الأول من نظرية الإمامة بفتح باب الاجتهاد في القرن الخامس الهجري على يد الشيخ المفيد والطوسي والمرتضى، بعد كفاح طويل مع الإمامية الذين كانوا يعتبرون (الاجتهاد) متناقضاً مع الإمامة، ثم تخلى الشيعة عن الركن الثاني من نظرية الإمامة بقولهم بولاية الفقيه أو الشورى حيث أجازوا إقامة الدولة الإسلامية بدون إمام معصوم معين من الله.

وأذكركم مرة ثانية بقراءة كتاب «الألفين» للعلامة الحلي لكي تتأكدوا بأنفسكم لماذا كان الإمامية يعارضون نظرية ولاية الفقيه ويعتبرونها نظرية سنية زيدية متناقضة تماماً مع نظرية الإمامة»[1].

---

(١) «حوارات أحمد الكاتب مع المراجع والعلماء والمفكرين حول وجود الإمام الثاني عشر»: السيد أحمد الكاتب، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، (ص ٢٣٩ - ٢٤٠).

ـ أهمية الإيمان بوجود الإمام المنتظر:

في حوار أحمد الكاتب مع السيد محمد تقي المدرسي في كتابيه «الإمام المهدي والإيمان بالغيب» و«الإمام المهدي قدوة الصديقين» اللذين كانا بمثابة رد على كتابه «تطور الفكر السياسي الشيعي»، يقول:

«كلما يشعر المدرسي بتهافتِ منطقهِ واستدلاله، يرفع درجة تهويله ليغطي على عجزه فيقول: إن الإيمان بالمهدي عجل الله فرجه كاملٌ مُكمِّل للمنظومة الإمامية، فكما أن الطائرة لا يمكنها التحليق في الجو إذا أصابها عطب أو خلل في أحد جناحيها أو أجهزتها العديدة التي تكون بمجموعها وحدة واحدة لا يمكن الاستغناء عن إحداها أو إلغائها، وكما أن الذي يؤمن بالزكاة والحج والخمس ولكنه لا يؤمن بالصلاة وينكرها يعتبر كافراً وليس مسلماً لأنه يفتقد جزءاً رئيسياً من منظومة الإيمان... كذلك الذي لا يؤمن بالإمام الحجة عجل الله فرجه، فهو لديه مشكلة رئيسية وخلل عميق في ركن أساسي من الإيمان» ثم يقول في مكان آخر:

«إن أبرز وأهم غيب في حياتنا هو الإيمان بوجود وظهور وانتصار الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف»[1].

وجاء في كتاب «المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي»:

«الإيمان بالغيب جزء من عقيدة المسلم إذ تكررت الدعوة قرآناً وسنة... وهذا الإيمان بالغيب لا تصحُّ عقيدة المسلم بإنكاره سواء تَعقَّله وأدرك أسراره وتفصيلاته أم لم يستطع إلى ذلك سبيلاً، كما هو الأمر مثلاً بالنسبة إلى الإيمان بالملائكة وبالجن وبعذاب القبر، وسؤال الملكين في القبر، إلى غير ذلك من المغيبات التي ذكرها القرآن أو أخبر بها نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ونقلها إلينا الثقاة العدول المؤتمنون، ومن جملة ذلك بل من أهمها قضية الإمام المهدي الذي سيظهر في آخر

---

(١) «حوارت أحمد الكاتب مع المراجع والعلماء والمفكرين حول وجود الإمام الثاني عشر»: السيد أحمد الكاتب، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، (ص ٩٠ - ٩١).

الزمان ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن مُلئت ظلماً وجوراً.

فالمهدي قد نطقت به الصحاح والمسانيد والسنن فلا يسع مسلماً إنكاره، لكثرة الطرق ووثاقة الرواة ودلائل التاريخ والمشاهدة الثابتة لشخصه، كما حقق في محله من هذا البحث»[1].

* * * * *

(١) «المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي»: المؤلف والناشر مركز الرسالة للدراسات والبحوث، توقيع مؤسسة الرسالة التابعة لمرجعية السيد علي السيستاني، ط١، محرم ١٤١٧هـ، (ص ١٦٢)، نقلاً عن حوارات أحمد الكاتب مع المراجع والعلماء والمفكرين، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، الدار العربية للعلوم، ناشرون، (ص ٩٦).



الفصل الرابع
نظرية الوجود والتكوين للإمام المهدي

جاء في مقدمة كتاب «الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف»:

«الإمام المهدي (عج) نور له حقيقته الكونية، والمقام التكويني العظيم، فبيمينه تُرزق المخلوقات بأسرها، هذا بالإضافة إلى مقامه التشريعي وأنه حجة الله على الأرض، فكما أن للشمس مكانتها الكونية، ولذا إذا لم تكن لساخت الأرض، كذلك الإمام المهدي المنتظر... ولولاه لساخت أيضاً، حيث ورد أن بوجوده تثبت الأرض والسماء، مع أن الشمس مادية فحسب والإمام المهدي مادي معنوي معاً، فوجوده في غيبته لُطفٌ لا يُستغنى عنه.

والبشرية تنتظر ظهوره لكي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، ولا بد من يوم يظهر... وحينئذ تتبدل الأرض غير الأرض، فلا هي كالأرض الحالية، ولا هي كالجنة...»[1].

ويقول السيد محمد تقي المدرسي في الإمام المفترض (المهدي المنتظر):

«مَنْ يحفظُ سكان الأرض من الدمار والانهيار والضياع؟ إنه الإمامُ الغائب،

---

(١) «الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف»: المرجع الديني الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي، ط١، ١٩٩٩م، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، بيروت، مقدمة الكتاب، نقلاً عن كتاب: «حوارات أحمد الكاتب مع المراجع والعلماء والمفكرين حول وجود الإمام الثاني عشر»: السيد أحمد الكاتب، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، الدار العربية للعلوم، ناشرون، (ص ٦٧).

الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه، فهو الإمام لأهل الأرض، ولولاه لساخت الأرض بأهلها، ولتحول كل شيء إلى كثيب مهيل. ولتعلم ـ أخي المسلم ـ قبل كل شيء أن الإمام الحجة المنتظر أقرب إليك مما تظن وهو عندك وأنت عنده»[1].

ويقول السيد كمال الحيدري تحت عنوان «تحرير محل النزاع» في نظرية الإمامة:

«انطلقت المدرسة السنية من نقطة مركزية في تكوين نظامها الفكري لفهم نظرية الإمامة تمثلت في أن الإمام أو الخليفة، يعني القائد والزعيم السياسي المسؤول عن إدارة شؤون الناس على مختلف الأصعدة والمستويات... وحيث لم يتجاوز دور الإمام في النظام الفكري لهذه المدرسة تخوم القيادة والزعامة السياسية، فقد كان من المنطقي، بقطع النظر عن دلالات الوحي الإلهي، أن يولوا وجوههم صوب نظرية الشورى وانتخاب أهل الحل والعقد...

وعندما انتقلوا إلى الشروط التي لا بد من توافرها فيمن يتصدى للنهوض بهذا الدور، لم يجدوا مناصاً من الالتزام بأنه لا يشترط أن يكون معصوماً، بل تكفيه من الناحية السلوكية العدالة بمعناها المتداول في البحث الفقهي، ومن ناحية التأهيل العلمي تكفيه قدرة علمية ترفعه إلى مستوى أداء المسؤوليات التي أنيطت به، وهكذا انتهت عناصر النظام الفكري للمدرسة السنية في الإمام إلى المكونات التالية بشكل عام:

لا تعني الإمامة غير الحكم والقيادة السياسية.

تتم هذه العملية بالانتخاب والشورى.

أنها منقطعة ليست دائمة.

لا يشترط فيها غير العدالة والعلم بمعناها المألوف»[2].

---

(١) السيد محمد تقي المدرسي: «الإمام المهدي قدوة الصديقين» (ص ٢، نقلاً عن: «حوارات أحمد الكاتب مع المراجع والعلماء والمفكرين» (ص ٨٦).

(٢) «دفاع عن التشيع»: السيدين كمال الحيدري ونذير الحسني، ط١، ٢٠٠١م، الناشر: المؤسسة=

ثم يكمل كلامه فيقول:

«عند الانتقال إلى الجانب الآخر من المشهد، نلمس أن المنهج الكلامي في المدرسة الشيعية، لم يبادر إلى تحرير محل النزاع وتحديد الخلاف بين المدرستين. . .

إن الفكر الكلامي الإمامي الشيعي كان يدور فعلاً حول محور الإمامة بمعنى الخلافة والحكم والزعامة، وهو نفس محور الحديث عند الفكر السني، ولم يكن الطرفان يختلفان حول أصل الموضوع، بقدر ما كانا يختلفان حول شروط الإمام، فيشترط الفكر الإمامي العصمة والنص، ويرفض الفكر السني القبول بذلك الشرط. . .

ثم يقول:

إن الذي نستوحيه من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والروايات الصحيحة الواردة عن أئمة أهل البيت. . . أن الإمامة التي تعتقد بها مدرسة أهل البيت تختلف اختلافاً جوهرياً عن دور الإمامة التي تنحصر في الخلافة والحكم، وذلك لأن هذا الاتجاه يرى أن للإمامة دوراً فوق دور القيادة والزعامة، وهو الدور الذي بينه القرآن الكريم من خلال قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]. . . وهي التي قال عنها الإمام السجاد: نحن الذين بنا يمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وبنا ينشر الرحمة ويخرج بركات الأرض، ولولا ما في الأرض منا لساخت بأهلها.

لذا عندما يسأل الإمام محمد الباقر، ويقال له: لأي شيء يحتاج إلى النبي والإمام؟ فيقول: لبقاء العالم على صلاحه، وذلك أن الله عز وجل يرفع العذاب عن أهل الأرض إذا كان فيها نبي أو إمام، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] من هنا عبر الرسول الأعظم عن هذا الدور لأهل بيته بقوله: «النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهبت النجوم أتى أهل

= الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، قم، إيران (ص ٧ ـ ٨) نقلاً عن «حوارات أحمد الكاتب مع المراجع والعلماء والمفكرين» (ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠).

السماء ما يكرهون، وإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يكرهون».

ولعل تشبيه انتفاع الناس بالحجة في زمن غيبته، عندما يسأل الإمام الصادق، فكيف ينتفع الناس بالحجة المستور، قال: كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب، يشير إلى حقيقتين أساسيتين:

الأولى: أن الانتفاع به لا يختص بعالم التشريع والاعتبار، بل يتجاوز ذلك إلى عالم التكوين.

الثانية: أن هذا الأمر غير محسوس ومرئي للناس، بل يرتبط بعالم الغيب لا نشأة الشهادة.

وتأسيساً على ما تقدم فنحن نعتقد أنه لا يمكن الوقوف على فلسفة ما اشترطناه في الإمامة من العصمة والنص والديمومة والعلم الخاص، إلا إذا أدركنا المهام والمسؤوليات التي أنيطت بدور الإمامة والخلافة في النظرية القرآنية، وخصوصاً ما نصطلح عليه بـ(الدور الوجودي) للإمام، وهو غير (الدور التشريعي) و(القيادة السياسية) و(القدوة الصالحة) بل إن صح التعبير فإن هذه الأدوار إنما هي ثمرات ذلك الأصل التي عبر عنه القرآن الكريم بـ(الشجرة الطيبة) التي ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٥]..»[(١)].

ثم يعود للتأكيد على هذه الفكرة قائلاً: «أود الإشارة هنا إلى أن البحث في مسائل الإمامة، يمكن أن يكون من خلال بعدين:

الأول: البعد الوجودي والتكويين.

الثاني: البعد السياسي والفقهي والتاريخي»[(٢)].

---

(١) «دفاع عن التشيع»: السيدين كمال الحيدري ونذير الحسني، ط١، ٢٠٠١م، الناشر: المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، قم، إيران (ص ١٠ ـ ١٢) نقلاً عن «حوارات أحمد الكاتب مع المراجع والعلماء والمفكرين» (ص ٢٩٠ ـ ٢٩٣).

(٢) المصدر السابق.

- من صفات المهدي:

يروي المسعودي عن أبي محمد الحسن العسكري أنه قال: «لما ولد الصاحب بعث الله عز وجل ملكين فحملاه إلى سرادق العرش، حتى وقف بين يدي الله فقال له: مرحباً بك. . . بك أعطي وبك أعفو، وبك أعذب»[١].

ويروي الطوسي في «الغيبة» عن كامل بن إبراهيم المدني: أنه ذهب إلى الإمام الحسن العسكري ليسأله عن بعض المسائل، وبينما هو جالس في الدار، وإذا بالريح تكشف ستراً مرخى على باب، وإذا هو بفتى كأنه فلقة قمر، فقال له: يا كامل بن إبراهيم جئت إلى ولي الله وحجته وبابه تسأله كذا وكذا، فقال: إي والله، ثم رجع الستر إلى حالته، فلم يستطع كشفه، ولم يعاينه بعد ذلك[٢].

وينقل الطوسي أيضاً عن إسماعيل بن علي النوبختي: أنه دخل على الإمام الحسن العسكري قبيل وفاته بساعة، وأنه طلب من خادمه (عقيد) أن يدخل البيت ويأتيه بصبي فيه، فقال له أبو محمد (الحسن العسكري): «أبشر يا بني فأنت صاحب ا لزمان وأنت المهدي وأنت حجة الله على أرضه، وأنت ولدي ووصيي أنا ولدتك، وأنت محمد بن الحسن. . . وأنت خاتم الأئمة الطاهرين، وبشر بك رسول الله، وكفاك بذلك عهد إلي أبي عن آبائك الطاهرين»[٣].

روى الكليني عن أم هانىء، قالت: سألت أبا جعفر ـ محمد الباقر ـ عن معنى قول الله عز وجل: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ * ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥ ـ ١٦]؟ فقال: هو إمام يخنس سنة ستين ومائتين، ثم يظهر كالشهاب يتوقَّد في الليلة الظلماء، فإن أدركتِ زمانَه قرَّتْ عينُك»[٤].

الخنس عند الإمام الباقر ـ حسبما تزعم الرواية ـ هو الإمام الغائب، الإمام الثاني

---

(١) المسعودي: «إثبات الوصية» (ص ١٩٧).
(٢) الطوسي: «الغيبة» (ص ١٤٨ ـ ١٤٩).
(٣) المصدر السابق (ص ١٦٥).
(٤) «الكافي» للكليني (ص ٣٤١).

عشر، وهو محمد بن الحسن العسكري، هو الإمام المهدي، الذي دخل سرداب سامراء، وغاب فيه، سنة مائتين وستين للهجرة... وسيظهر هذا الإمام الثاني عشر، ويكون شهاباً مشرقاً يضيء ظلمة الليل، ويملأ الأرض عدلاً!!

روى الكليني عن المفضّل بن عمر قال: قال أبو عبدالله ـ جعفر الصادق ـ في معنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨]: إن منا إماماً مظفراً مستظهراً، فإذا أراد الله إظهار أمره، نكت في قلبه نُكتة، فظهر، فقام بأمر الله...»[١].

ويقول محمد تقي المدرسي: «إن الرسول وإن مات جسداً، ولكنه حي يرزق بين أظهر المسلمين، وذلك عبر خليفته ووصيه الذي هو القرآن الناطق، وهو الأمل لأهل الأرض، وهو الأمل التاريخي للبشرية جمعاء، وهو الإمام والحجة بن الحسن المهدي عليه السلام»[٢].

ويخاطب الشيخ محمد حسين الوحيد الخراساني الإمام المهدي بالقول:

«يا فاعل ما به الوجود، ويا من أينما كان ما منه الوجود (أي الله تعالى) كنت أنت أيضاً هناك، فلا يخلو مكان ـ بحكم البرهان ـ من فاعل ما منه الوجود، ولا يخلو مكان منك أنت أيضاً، لأن أفعاله تعالى وإن كانت أفعاله ولكنها بواسطتك، فمنه تعالى كل شيء، لأن كل شيء منه لا إله إلا الله، ومنك كل شيء لأن كل شيء يكون بواسطتك.

إننا موحدون... لا نعرف شيئاً منك، بل نعرف أن كل شيء من الله تعالى، ولكن في عين الحال التي نرى أن كل شيء منه هو، نرى أيضاً أن أنفاس صدورنا منه ولكن بك أنت... أيتها الرحمة التي وسعت كل شيء»[٣].

ويقول الخراساني أيضاً: «إن إمام العصر صار عبداً، وعندما صار عبداً صار رباً،

---

(١) «الكافي» للكليني (١ / ٣٤٣).

(٢) «الإمام المهدي قدوة الصديقين»: محمد تقي المدرسي (ص ٧).

(٣) الشيخ محمد حسين وحيد الخراساني: «مقتطفات ولائية» ترجمة عباس بن نخي، الكويت، (ص ٤١) نقلاً عن «حوارات أحمد الكاتب مع المراجع والعلماء والمفكرين» (ص ٢٢١).

فـ (العبودية جوهرة كنهها الربوبية) فمن ملك هذه الجوهرة تحققت ربوبيته ـ بالله تعالى لا بالاستقلال ـ بالنسبة للأشياء الأخرى»[١].

ويقول أيضاً عن المفضل بن عمر: أنه سمع أبا عبدالله ـ جعفر الصادق ـ يقول في قول الله تعالى: ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾: رب الأرض إمام الأرض. قلت: فإذا خرج يكون ماذا؟ قال: إذن يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر، ويجتزئون بنور الإمام»[٢].

ويقول أيضاً: «إن إمام العصر هو صاحب مقام الإمامة المطلقة، أي العلم المطلق والقدرة المطلقة والإرادة المطلقة والكلمة التامة والرحمة الواسعة» ويقول: «لا شك أن إمام الزمان جوال في زيارة أولياء الله، ولا حجاب أمامه، فمن هو (فاعل ما به الوجود) لا يكون محجوباً»[٣].

ويقول أيضاً: «من الضروريات والمسلمات: أن كل من تنقطع به السبل ويتيه في صحراء قاحلة لا يهتدي فيها إلى طريق ـ سواء كان يهودياً أو نصرانياً، أو مسلماً شيعياً أو سنياً لا فرق بتاتاً ـ إذا ما ندب في ذلك الحين، وقال: (يا أبا صالح المهدي أدركني) فإن النتيجة قطعية الحصول... والسر في ذلك أن الدعاء في تلك الحالة متوجه للإمام حقيقة لأنه نابع عن اضطرار واقعي يخرق الحجب، وفي غير تلك الحالة فإن الندبة غير متوجهة إليه والأمر سيان بين الله وبين سبيل الله، مَنْ منه الوجود ومن به الوجود، والحكم في الحالين واحد، فكما أن التوجه بالدعاء إلى من منه الوجود يجب أن يتحقق حتى تتحقق الاستجابة، كذلك الأمر بالنسبة إلى من به الوجود، فهو السبيل الأعظم والصراط الأقوم، فإن التوجه إليه بالدعاء يجب أن يتحقق فتتحقق الاستجابة في ذلك الحين بالضرورة»[٤].

---

(١) المصدر السابق (ص ٣٩) نقلاً عن نفس المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق (ص ٦٢) نقلاً عن المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق (ص ٤٢ ـ ٤٣) نقلاً عن المصدر السابق (ص ٢٢١).

(٤) المصدر السابق (ص ٥٠) نقلاً عن المصدر السابق (ص ٢٢٢).

ومن أجل أن يؤكد الخراساني مزاعمه في نجدة (الإمام المهدي) لمن يستغيث به، يأتي الشيخ بقصة أسطورية، فيقول: «إن رجلاً صاحب حمام عمومي في مدينة الحلة كان يطعن في قاتلي فاطمة فاعتقله حاكم الحلة، وأمر بضربه وتعذيبه حتى سقطت أسنانه وقلعوا عينيه ولسانه وجدعوا أنفه، ثم ربطوا فيه خيطاً يجولون به في الأسواق، ثم أعادوه إلى داره وألقوه فيها وذهبوا، ولما عادوا إليه في صباح اليوم التالي وجدوه كأنه شخص آخر، فقد نبتت أسنانه وعوفيت أسقامه، وزالت جراحاته وانقلب منظره القبيح بفعل الجراحات والتعذيب إلى صورة حسنة، وهيئة جميلة، فسألوه عما حدث له، فقال: عندما ألقوني هنا شاهدت الموت بأم عيني، وكنت من الضعف بحيث يعجز لساني حتى عن النطق فندبته (أي الحجة بن الحسن) بقلبي وهتفت بضميري (يا صاحب الزمان) وما إن حدث ذلك حتى رأيته جالساً إلى جواري فنظر إلي نظرة، ووضع يده على جسمي، وقال لي: انهض، واذهب في تحصيل قوت عيالك، ولم تكن ثمة حاجة ليمسح على جميع أعضاء ذلك الجسم المثقل بالجراحات والآلام، فقد وضع يده على بدن الرجل ولمس جسمه لمساً وقال له: انهض»[1].

ويقول أيضاً: «إن إمام الزمان عليه السلام يشهد منظر كربلاء في كل صباح ومساء، هذه هي حياة ولي العصر، وهذا هو امتحانه»[2].

ويقول الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي:

«الإمام المهدي عجل الله فرجه، نور له حقيقته الكونية، والمقام التكويني العظيم، فبيمينه ترزق المخلوقات بأسرها، هذا بالإضافة إلى مقامه التشريعي، وأنه حجة الله على الأرض، فكما أن للشمس مكانتها الكونية، ولذا إذا لم تكن لساخت الأرض، كذلك الإمام المهدي المنتظر... ولولاه لساخت أيضاً، حيث ورد أن بوجوده ثبتت الأرض والسماء، مع أن الشمس مادية فحسب، والإمام المهدي مادي

---

(١) المصدر السابق (ص ٦٨) نقلاً عن المصدر السابق (ص ٢٢٤).

(٢) المصدر السابق (ص ٤١) نقلاً عن «حوارات أحمد الكاتب مع المراجع والعلماء والمفكرين» (ص ٢٢٥).

ومعنوي معاً، فوجوده في غيبته لطف لا يستغنى عنه.

والبشرية تنتظر ظهوره لكي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، ولا بد من يوم يظهر... وحينئذ تتبدل الأرض غير الأرض، فلا هي كالأرض الحالية، ولا هي كالجنة...»[1].

ويقول السيد محمد تقي المدرسي في الإمام المفترض (المهدي المنتظر):

«من يحفظ سكان الأرض من الدمار والانهيار والضياع؟ إنه الإمام الغائب، الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه، فهو الإمام لأهل الأرض، ولولاه لساخت الأرض بأهلها، ولتحول كل شيء إلى كثيب مهيل. ولتعلم ـ أخي المسلم ـ قبل كل شيء أن الإمام الحجة المنتظر أقرب إليك مما تظن وهو عندك وأنت عنده»[2].

ويزعم الخميني أن عيد ميلاد المهدي المنتظر أكبر من عيد ميلاد النبي عليه وآله الصلاة والسلام: «إن هذا العيد هو عيد كبير بالنسبة للمسلمين... يعتبر أكبر من عيد ميلاد النبي»[3].

*****

(١) المرجع الديني الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي: «الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف»، ط١، ١٩٩٩م، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، بيروت، مقدمة الكتاب) نقلاً عن كتاب «حوارات أحمد الكاتب مع المراجع والعلماء والمفكرين حول وجود الإمام الثاني عشر» (ص ٦٧).

(٢) السيد محمد تقي المدرسي: «الإمام المهدي قدوة الصديقين» (ص ٢) نقلاً عن «حوارات أحمد الكاتب مع المراجع والعلماء والمفكرين» (ص ٨٦).

(٣) مجلة المجتمع، العدد ٤٨٨، الكويت، تاريخ ٨/ ٧/ ١٩٨٠م، عن «الشيعة في التصور الإسلامي»: علي عمر فريج، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، دار عمار، عمان، (ص ١٢٦).



الفصل الخامس

النيابة عن الإمام الغائب المنتظر (الإمام المهدي)

بعد وفاة الحسن العسكري (الإمام الحادي عشر لدى الشيعة الإمامية الاثني عشرية) عام ٢٦٠هـ ادعى عدد من الشيعة النيابة عن ولده المزعوم الغائب محمد بن الحسن العسكري خلال فترة الغيبة الصغرى الممتدة من عام ٢٦٠هـ إلى عام ٣٢٩هـ، وأوثقهم لدى الشيعة أربعة هم:

١ ـ أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري (السمان).

٢ ـ محمد بن عثمان بن سعيد العمري، المكنى بأبي جعفر.

٣ ـ أبو القاسم حسين بن روح النوبختي.

٤ ـ علي بن محمد السمري (السيمري) المكنى بأبي الحسن.

يقول الطوسي: «ولد الخلف المهدي صلوات الله عليه سنة ست وخمسين ومائتين، ووكيله عثمان بن سعيد، فلما مات عثمان بن سعيد أوصى إلى أبي جعفر محمد بن عثمان، وأوصى أبو جعفر إلى أبي القاسم الحسين بن روح، وأوصى أبو القاسم إلى أبي الحسن علي بن محمد السمري..»[1].

كان هؤلاء (النواب) أو (السفراء) أو (الوكلاء) يَدَّعون مشاهدةَ (الإمام الغائب) واللقاء به وإيصال الأموال إليه، ونقل الرسائل المرسلة من الشيعة، و(التواقيع) منه إلى المؤمنين به.

---

(١) الطوسي: «الغيبة» (ص ٢٤١ ـ ٢٤٢).

والجيل الأول منهم رجال من أصحاب الإمامين علي بن محمد الهادي، والحسن ابن علي العسكري، وكان على رأسهم عثمان بن سعيد العمري، الذي كان وكيلاً للإمامين في قبض الأموال من الشيعة وإيصالها إليهما في حياتهما، وكان الشيخ الطوسي يصفه بأنه: «الشيخ الموثوق به ومن السفراء الممدوحين للأئمة»[1].

وكان يقوم بدور أكبر من جمع المال وإيصاله إلى الإمامين، فقد كان يوصل رسائلهما إلى الشيعة، وكان يحتل مرتبة عظيمة عندهما.

ويقول الطوسي في رواية عن أحمد بن إسحاق القمي، قال: دخلت على أبي الحسن علي بن محمد، في يوم من الأيام، فقلت: يا سيدي أنا أغيب وأشهد، ولا يتهيأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت، فقولُ مَنْ نقبل، وأمرُ مَنْ نمتثل؟ فقال لي: «هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ما قاله لكم فعني يقوله، وما أداه إليكم فعني يؤديه». فلما مضى أبو الحسن وصلت إلى أبي محمد الحسن العسكري، ذات يوم، فقلت له مثل قولي لأبيه، فقال لي: «هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ثقة الماضي، وثقتي في المحيا والممات، فما قاله لكم فعني يقوله، وما أدى إليكم فعني يؤديه»[2].

ويقول الطوسي في رواية أخرى عن أحمد بن علي بن نوح أبو العباس السيرافي، قال: أخبرنا أبو نصر عبدالله بن محمد بن أحمد المعروف بابن برنية الكاتب، قال: حدثني بعض الشراف من الشيعة الإمامية أصحاب الحديث، قال: حدثني أبو محمد العباس بن أحمد الصائغ، قال: حدثني الحسين بن أحمد الخصيبي، قال: حدثني محمد بن إسماعيل وعلي بن عبدالله الحسنيان، قالا: دخلنا على أبي محمد الحسن بسر من رأى، وبين يديه جماعة من أوليائه وشيعته حتى دخل عليه بدر خادمه، فقال: يا مولاي بالباب قوم شُعْثٌ غُبر، فقال لهم: هؤلاء نفر من شيعتنا باليمن (في حديث طويل يسوقه) إلى أن ينتهي، إلى أن قال الحسن لبدر: فامض ائتنا بعثمان بن سعيد العمري، فما لبثنا إلا يسيراً حتى دخل عثمان، فقال له سيدنا أبو محمد: «امض يا

---

(١) الطوسي: «الغيبة» (ص ٢٠٩ ـ ٢١٤).

(٢) المصدر السابق (ص ٢١٥).

عثمان فإنك الوكيل والثقة المأمون على مال الله، واقبض من هؤلاء النفر اليمنيين ما حملوه من المال (ثم ساق الحديث إلى أن قال) ثم قلنا بأجمعنا: يا سيدنا، والله إن عثمان لمن خيار شيعتك، ولقد زدتنا علماً بموضعه من خدمتك، وإنه وكيلك وثقتك على مال الله، قال: «نعم، واشهدوا على أن عثمان بن سعيد العمري وكيلي، وأن ابنه محمد وكيل ابني مهديكم»(١).

وهذه الرواية تشتمل بالإضافة إلى وثاقة ووكالة عثمان بن سعيد العمري على وثاقة ابنه محمد بن عثمان ووكالته.

ويروي الطوسي أيضاً عن أبي محمد هارون بن موسى، قال: وقال جعفر بن محمد بن مالك الفزاري، عن جماعة من الشيعة منهم علي بن بلال وأحمد بن هلال ومحمد بن معاوية بن حكيم والحسن بن أيوب بن نوح (في خبر طويل مشهور) قالوا جميعاً: اجتمعنا إلى أبي محمد الحسن بن علي (العسكري) نسأله عن الحجة من بعده، وفي مجلسه أربعون رجلاً، فقام إليه عثمان بن سعيد العمري، فقال له: يا ابن رسول الله أريد أن أسألك عن أمر أنتَ أعلمُ به مني، فقال له: اجلس يا عثمان، فقام مغضباً ليخرج، فقال: لا يخرجن أحد، فلم يخرج منا أحد إلى أن كان بعد ساعة، فصاح بعثمان، فقام على قدميه، فقال: أخبركم بما جئتم؟. . . جئتم تسألوني عن الحجة من بعدي، قالوا: نعم، فإذا غلام كأنه قطع قمر أشبه الناس بأبي محمد (الحسن العسكري)، فقال: «هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم. . . اقبلوا من عثمان ما يقوله، وانتهوا إلى أمره، واقبلوا قوله فهو خليفة إمامكم، والأمر إليه»(٢).

ويقول الطوسي نقلاً عن حفيد العمري، هبة الله. . . **كانت توقيعات صاحب الأمر تخرج على يدي عثمان بن سعيد وابنه أبي جعفر إلى شيعته وخواص أبيه بالأمر والنهي، والأجوبة عما يسأل الشيعة عنه إذا احتاجت إلى السؤال فيه، بالخط الذي كان يخرج في حياة الحسن**، فلم تزل الشيعة مقيمة على عدالتهما إلى أن توفي عثمان بن

---

(١) المصدر السابق (ص ٢١٥ ـ ٢١٦).

(٢) المصدر السابق (ص ٢١٧).

سعيد[1].

لقد توفي عثمان بن سعيد العمري بعد وفاة الإمام العسكري بسنتين وخلف من بعده ابنه محمد أبا جعفر (سفيراً) بين الإمام المهدي (الغائب) والشيعة.

وينقل الكليني والطوسي (تواقيع) (أي رسائل) واردة من الإمام الغائب بتوثيق (ابن العمري) وتزكيته وتنصيبه في منصب (النائب الخاص)[2].

ويقول عبدالله بن جعفر الحميري القمي ـ زعيم الشيعة في قم ـ: إن المهدي قد أرسل إلى العمري الابن (توقيعاً) جاء فيه: «إنا لله وإنا إليه راجعون، تسليماً لأمره ورضاء بقضائه... عاش أبوك سعيداً ومات حميداً، فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه، فلم يزل مجتهداً في أمرهم ساعياً فيما يقربه إلى الله عز وجل، نضّر الله وجهه وأقال عثرته... وكان من كمال سعادته أن رزقه الله تعالى ولداً مثلك يخلفه من بعده ويقوم مقامه بأمره، ويترحم عليه، وأقول: «الحمد لله، فإن الأنفس طيبة بمكانك وما جعله الله عز وجل فيك وعندك، أعانك الله وقواك وعضدك ووفقك وكان لك ولياً وحافظاً وراعياً وكافياً»[3].

وقال الحميري: لما مضى أبو عمرو (عثمان بن سعيد) أتتنا الكتب بالخط الذي كنا نُكاتَبُ به بإقامة أبي جعفر مقامه[4].

---

(١) المصدر السابق (ص ٢١٦).

(٢) المصدر السابق (ص ٢١٨).

هل يحتفظ الشيعة بالرقع والرسائل التي تحمل تواقيع الإمام الغائب، أم أن الطوسي والكليني ينقلون روايات فقط قِيلٍ عن قال، وطالما أن المهدي يرسل إلى العمري الابن (توقيعاً) بمثل هذه العبارات المطوّلة فلا بد أنها مكتوبة وليست رسالة شفهية فهلاّ أظهرتم على الأقل صور هذه الرقع والفتاوى والأوراق التي كان يكتبها الإمام المهدي الغائب ويُسلّمها لوكلائه وأبناء وكلائه بالوراثة. (الناشر).

(٣) المصدر السابق (ص ٢٢٠).

(٤) المصدر السابق نفسه.

هل نحظى برؤية هذه الكتب بإقامة أبي جعفر مقام أبيه حتى نستوثق من هذه الخطوط أنها صادرة=

وروى الطوسي عن إسحاق بن يعقوب: قال: سألت محمد بن عثمان العمري أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه مسائل أشكلت عليَّ، فوقع (التوقيع) بخط مولانا صاحب الدار: «وما محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه، وعن أبيه من قبل، فإنه ثقتي وكتابه كتابي»[1].

ويقول الطوسي: إن التوقيعات (الرسائل) كانت تخرج على يد العمري (الابن) طول حياته بالخط الذي كانت تخرج في حياة أبيه، لا يعرف الشيعة في هذا الأمر غيره[2].

استمر العمري (الابن) في هذاالمنصب حوالي خمسين عاماً حيث توفي في مطلع القرن الرابع الهجري سنة ٣٠٥هـ، وأوصى من بعده إلى (الحسين بن روح النوبختي) المكنى بأبي القاسم، وكان واحداً من عشرة وكلاء له في بغداد، كما أوصى النوبختي الذي توفي سنة ٣٢٥هـ إلى النائب الرابع علي بن محمد السمري (الصيمري) أو (السيمري) كخليفة من بعده بالوكالة عن الإمام المهدي الغائب[3].

إلى جانب هؤلاء (النواب الأربعة) ادعى النيابة حوالي أربعة وعشرين رجلاً آخر من أصحاب الإمامين الهادي والعسكري، أو من أتباعهم: كالحسن الشريعي، ومحمد ابن نصير النميري، وأبي هاشم داود بن القاسم الجعفري، وأحمد بن هلال العبرتائي، ومحمد بن علي بن بلال، وإسحاق الأحمر، وحاجز بن يزيد، ومحمد بن صالح الهمداني، ومحمد بن جعفر بن عون الأسدي الرازي، ومحمد بن إبراهيم ابن مهريار، والحسين بن منصور الحلاج، وجعفر بن سهيل الصيقل، ومحمد بن غالب الأصفهاني، وأحمد بن إسحاق الأشعري القمي، والقاسم بن محمد بن علي بن إبراهيم

= من الإمام الغائب وبتوقيعه، لكي نتثبت من صحة خطوط هذه التواقيع بواسطة الأجهزة الحديثة!؟ (الناشر).

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) المصدر السابق (ص ٢٢١).

(٣) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٥٠٣).

الهمداني، ومحمد بن صالح القمي، والقاسم بن العلاء وابنه الحسن، ومحمد بن علي الشلمغاني بن أبي العذاقر، وأبو دلف الكاتب.

وكان الكثير من هؤلاء يدعي وجود علاقة خاصة بينه وبين الإمامين الهادي والعسكري، ومن ثم (الإمام المهدي) كما يدعي القدرة على اجتراح المعاجز والعلم بالغيب، ويخرج رسائل سرية يقول إنها وردته من الإمام الغائب، ويقوم باستلام الأموال والحقوق الشرعية[١].

وقد اختلف الشيعة الإمامية القائلون بوجود الإمام الثاني عشر فيما بينهم حول صدق أولئك النواب وصحة ادعائهم بالنيابة، فذهب فريق إلى تصديق (النواب الأربعة) الأوائل، وذهب فريق آخر كالنصيرية إلى تصديق الشريعي والنميري، كما ذهب آخرون إلى تصديق مجموعة أخرى[٢].

وهؤلاء (النواب الأربعة) ـ الأكثر ثقة عند الشيعة الإمامية ـ لهم ما للإمام من حق الطاعة، وثقة الرواية، فقد روى الطوسي، أن الحسن العسكري قال:

«هذا إمامكم من بعدي (وأشار إلى ابنه) (المزعوم) وخليفتي عليكم أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم، ألا وإنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر، فاقبلوا من عثمان (النائب الأول) ما يقوله، وانتهوا إلى أمره، فهو خليفة إمامكم والأمر إليه»[٣]. فما قاله لكم فعني يقوله، وما أدى إليكم فعني يؤديه[٤].

بهذا أصبح للنائب حق النيابة والوكالة عن الإمام، والأمر إليه، ولقوله صفة القداسة والعصمة، لأنه ينطق عن الإمام، ويؤدي عنه، ولذلك فإن من خالف هؤلاء

---

(١) كثرة مُدَّعي نيابة الإمام المهدي الغائب وإخراج بعضهم رسائل سرية يقول بأنه وردته من الإمام الغائب تجعلنا أكثر إصراراً لمقارنة هذه الخطوط والتواقيع على الأجهزة الحديثة الالكترونية التي تبين صحة هذه الخطوط من عدمها. (الناشر).

(٢) «تطور الفكر السياسي الشيعي»: السيد أحمد الكاتب، ط١، ١٩٩٧م، (ص ١٥٤).

(٣) الطوسي: «الغيبة» (ص ٢١٧).

(٤) الطوسي: «الغيبة» (ص ٢١٥).

النواب حَلَّتْ به اللعنةُ، واستحق النار، كما جاء في التواقيع (الرسائل) التي خرجت من الإمام المنتظر في حق من خالف هؤلاء النواب[1].

ومسألة النيابة لهؤلاء الأربعة تخولهم التشريع، لأنهم ينطقون عن المعصوم، وللمعصوم حق تخصيص، أو تقييد، أو نسخ نصوص الشريعة، ولذلك كان للتوقيعات الصادرة منهم نفس المنزلة لكلام الإمام.

وكذلك تخولهم إصدار صكوك الغفران أو الحرمان، وأخذ أموال الوقف والزكاة والخمس باسم الإمام.

هذه النيابة الخاصة انتهت «لما حضرت السمريَّ (وهو النائب الرابع) الوفاةُ، سئل أن يوصي، فقال: لله أمر هو بالغه، فالغيبة التامة هي التي وقعت بعد السمري»[2].

وعليه فالغيبة الصغرى التي دامت منذ ٢٦٠هـ إلى وفاة السمري ٣٢٩هـ، وبدأت الغيبة التامة، أو (الكبرى) التي لا يعلم أحد من البشر مداها.

«وقد تكون موافقة القواعد الشيعية لإغلاق السمري باب (النيابة) وإشاعة ذلك بين الأتباع هو المحافظة على فكرة غيبة المهدي من افتضاح حقيقتها وانكشاف أمرها، حيث كثر الراغبون فيها من شيوخ الشيعة، ولا سيما في عهد سلفه أبي القاسم حسين بن روح، وعظم النزاع بينهم، ووصل الأمر إلى التلاعن والتكفير والتبري، كما يلحظ ذلك في التوقيعات التي خرجت على يد النواب منسوبة للإمام الغائب المنتظر[3]..»[4].

وبعد وفاة السمري وإغلاق باب النيابة الخاصة وانتهاء الغيبة الصغرى، حصل تطور في مسألة النيابة... حيث جعلت النيابة حقاً مطلقاً للشيوخ.

---

(١) الطوسي: «الغيبة» (ص ٢٤٤).
(٢) الطوسي: «الغيبة» (ص ٢٤١ ـ ٢٤٢).
(٣) المصدر السابق (ص ٢٤٤ وما بعدها).
(٤) «بروتوكولات آيات قم»: الدكتور عبدالله الغفاري، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، (ص ٢٧).

فقد أصدر (توقيعاً) منسوباً للمنتظر الموهوم، جاء فيه: «أما الوقائع الحادثة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله»[1].

فأعلن انقطاع الصلة المباشرة بالمهدي، وفوض أمر النيابة عن المنتظر إلى رواة حديثهم واضعي أخبارهم.

ونتج عن هذا الإعلان عدة أمور:

- فقد أصبحت دعوى النيابة غير مقصورة على واحد.

- خفض التنافس على النيابة... وصارت مشاعة بين الشيوخ الشيعة.

- أطلق على انقطاع النيابة الخاصة وتحولها إلى نيابة عامة: الغيبة الصغرى، فصار للإمام غيبتان، صغرى وكبرى، رغم أن لهم روايات لا تتحدث إلا عن غيبة واحدة، فقد روى الكليني في «الكافي» عن أم هانىء، قالت: سألت أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام، عن قول الله تعالى: ﴿ف فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ * ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٦ ـ ١٧] فقال: إمام يخنس سنة ستين ومائتين ثم يظهر، فما بعد غيبته إلا الظهور[2].

ولكن وضعت روايات تناسب هذا الوضع وتتحدث عن غيبتين، يقول بعضها:

«قال أبو عبدالله ـ جعفر الصادق ـ للقائم غيبتان إحداهما قصيرة، والأخرى طويلة، الأولى لا يَعلمُ بمكانه إلا خاصةُ شيعته، والأخرى لا يعلم إلا خاصة مواليه في دينه»[3].

فهذه الرواية أثبتت له غيبتين، الأولى يتصل به خاصة شيعته، وهذا قد يكون إشارة إلى (النواب) أو السفراء، الذين تناوبوا على دعوى النيابة، والأخرى يتصل به

---

(١) «الكافي» للكليني مع شرحه «مرآة العقول» (٤ / ٥٥)، «إكمال الدين» (ص ٤٥١)، «الغيبة» للطوسي (ص ١٧٧)، «الاحتجاج» للطبرسي (ص ١٦٣)، «وسائل الشيعة» (١٨ / ١٠١)، «الدرر الطاهرة»: محمد مكي العاملي (ص ٤٧).

(٢) «أصول الكافي» (١ / ٣٤١).

(٣) النعماني: «الغيبة» (ص ١١٣).

خاصة مواليه. وقد أشارت رواية في «الكافي» للكليني إلى أن عددهم ثلاثون[1].

فلم تنف رواياته الصلة المباشرة بالمهدي المنتظر في الحالتين رغم أن **السمري (النائب الرابع) حينما حل وظيفة النيابة أصدر (توقيعاً) على لسان الإمام المنتظر يقول فيه: «من ادعى المشاهدة للمنتظر فهو كذاب مفتر»**[2].

يقول النعماني بعد ذكره لأخبارهم في الغيبتين: «فأما الغيبة الأولى فهي الغيبة التي كان السفراء فيها بين الإمام عليه السلام وبين الخلق منصوبين ظاهرين موجودي الأشخاص والأعيان يخرج على أيديهم الشفاء من العلم وعويص الحكمة والأجوبة عن كل ما كان يسأل عنه من المعضلات والمشكلات، وهي الغيبة القصيرة التي انقضت أيامها وتصرمت مدتها، والغيبة الثانية هي التي ارتفع فيها أشخاص السفراء والوسائط»[3].

ولكن شيوخ الروافض يدعون في فترة الغيبة الثانية النيابة عن الإمام الغائب المنتظر ويستندون في ذلك على التوقيع الذي أظهره السمري عن منتظرهم، الذي يحيلهم إلى رواة حديثهم في كل الحوادث الواقعة الجديدة. . .

وقد تبوأ شيوخ الرفض بذلك منصب النيابة عن الغائب، واستمدوا القداسة بين الأتباع بفضل هذه النيابة عن الإمام الذي أضفوا عليه تلك الصفات الخارقة، والفضائل الكاملة، ولذلك يطلقون على شيوخهم الذين وصلوا إلى منصب (النيابة عن الإمام) اسم (المرجع وآيات الله) فهم مظاهر الإمام المعصوم، ولذلك يقرر أحد شيوخهم المعاصرين بأن الراد على النائب عن الإمام كالراد على الله تعالى، وهو على حد الشرك بالله وذلك بمقتضى عقيدة النيابة.

يقول شيخهم المظفر: عقيدتنا في المجتهد الجامع للشرائط، أنه نائب للإمام عليه السلام في حال غيبته، وهو الحاكم والرئيس المطلق، له ما للإمام في الفصل في

---

(١) انظر: «أصول الكافي» (١ / ٣٤٠).
(٢) «إكمال الدين» لابن بابويه الصدوق (٢ / ١٩٣). «الغيبة» للطوسي (ص ٢٥٧).
(٣) «الغيبة» للنعماني (ص ١١٥).

القضايا والحكومة بين الناس، والراد عليه راد على الإمام، والراد على الإمام راد على الله تعالى، وهو على حد الشرك كما جاء في الحديث عن صادق آل البيت، فليس المجتهد الجامع للشرائط مرجعاً في الفتيا فقط، بل له الولاية العامة فيرجع إليه في الحكم والفصل والقضاء، وذلك من مختصاته لا يجوز لأحد أن يتولاها دونه إلا بإذنه كما لا تجوز إقامة الحدود والتعزيرات إلا بأمره وحكمه، ويرجع إليه في الأموال التي هي من حقوق الإمام ومختصاته.

وهذه المنزلة أو الرئاسة العامة أعطاها الإمام عليه السلام للمجتهد الجامع للشرائط ليكون نائباً عنه في حال الغيبة، ولذلك يسمى (نائب الإمام)[١]. . »[٢].

ـ التحقيق فيما قاله نواب الإمام الغائب في إثبات وجوده[٣]:

رواية (نواب الإمام الغائب): أنه كان ثمة ولد مخفي مستور للإمام الحسن العسكري ـ الذي لم يتزوج ولم يخلف ـ وقد ادعوا النيابة عنه والوكالة له، وأن تصديقهم يجر إلى التصديق بوجود (الحجة بن الحسن العسكري)، إلا أن التشكيك بقولهم لا يثبت شيئاً من الرواية السرية بوجود ولد للإمام العسكري.

فهل كانوا صادقين حقاً؟

وهل أجمع الشيعة على وثاقتهم؟ وكيف صدقوهم؟

وما هو الدليل على صحة كلامهم؟

وهل هناك ما يدعو إلى التشكيك بهم والريب في دعواهم النيابة عن (الإمام المهدي) والشك في وجوده؟

لقد ادعى النيابة عن (الإمام محمد بن الحسن العسكري) بضعة وعشرون

---

(١) «عقيدة الإمامية»: المظفر (ص ٥٧).

(٢) «بروتوكولات آيات قم»: الدكتور عبدالله الغفاري، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، (ص ٣٠ـ٣١).

(٣) انظر: «تطور الفكر السياسي الشيعي»: السيد أحمد الكاتب، ط١، ١٩٩٧م، (ص ٢٢١ ـ ٢٢٧). «حوارات أحمد الكاتب مع المراجع والعلماء والمفكرين»، ط١، (ص ١٦١ ـ ١٦٢).

شخصاً . . . وذلك لأن دعوى النيابة كانت تجر مصالح مادية، ومكانة اجتماعية سياسية للمدعي، خاصة أن المدعي كان يهمس بها في السر وينهى عن التحقيق في دعواه، ويستغل علاقاته السابقة بالإمام، فيدعي استمرار حياته أو وجوده والنيابة عنه، وكانت دعواه تنطلي على البسطاء ويرفضها الأذكياء المحققون الواعون.

وقد رفض الشيعة الإمامية دعوى أكثر من عشرين مدعياً للنيابة عن (الإمام المهدي ابن الحسن العسكري) واتهموهم بالكذب والتزوير، كما شككوا بصحة دعوى أولئك (النواب الأربعة واختلفوا حولهم، ولم يكن في الروايات التي أوردها المؤرخون دليل علمي قوي على صدقهم وصحة دعاواهم، وهذا ما يجعل هؤلاء قسماً من المدعين الكاذبين المتاجرين بقضية (الإمام المهدي).

لقد اعتمد الشيخ الطوسي في توثيق النائب الأول عثمان بن سعيد العمري (السمان) على عدة روايات، وكان بعضها، كرواية أحمد بن إسحاق القمي، ينص على توثيقه من قبل الإمام الهادي والإمام العسكري في المحيا والممات، وأنه الوكيل والثقة المأمون على مال الله، وليس فيها ما ينص على نيابة العمري عن الإمام (المهدي).

ولكن بعض الروايات كان ينص بصراحة على إعلان الإمام العسكري خلافة العمري للإمام المهدي، إلا أن سند هذه الرواية ضعيف جداً، وذلك لاشتماله على (جعفر بن محمد بن مالك الفزاري) الذي يقول عنه النجاشي وابن الغضائري: «إنه كذاب متروك الحديث، وكان في مذهبه ارتفاع (غلو) ويروي عن الضعفاء والمجاهيل وكل عيوب الضعفاء مجتمعة فيه، وقد روى في مولد القائم أعاجيب، وكان يضع الحديث وضعاً، وإنه كان فاسد المذهب والرواية».

أما الرواية السابقة التي تتحدث عن وثاقة العمري وأمانته ووكالته فإنها مجهولة، ويوجد في سندها الغالي (الخصيبي) وهي تنطوي على دعوى علم الإمام العسكري بالغيب ومعرفته بوفد اليمن قبل أن يراهم[1]. وهذه الدعوى من مفاهيم الغلاة.

---

(١) الطوسي: «الغيبة» (ص ٢١٥ ـ ٢١٦).

وأن الرواية الأولى تقول: إن العسكري أخبر باستقامة العمري في المستقبل بعد وفاته، وهذا ما لا يعلمه إلا الله، وهو من علم الغيب.

وبعد سقوط هذه الروايات لضعفها متناً وسنداً، فإنا نكاد نحصل على نتيجة واحدة هي: أن العمري الذي كان وكيلاً للإمامين الهادي والعسكري في قبض الأموال قد استصحب هذه الوكالة وادعى وجود (ولد) للإمام الحسن العسكري ليدعي الوكالة له، دون أن يقدم دليلاً واضحاً وأكيداً على ما يقول. ولذلك لا يؤكد المؤرخون بصراحة على توكيل المهدي له.

والطبرسي الذي كان حريصاً على تدوين كل ما وصل إليه، لا يقول في كتابه «الاحتجاج» أكثر من: «إن العمري قام بأمر صاحب الزمان، وكانت توقيعاته وجوابات المسائل تخرج على يديه»[1].

ولم يذكر المؤرخون الشيعة أية (معجزة) له تثبت دعواه في النيابة، بالرغم من قول السيد عبدالله شبر في «حق اليقين»: إن الشيعة لم تقبل قول النواب إلا بعد ظهور آية معجزة تظهر على يد كل واحد منهم من قبل صاحب الأمر، تدل على صدق مقالتهم وصحة نيابتهم[2].

أما النائب الثاني (محمد بن عثمان بن سعيد العمري) فلم يذكر المؤرخون الشيعة أي نص مباشر عليه من (المهدي) بتعيينه نائباً عنه، وقال الطوسي: «إنه قام مقام أبيه بنص أبي محمد الحسن العسكري عليه ونص أبيه عثمان بأمر القائم»[3].

ذكر الطوسي رواية عن عبدالله بن جعفر الحميري القمي، أنه قال: إن المهدي قد أرسل إلى العمري (توقيعاً) يعزيه فيه بوفاة والده عثمان بن سعيد، ويحمد الله على قيامه مقامه ويدعو له بالتوفيق.

---

(١) المجلسي: «بحار الأنوار» (٥١ / ٣٦٢).

(٢) عبدالله شبر: «حق اليقين» (ص ٢٢٤).

(٣) الطوسي: «الغيبة» (ص ٢١٨).

وأن الكتب أتتنا بالخط الذي كنا نكاتب به بإقامة أبي جعفر مقام أبيه.

ونقل الطوسي رواية أخرى عن محمد بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي، وأخرى عن إسحاق بن يعقوب عن الإمام المهدي يشهد بوثاقته ويترضى عليه، وكل هذه روايات تنقل بواسطة العمري نفسه، وهذا ما يضعف الرواية.

ولا يوجد أي طريق لإثبات دعوى أن العمري عثمان بن سعيد قد نص على ابنه محمد بأمر القائم، ويبدو أنه تخمين من قبل الطوسي، كما لا يوجد في الحقيقة أي دليل لإثبات النص من الأب على الابن سوى الوراثة والادعاء.

إن المشكلة تكمن في صعوبة التأكد من صحة (التواقيع) (الرسائل) التي كان يخرجها العمري وينسبها إلى (الإمام المهدي)، وخاصة التوقيع الذي رواه الحميري القمي، حيث لم يذكر طريقه إلى الإمام الغائب مما يحتمل قوياً أن يكون العمري قد كتبه بيده ونسبه إلى (المهدي) خاصة أنه يكيل المدح والثناء لنفسه فيه، مما يلقي بظلال الشبهة عليه لو كان الإمام ظاهراً، فكيف وهو غائب؟ ولا يوجد راوٍ للتوقيع سوى العمري نفسه، ولم يقل الحميري كيف سارع إلى تصديق التوقيع مع وجود الجدل في ذلك الزمان بين الشيعة حول صدق العمري في دعوى النيابة؟! مع احتمال اختلاق الحميري القمي نفسه للتوقيع ونسبته إلى (المهدي).

وأما رواية محمد بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي، فهي ضعيفة لأنه يعترف بأنه كان يشك في وجود المهدي في البداية، وقد ادعى الوكالة بعد ذلك في أعقاب لقائه بالعمري في بغداد، وبالتالي فإنه مشكوك في أمره، ولا يقول هنا كيف خرج التوقيع إليه مباشرة أو عبر العمري؟ فإن كان يدعي أنه وصله مباشرة، فكيف؟ وهل رأى المهدي بنفسه؟ وهو لا يدعي ذلك، أم عن طريق العمري؟ وهذا ما يثير الشك أيضاً.

وأما الرواية الثالثة (رواية إسحاق بن يعقوب) التي تصرح بأنها واردة عن طريق العمري، فإنها ضعيفة لوجود الشك باختلاق العمري لها، ولمجهولية وضعف إسحاق ابن يعقوب، وعدم تصريحه بكيفية التعرف على خط المهدي، علماً بأن الطوسي يقول: **إن الخطوط التي كانت تخرج بها التوقيعات هي نفس الخطوط التي كانت تخرج**

في زمان العسكري[1].

ولقد توقف أحمد بن هلال العبرتائي (شيخ الشيعة في بغداد) ـ الذي نقل الفزاري عنه أنه شهد مجلس عرض العسكري للمهدي وتعيين العمري خليفة له ـ وشكك في صحة دعوى العمري الابن في النيابة الخاصة عن المهدي، وأنكر أن يكون سمع الإمام العسكري ينص عليه بالوكالة، ورفض الاعتراف بوكالته عن (صاحب الزمان)[2].

وكان العبرتائي قد لعب دوراً كبيراً في دعم دعوى عثمان بن سعيد العمري بالنيابة، وكان يأمل أن يوصي إليه من بعده، فلما أوصى لابنه محمد، رفض ذلك وادعى هو النيابة لنفسه، مما يكشف التواطؤ والمصلحية في دعاوى (النيابة الخاصة).

ونتيجة لغياب النصوص الصحيحة والمؤكدة على نيابة محمد بن عثمان العمري، فقد شك الشيعة في دعواه، فقد روى المجلسي في «بحار الأنوار»: أن الشيعة كانوا في حيرة، ولم يكونوا يثقون بدعاوى النيابة الكثيرة، وقال: إن أبا العباس أحمد السراج الدينوري سأل العمري عن الدليل الذي يؤكد صحة ادعائه وإن لم يؤمن به إلا بعد أن أخبره شخص بالغيب وقدم له (معجزة)[3].

وقد اشتهر عند الشيعة تلك الأيام حديث عن أهل البيت يقول: «خُدَّامنا وقُوَّامنا شِرارُ خَلْقِ الله»، مما دفعهم للتشكيك بصحة الدعاوى الخاصة، وقد أكد الشيخ الطوسي صحة ذلك الحديث، ولكنه قال: «إنه ليس على عمومه، وإنما قالوا: لأن فيهم من غيّر وبدّل وخان»[4].

كما شك قسم آخر بصحة وكالة حسين بن روح النوبختي، وتساءل عن مصرف

---

(١) الطوسي: «الغيبة» (ص ٢١٦). فلتبرز هذه الخطوط ليتحقق من صدقيتها ومطابقتها لخطوط أصحابها المُدعاة ولخطوط ذلك الزمان!؟ (الناشر).

(٢) الخوئي: «معجم الرجال» (٢ / ٥٢١). الطبرسي: «خاتمة مستدرك وسائل الشيعة» (ص ٥٥٦). النجاشي: «الرجال».

(٣) المجلسي: «بحار الأنوار» (ج ٥١).

(٤) الطوسي: «الغيبة» (ص ٢٤٤).

الأموال التي كان يقبضها باسم الإمام المهدي، وقال: إن هذه الأموال تخرج في غير حقوقها.

ويقول الصدوق والطوسي: إن النوبختي (النائب الثالث) استطاع إقناعهم عن طريق المعاجز والإخبار بالغيب، كتحديد وفاة بعض الأشخاص مسبقاً، والتقاطه لدراهم من صرة شخص على مسافة بعيدة[1].

في الحقيقة إن المؤرخين الشيعة يذكرون قصصاً كثيرة عن شك الناس بالمدعين للنيابة وتكذيب بعضهم للبعض الآخر، ولكن عامة الاثني عشرية يميزون (النواب الأربعة) عن بقية المدعين المذمومين بقدرة أولئك على اجتراح المعاجز وعلمهم بالغيب. وقد ذكر الكليني والمفيد والطوسي عشرات القصص التي تتحدث عن قيام النواب الأربعة بفعل المعاجز الخارقة للعادة، وإخبارهم بالمغيبات...

ولكن هذه الأقاويل والادعاءات لعلم الغيب يخالف مبادىء التشيع وأحاديث أهل البيت الذين كانوا ينفون علمهم بالغيب أو استخدام الطريقة الإعجازية الغيبية لإثبات إمامتهم.

يقول الشيخ الصدوق في «إكمال الدين»: «الإمام لا يعلم الغيب، وإنما هو عبد صالح يعلم الكتاب والسنة، ومن يَنحلْ للأئمة علمَ الغيب فهذا كفر بالله وخروج عن الإسلام عندنا، وأن الغيب لا يعلمه إلا الله، وما ادعاه لبشر إلا مشرك كافر»[2].

قال الإمام جعفر الصادق: «يا عجباً لأقوام يزعمون أننا نعلم الغيب!... والله لقد هممتُ بضرب جاريتي فلانة فهربت مني، فما علمتُ في أي بيوت الدار هي»[3].

وجاء أبو بصير ذات مرة إلى الإمام الصادق، وقال له: «إنهم يقولون... إنك تعلم قَطْرَ المطر وعدد النجوم وورق الشجر، ووزن ما في البحر وعدد التراب، فقال:

---

(١) الطوسي: «الغيبة» (ص ١٩٢). الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٥١٦ ـ ٥١٩).

(٢) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ١٠٦ و١٠٩ و١١٦).

(٣) الحر العاملي: «لثبات الهداة» (٣ / ٧٤٨).

سبحان الله! سبحان الله! لا والله ما يعلم هذا إلا الله»[1].

وسأل يحيى بن عبدالله الإمام موسى الكاظم، فقال: «جُعلتُ فداك إنهم يزعمون أنك تعلم الغيب؟ فقال: سبحان الله! ضع يدك على رأسي، فوالله ما بقيت شعرة فيه وفي جسدي إلا قامت، لا والله ما هي إلا وراثة من رسول الله»[2].

وفي رواية أخرى ينقلها الحر العاملي يقول فيها الإمام: «قد آذانا جهلاء الشيعة وحمقاؤهم ومَنْ دينهُ جناح بعوضة أرجحُ منه... إني بريء إلى الله وإلى رسوله ممن يقول: إنا نعلم الغيب»[3].

بناء على هذا لا يمكننا أن نصدق بدعوى أولئك النواب بالنيابة عن الإمام المهدي، ونعتبر قولهم دليلاً على وجود الإمام، استناداً إلى دعاوى المعاجز أو العلم بالغيب، ولا يمكننا أن نميز دعواهم عن دعوى أدعياء النيابة الكاذبين الذين كانوا يتجاوزون الأربعة والعشرين.

وإذا كنا نتهم أدعياء النيابة الكاذبين بجر النار إلى قرصهم، وبالحرص على الأموال والارتباط بالسلطة العباسية القائمة يومذاك، فإن التهمة تتوجه أيضاً إلى أولئك (النواب الأربعة) الذين لم يكونوا بعيدين عنها»[4].

يقول محمد بن علي الشلمغاني الذي كان وكيلاً عن الحسن بن روح النوبختي (النائب الثالث) في بني بسطام، ثم انشق عنه وادعى النيابة لنفسه: «ما دخلنا مع أبي القاسم الحسين بن روح في هذا الأمر إلا ونحن نعلم فيما دخلنا فيه، لقد كنا نتهارش على هذا الأمر كما تتهارش الكلاب على الجيف»[5].

وإضافة إلى هذا الشك، هنالك دليل آخر على كذب أدعياء النيابة، وهو عدم

---

(١) المصدر السابق (ص ٧٧٢).

(٢) الحر العاملي: «إثبات الهداة» (٣/ ٧٦٧). المفيد: «الأمالي» (ص ٢٣).

(٣) الحر العاملي: «إثبات الهداة» (٣/ ٧٦٤).

(٤) أحمد الكاتب: «تطور الفكر السياسي الشيعي»، ط١، ١٩٩٧م، (ص ٢٢٥-٢٢٦).

(٥) الطوسي: «الغيبة» (ص ٢٤١).

قيامهم بأي دور ثقافي أو فكري أو سياسي لخدمة الشيعة والمسلمين ما عدا جباية الأموال والادعاء بتسليمها إلى (الإمام المهدي).

«وكان من المفترض بالنواب الذين يدعون وجود صلة خاصة بينهم وبين (الإمام المهدي) أن يحلوا مشاكل الطائفة وينقلوا توجيهات الإمام إلى الأمة، ولكنا نرى(النائب الثالث) الحسين بن روح النوبختي ـ مثلاً ـ يلجأ إلى علماء قم ليحلوا له مشكلة الشلمغاني الذي انشق عنه، ويرسل كتابه «التأديب» إلى قم ليبين علماؤها له الصحيح والسقيم، كما يقول الشيخ الطوسي في كتابه «الغيبة»[1].

إن في ذلك دلالة على عدم وجود أي اتصال بينه وبين (المهدي) وإلا لكان عرض الكتاب عليه وسأله عن صحته.

وهذا الكليني قد ألف كتابه «الكافي» في أيام الحسين بن روح النوبختي، وقد ملأه بالأحاديث الضعيفة والموضوعة التي تتحدث عن تحريف القرآن وأمور أخرى باطلة، ولكن النوبختي أو السمري لم يعلقا على الموضوع ولم يصححا أي شيء من الكتاب، مما تسبب في أذية الشيعة عبر التاريخ وأوقعهم في مشكلة التعرف على الأحاديث الصحيحة من الكاذبة.

ولقد أبدع السيد المرتضى نظرية (اللطف) التي يقول فيها: إن الإمام المهدي يجب أن يتدخل ليصحح اجتهادات الفقهاء في عصر الغيبة، ويخرب إجماعهم على الباطل.

وبناء على ذلك كان الأجدر والأولى والأيسر أن يصحح (الإمام المهدي) لو كان موجوداً، كتاب الكليني، أو يترك وراءه في (عصر الغيبة الكبرى) كتاباً جامعاً يرجع إليه الشيعة.

وهذا لم يحصل، ولم يقدم أدعياء النيابة أي شيء يذكر في هذا المجال، وهذا ما يدفعنا للشك في صدقهم، وفي دعواهم بوجود (إمام غائب) من ورائهم.

---

(١) الطوسي: «الغيبة» (ص ٢٤٠).

وقد تعجب الشيخ حسن الفريد (زميل الإمام الخميني) في كتابه «رسالة في الخمس» واستغرب بحيرة وتساءل عن السر وراء عدم سؤال الكليني من (صاحب الزمان) عبر وكيله الحسين بن روح النوبختي عن حكم مسألة الخمس في (عصر الغيبة)[1] . . . »[2].

وفي رد للسيد أحمد الكاتب على الدكتور محمد حسين الصغير في كتابه «الفكر الإمامي من النص حتى المرجعية» يقول له فيه:

«ولماذا تفترض الثقة بهؤلاء المُدَّعينَ للنيابة، وقد كان ينافسهم عشرون آخرون كل منهم يدعي النيابة لنفسه ويكذب الآخرين؟ فلماذا تصدق هؤلاء الأربعة وتكذب العشرين الباقين؟ وما هو دليلك على صحة كلامهم؟ خصوصاً وأنهم يؤسسون لعقيدة دينية بلا آية من القرآن الكريم، ولا حديث عن الرسول، وخلافاً لأقوال الأئمة من أهل البيت وخصوصاً للإمام العسكري الذي توفي دون خلف، ودون أن ينص على أحد أو يذكر وجود ولد له، في الظاهر؟ ولماذا ترفع يدك عن الظاهر وتقبل قول مدعي النيابة الباطني، والذي يحمل شبهة لهم أن يكونوا يجرون النار لقرصهم؟ وإذا كنت تقبل قول هؤلاء النواب الأربعة، فلماذا لا تقبل قول أشخاص آخرين من أصحاب الإمام الصادق قد ادعوا وجود ولد لابنه عبدالله الأفطح، وقالوا: إنه المهدي المنتظر وإنه سوف يظهر في المستقبل؟ لماذا ترفض قول هؤلاء وتقبل قول أولئك؟ وعلى أي أساس؟[3].

ـ رسائل المهدي المنتظر والتحقيق فيها[4]؟

ذكر الصدوق والطوسي وابن شهر آشوب والطبرسي عدداً من الرسائل التي قالوا

---

(١) الشيخ حسن الفريد: «رسالة في الخمس» (ص ٨٧). الطوسي: «الغيبة» (ص ٢٢٣).

(٢) «تطور الفكر السياسي الشيعي»: أحمد الكاتب، ط١، ١٩٩٧م، (ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧).

(٣) «حوارات أحمد الكاتب مع المراجع والعلماء والمفكرين حول وجود الإمام الثاني عشر»، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، (ص ١٦١ ـ ١٦٢).

(٤) انظر: «تطور الفكر السياسي الشيعي»: السيد أحمد الكاتب، ط١، ١٩٩٧م، (ص ١٥٥ ـ ١٥٦ و٢٢٧ ـ ٢٢٩).

إن (الإمام محمد بن الحسن العسكري) قد بعث بها إلى عدد من (وكلائه) في عصر (الغيبة الصغرى).

منها: ما رواه الطوسي في «الغيبة» عن أحمد بن إسحاق الأشعري القمي الذي يقول: إنه كتب إلى (ابن الحسن) رسالة حول دعوة جعفر بن علي الهادي لأهل قم لاتباعه بعد وفاة أخيه، ويقول فيها: إن (صاحب الزمان) كتب إليه كتاباً يتضمن اتهام جعفر بالجهل بالدين وبالفسق وشرب الخمر والعصيان لله، وبعدم امتلاكه لأية حجة، ودعوة لامتحانه، وتأكيداً على عدم جواز اجتماع الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين[1].

وللطوسي رواية ثابتة عن ابن أبي غانم القزويني أنه وجماعة من الشيعة اختلفوا حول وجود (الخلف) وتشاجروا، ثم إنهم كتبوا في ذلك كتاباً أنفذوه إلى (الناحية) وأعلموه بما تشاجروا فيه، فورد جواب كتبهم بخطه عليه السلام، وكان يتضمن أسفاً وحرقة عليهم، ودعوة للتسليم وعدم محاولة الكشف عن أستار الغيبة[2].

ورسالة يرويها الصدوق في «إكمال الدين» عن إسحاق بن يعقوب، قال: سألت محمد بن عثمان العمري (النائب الثاني) أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ، فورد التوقيع (الجواب) بخط مولانا صاحب الدار، وكان فيه: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم»، كما كان يتضمن تزكية وتوثيقاً للعمري، وإباحة للخمس في عصر الغيبة، ونهياً عن السؤال عن سبب الغيبة[3].

وينقل الصدوق في «إكمال الدين» رسالة أخرى من (الإمام المهدي) إلى (النائب الأول) عثمان بن سعيد العمري وابنه محمد (النائب الثاني) يذكر فيها أخبار الخلاف بين الشيعة حول (الخَلَف) وقول بعضهم بعدم وجود غير جعفر بن علي، ويطالب

---

(١) الطوسي: «الغيبة» (ص ١٧٤ ـ ١٧٦).

(٢) المصدر السابق (ص ١٧٢ ـ ١٧٤).

(٣) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٤٨٣). الطوسي: «الغيبة» (ص ١٨٦ ـ ١٨٨).

الشيعة بعدم البحث عما سُتِرَ عنهم لكي لا يأثموا، وعدم كشف ستر الله لكي لا يندموا، والاقتصار على الإجمال والتعريض دون التفسير والتصريح[1].

وقد ذكر ابن شهر آشوب في «المناقب» والطبرسي في «الاحتجاج»: أن المفيد أخرج نسخاً من رسائل قال إن الإمام المهدي قد بعثها إليه بيد أعرابي وبخط رجل آخر، وكان المهدي يخاطب فيها المفيد بالأخ السديد والمولى الرشيد والمخلص الناصر، وملهم الحق ودليله، والعبد الصالح الناصر للحق والداعي إليه بكلمة الصدق[2].

وقد جمعت هذه الرسائل كلها في كتب أحاديث الشيعة وفي روايات الشيعة، ويمكن الاطلاع على كمية ضخمة منها في الصفحات الأخيرة من كتاب «احتجاج طبرسي»[3].

وقد ذكرها الخميني أيضاً في كتابه «الحكومة الإسلامية» كحجة دينية، وقد استدل بها أيضاً على نظريته الخاصة في «ولاية الفقيه»[4].

وبعد دراسة هذه الروايات ـ التي تتحدث عن (التواقيع) الرسائل المرسلة من (الإمام المهدي) ـ والتحقيق في سندها ينكشف ضعفها بدرجة كبيرة، وأنها ليست إلا إشاعات روجها أدعياء الوكالة، والمؤيدون لنظرية وجود (الإمام المهدي) ليضيفوا دليلاً على صحة نظريتهم بوجود (الإمام محمد بن الحسن العسكري).

فرواية الطوسي الأولى يرويها عن جماعة لم يسمهم، عن أبي محمد التلعكبري

---

(١) الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٥١٠).

(٢) انظر أيضاً: النوري الطبرسي: «خاتمة المستدرك» (٣ / ٥١٨). الجزائري: «الأنوار النعمانية» (٢ / ٢١). ابن بطريق الحلي: «رسالة نهج العلوم وقصص العلماء للتنكابني، (ص ٣٩٩).

(٣) جمع رسائل الإمام المهدي الغائب في كتب أحاديث الشيعة ووجود كمية ضخمة منها في الصفحات الأخيرة من كتاب «الاحتجاج» للطبرسي، يدعونا بإلحاح للمطالبة بإبراز أصولها المخطوطة، وإلا فهي كالإمام الغائب ليس لها وجود، وتغييبها وعدم إظهارها يدعو لعدم التصديق بها وأنها مختلقة. (الناشر).

(٤) الخميني: «الحكومة الإسلامية» (٧٦ ـ ٧٧).

عن أحمد بن علي الرازي، الذي يقول عنه علماء الشيعة: إنه ضعيف غالي، بالإضافة إلى أن أحمد بن إسحاق القمي لم يذكر كيفية مراسلة (صاحب الزمان) ومن هو الذي أوصل إليه الجواب، مما يحتمل اختلاقه للرسالة بنفسه.

أما الرسالة الثانية فإن الطوسي ينقلها عن أحمد بن علي الرازي (الضعيف الغالي)، عن عدد من المجهولين، بالإضافة إلى أنها تتضمن أمراً غير معقول، هو الاحتكام إلى شخص غير معروف متنازع في وجوده ليثبت هو وجوده! مع احتمال صدور الجواب من أحد أدعياء النيابة. علماً بأن الشك بوجود (ابن الحسن) يقتضي الشك بصدق النواب، فكيف يمكن العودة إلى واحد منهم والوثوق به قبل التأكد من صدقه، والتصديق بما يقدمه من أوراق يدعي أنها صادرة عن المهدي؟

أما رواية الصدوق المعروفة بـ (التوقيع) فهي ضعيفة لمجهولية وضعف إسحاق ابن يعقوب، وعدم ذكر السابقين ـ كالكليني ـ لها، ولتضمن الرواية عدة أمور غير صحيحة هي:

أولاً: مدح الناقل للرسالة (وهو النائب الثاني محمد بن عثمان العمري) لنفسه وأبيه، وهو ما يقوي احتمال أن تكون الرسالة من وضعه.

ثانياً: إباحة الخمس في عصر الغيبة إلى وقت الظهور، وهذا ما يخالف استمرارية أحكام الإسلام في كل حين، وقد عدل علماء الشيعة مؤخراً عن الأخذ بهذه الإباحة لمنافاتها لمبادىء الإسلام.

ثالثاً: المطالبة بالكف عن السؤال عن علة الغيبة، مع أن فلسفة الغيبة من الأمور الدينية الفردية التي لا بد من معرفتها على طريق الإيمان بالمهدي.

ومن هنا تصبح تلك الرواية (الرسالة) ضعيفة جداً وغير قابلة للاعتماد.

وكذلك حال رواية الصدوق الثانية عن العمري، التي ينقلها عن أبي عبدالله جعفر، الذي يقول إنه وجدها مثبتة عن سعد بن عبدالله، أي أنه لم يروها مباشرة، وإنما وجدها في كتاب، ومن المعروف في علم الرواية: أن الوجدان في الكتب من أضعف أنواع الرواية، وإضافة إلى ذلك لا يذكر سعد كيف حصل على الرسالة؟ ومن

أخبره بها؟

وهو لا يرويها عن العمريين اللذين لا يصرحان بها، وإنما يذكرها عن شخص لم يحدد اسمه، ولكن يفترض أنه (المهدي)، وإذا صحت الرواية عن العمريين فإنها قد تكون من تأليفهما دعماً لنظريتهما القائلة بوجود المهدي، وتعزيز ادعائهما بالنيابة عنه، ومن هنا فلا حجة فيها.

أما رسائل الشيخ المفيد ـ التي يذكرها الطبرسي وابن شهر آشوب في كتبهما ـ فهو نفسه لم يذكرها في أحد من كتبه، ولو صحت نسبتها إليه فهي لا تحمل في طياتها أي دليل، وذلك لأن المفيد يقول: إنه استلمها من رجل أعرابي لا يعرفه، والرسالة بخط رجل غير المهدي، يقول إنها من إملاء المهدي عليه، وقد رفض المفيد أن يعرض الرسائل التي أوصلها الأعرابي إليه على أحد من أصحابه، وقال: إن ذلك بأمر المهدي، ولم يبرز للناس سوى رسائل بخط يده، قال: إن المهدي قد طلب منه أن يفعل ذلك.

فإذا صح ذلك. . . فنحن في الحقيقة أمام رسائل بخط الشيخ المفيد نفسه، يقول إنها نسخ عن رسائل سلمها إليه أعرابي مجهول لا يعرفه المفيد، يقول ذلك الأعرابي إنها من رجل لا يعرفه كتب تلك الرسائل، يقول ذلك الرجل المجهول: إن الإمام المهدي قد أملاها عليه.

أي أننا أمام خبر آحاد يرويه المفيد عن رجل مجهول عن رجل مجهول عن المهدي.

وهذا ما يثير عدداً من الاحتمالات، منها:

ـ الجعل من قبل المفيد، خاصة أنها تحمل تزكية ومدحاً فائقاً له، ويقدم المهدي اسم المفيد في بعضها على اسمه.

ـ الجعل من قبل ذلك الأعرابي، أو الجعل من قبل ذلك الرجل المجهول، أو الجعل من قبل رجل ثالث كذب على الكاتب وقال إنه المهدي.

وهكذا رواية في منطق علم الدراية غير قابلة للالتفات أو التوقف عندها قليلاً أو كثيراً.

ومن الأمور المهمة في موضوع (المهدي) أمر موضوع خط الإمام المهدي في رسائله، وتواقيعه الكثيرة المنسوبة إليه. . . ويتمنى الدارس والمحقق في نظرية المهدي الغائب المنتظر أن يكون التاريخ قد احتفظ ولو بنسخة واحدة من تلك الرسائل والتواقيع، ويرجو أن يكون الشيعة في تلك الأيام قد أدركوا هذه الأهمية وحافظوا على رسائل الإمام في خزاناتهم التاريخية، فإنها تشكل أهم مادة لدراسة تلك المرحلة، والتحقق من حقيقة (الإمام المهدي) والظروف التي أدت إلى الغيبة.

يقول السيد أحمد الكاتب حول هذا الموضوع:

«ومن هذا المنطلق حاولت أن أستقصي آثار خطوط (الإمام المهدي) في رسائله وأبحث عن أية نسخة من رسائله، وأتابع (تواقيعه).

وكنت أحسب في البداية، أو أفترض أن يكون الشيعة في تلك الأيام أو بالأخص (النواب الأربعة) أو الفقهاء أو المحدثون قد اهتموا بالمحافظة عليها والعناية بها، فلم أجد لذلك أثراً، ووجدت غموضاً مريباً يلف هذا الموضوع.

ووجدت في التوقيع الذي يرويه الطبرسي في «الاحتجاج» عن إسحاق بن يعقوب عن العمري، نصاً يقول:

«. . . ولا نظهر على خطنا الذي سطرناه أحداً»، وهو يكشف عن خلاف ما كان متوقعاً من الاهتمام بالتعرف على الخط والمحافظة على رسائل المهدي، وعدم وجود خط معين ومعروف للمهدي يمكن الرجوع إليه ومقارنة بقية الرسائل به للتأكد من صحتها.

كما وجدت الشيخ الطوسي يتحدث عن (خط المهدي) بصورة مريبة، حيث يقول: قال أبو نصر هبة الله: «وجدت بخط أبي غالب الرازي: أن العمري كان يتولى هذا الأمر (النيابة) نحواً من خمسين سنة، يحمل الناس إليه أموالهم ويخرج إليهم التوقيعات بالخط الذي كان يخرج في حياة الحسن بالمهمات في أمر الدين والدنيا،

وفيما يسألونه من المسائل بالأجوبة العجيبة»[١].

ولم يقل لماذا كان العمري يفعل ذلك؟ ولماذا لم يكن يخرج التواقيع بخط المهدي؟ ومن المعروف أن التعرف على خط الإمام الحسن بذاته كان مشكلة في حياته، إذ كان يلجأ بعض أدعياء النيابة عنه، من الغلاة إلى تزوير خطه، وقد وقع الشيعة بسبب ذلك في مشكلة التعرف على خط الإمام الحسن العسكري والتأكد من خطه في حياته، فكيف يمكن التعرف على خط (الإمام المهدي) الذي لم يَره أحد ولم يُرَ خطه ولم يُتأكد من وجوده؟ ولا يملك عامة الناس وسيلة للتحقق منه؟

ومع وجود هذه الإشكالية الكبيرة، فإن العمري لم يكن يسلم الخطوط والتواقيع إلى أحد، بل كان يبرزها لهم فقط أو يستنسخها بخطه.

وقد لجأ الشيخ المفيد ـ حسب الرواية المزعومة ـ إلى هذه الطريقة أيضاً، فقدم نسخاً بخط يده قال إنها منقولة عن رسائل من المهدي لم تكن مكتوبة أساساً بخطه، وإنما كانت إملاء منه على كاتب مجهول.

ولو كنا قد حصلنا على نسخ من خط (الإمام المهدي) لكان باستطاعتنا المقارنة بينها والتأكد من حقيقة نسبتها إليه، أو التمييز بين الصحيح والمزور منها، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث.

لذلك يمكننا اتخاذ (سرية الخط والحرص على إخفائه) دليلاً إضافياً على عدم وجود (المزعوم) (محمد بن الحسن العسكري) الذي إذا كان موجوداً فعلاً وكان مختفياً وغائباً لأسباب أمنية، لكان لجأ بصورة قاطعة إلى إثبات شخصيته لدى الشيعة، وقيادتهم عبر الرسائل الموقعة التي لا تقبل الشك والنقاش، ويمكن معرفتها وتمييزها بواسطة التعرف على الخط، والمقارنة بينها، كواحدة من الوسائل العديدة التي يثبت بها نفسه[٢].

---

(١) الطوسي: «الغيبة» (ص ٢٢٣).

(٢) السيد أحمد الكاتب: «تطور الفكر السياسي الشيعي»، ط١، ١٩٩٧م، (ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠).

علائم ظهور الإمام الغائب المنتظر:

اختلفت روايات الشيعة الاثني عشرية في وقت ظهور الإمام الغائب (المهدي المنتظر) (محمد بن الحسن العسكري).

وقد روى الكليني في كتابه «الكافي» ـ كتاب الحجة ـ باب كراهية التوقيت: سبع روايات تتحدث عن توقيت ظهور هذا المنتظر.

وهذه الروايات كلها متناقضة، وقد ضعف المجلسي (أحد علماء الرجال من الشيعة) ستاً منها، والرواية السابعة مُرسَلة، وكلُّ مَنْ عُرِفَ عنه سوءُ السمعة من الرواة، فاسمه موجود في هذا الباب، كسهل بن زياد الكذاب، وعلي بن حسان الكذاب الغالي صاحب التفسير الباطني الذي لم يوجد فيه من الإسلام شيء، وعبدالرحمن بن كثير الغالي الخرافي، وعلي بن حمزة البطائني رأس السلسلة الواقفية و. . . و. . .

ففي الحديث الأول، قال الإمام: إن هذا الأمر (يعني ظهور الإمام) له وقت معين. وكان الظهور في السنة السبعين، وإن الله عين هذا الوقت، ولكن عندما قتل الحسين رضي الله عنه غضب الله على أهل الأرض وأخر ذلك إلى عام أربعين بعد المئة حيث قلنا لكم وأنتم أفشيتم ذلك السر. ونشرتموه ولم يجعل الله ذلك وقتاً عندنا، ويمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب.

ومن الملاحظات على هذه الرواية التي تدل على اختلاف الشيعة في توقيت الظهور:

فالشيعة يقولون من جهتهم إن الله عين الأئمة فرداً فرداً لرسوله، وإن آخرهم هو آخر الأئمة الذي سيغيب وستطول غيبته حتى تمتلىء الأرض جوراً فيظهر عندئذ. . .

ومن جهة أخرى يقولون في هذه الرواية إن من المقرر أن يكون ظهور الإمام وقيامه لرفع الظلم في السنة السبعين مع أنه حتى ذلك العام لم يكن قد قام من الأئمة الاثنا عشر سوى أربعة فقط.

والافتراء الآخر في هذه الرواية الذي يقول: عندما قتل الحسين غضب الله، مع

أن الكليني نفسه روى في باب (أن الأئمة رضي الله عنهم لم يفعلوا شيئاً ولا يفعلون إلا بعهد الله)، ذلك أن الحسين قد وفى بالعهد الإلهي، وقد أرسل الله صحيفة إلى رسول الله ومنه إلى الحسين (حيث واجبك أن تقتل) والآن يبدو أن الله لم يطلع ـ نعوذ بالله ـ على تلك الصحيفة فغضب لمقتل الحسين.

وأخر ظهور الإمام إلى العام ١٤٠هـ مع أنه في هذا العام لم تكن الإمامة قد انقضت، يقول في هذه الرواية: هكذا عين وقت الظهور.

إلا أن الحديث الذي تلا هذه الرواية قال بخلاف ذلك حيث: إننا أهل البيت لم نذكر وقتاً والذين وقتوا لذلك كانوا كاذبين.

ويقول الكليني في الحديث السادس من هذا الباب: قال موسى بن جعفر الصادق رضي الله عنه: الشيعة تحيا بالأماني مائتي سنة. ثم في ذيل كلام الإمام قال علي بن يقطين: إذا قيل لنا لا يحصل هذا الأمر حتى مائتي أو ثلاثمائة سنة فسيرتد الناس عن الإسلام ولكن الأئمة قالوا لتأليف قلوب الناس سوف يكون ذلك قريباً ليشغلوهم.

من اختلاف الروايات في تحديد وقت ظهور الإمام الغائب المنتظر التي أوردها الكليني في «الكافي» ومن قراءة رواة أسانيد هذه الروايات الذين مر ذكرهم وما فيهم من كذب وافتراء ومغالاة، نبين أن التوقيت المختلف الذي ذُكِرَ هو من اختلاق الرواة سيئي الذكر عند علماء الرجال الشيعة. وأما علائم ظهور الإمام الغائب المنتظر قد أجملها السيد أحمد الكاتب في كتابه «تطور الفكر السياسي الشيعي» حيث يقول:

«يذكر الكليني في «الكافي»، والصدوق في «إكمال الدين» و«عيون أخبار الرضا»، والمفيد في «الإرشاد»، والطوسي في «الغيبة»، والعياشي في «تفسيره»: مجموعة من الروايات تربط بين الظهور وبين حدوث علائم سماوية، تتعلق بتوقف حركة الأفلاك، وتغير في قوانينها، وما شابه من المعاجز غير الطبيعية، كركود الشمس وقت الزوال إلى وقت العصر، وخروج صدر رجل ووجهه في عين الشمس، وكذلك وقوع الكسوف والخسوف بصورة غير طبيعية، ككسوف الشمس في النصف من شهر رمضان، وخسوف القمر في آخره، أو تكلم العلم والسيف مع (الإمام المهدي)،

ومناداته بعدم جواز القعود بعد ذلك الوقت. فيخرج ويقتل أعداء الله حيث ثقفهم، ويقيم حدود الله، ويحكم بحكم الله.

إضافة إلى طلوع الشمس من المغرب، وطلوع نجم بالمشرق يضيء كما يضيء القمر... وخروج جراد في أوانه وغير أوانه... وخروج العبيد عن طاعة أسيادهم وقتلهم مواليهم، ومسخ لقوم من أهل البدع حتى يصيروا قردة وخنازير، وغلبة العبيد على بلاد السادات، ونداء من السماء يسمعه أهل الأرض كلهم، كل أهل لغة بلغتهم، وأموات ينشرون من القبور حتى يرجعوا إلى الدنيا فيتعارفون ويتزاورون...

ويذكر المفيد: أن جبرئيل ينزل على القائم لمبايعته عند الظهور، ويقول الطوسي: إن أصحاب القائم سوف ينقلون إلى مقر المهدي من بيوتهم بصورة إعجازية كلمح البصر!

ويتحدث المفيد عن بعض العلائم الكونية التي سوف تحدث عند ظهور (المهدي) كامتداد طول اليوم إلى عشرة أضعاف ليكون ٢٤٠ ساعة.

وهذا ما يفسره الطوسي بحديث مشابه، حيث يقول: (إذا قام القائم، يأمر الله الفلك في زمانه فيبطىء في دوره حتى يكون اليوم في أيامه كعشرة من أيامكم، والشهر كعشرة أشهر، والسنة كعشر سنين من سنيكم).

ويروي الكليني حديثاً عن الإمام الباقر يتنبأ فيه باستعمال الشيعة لطريقة (التلفون التلفازي) في التحدث مع القائم ومشاهدته عن بعد، ومن مختلف الأقطار، وذلك عند ظهوره.

وتقول الروايات: إن القائم إذا قام أشرقت الأرض بنور ربها واستغنى العباد عن ضوء الشمس، وذهبت الظلمة، ويعمر الرجل في ملكه حتى يولد له ألف ولد ذكر لا يولد فيهم أنثى!

وتتحدث الروايات الواردة حول ظهور المهدي عن مدة ملكه، فتقول إحداها: إنه سيحكم سبع سنين تكون أشبه بسبعين سنة من سنينا.

وتقول رواية أخرى: إن القائم يملك ثلاثمائة وتسع سنين، كما لبث أهل الكهف في كهفهم.

ورواية ثالثة تقول: إنه سيحكم تسعة عشر عاماً فقط[1]. . »[2].

ثم يعلق السيد أحمد الكاتب على الروايات التي تتحدث عن علائم ظهور المهدي المنتظر (محمد بن الحسن العسكري) فيقول:

«وعلى أي حال، فإن الروايات التي تتحدث عن علائم الظهور، تشكل دليلاً إضافياً على عدم صحة نظرية (المهدي محمد بن الحسن العسكري). وذلك لأنها تتحدث عن علائم ظهور مضى عليها الزمان، كالظهور بعد سقوط الدولة الأموية، والانتقام من الأمويين.

أو الظهور في العهد العباسي، أو نهايته عند اختلاف ولد بني العباس فيما بينهم، أو في أعقاب قتل (ذي النفس الزكية) كما تقول روايات أخرى يذكرها الطوسي والنعماني والكليني.

وتشير بعض الروايات إلى أن (المهدي) سيفتح القسطنطينية التي استعصت على المسلمين قروناً طويلة، وأنه سيفتح الديلم والسند والهند وكابل والخزر، وكل هذه العلائم أو المهمات قد حدثت ولم يظهر المهدي الموعود، مما يدل على عدم صحة الروايات أو ارتباطها بأشخاص آخرين.

ومن الجدير بالذكر أن جميع الروايات الواردة في هذا الشأن هي مرسلة، أو مروية عن مجاهيل وغلاة ووضاعين»[3].

* * * * *

(١) الكليني: «الكافي» الروضة (ص ٢٠١). الصدوق: «إكمال الدين» (ص ٢٦٨)، و«عيون أخبار الرضا» (١ / ٦٣)، المفيد: «الإرشاد» (ص ٣٥٥ و٣٥٩ و٣٦٢). الطوسي: «الغيبة» (ص ٢٧٤ و٢٨٣ ـ ٢٨٥). العياشي في «تفسيره» (٢ / ٣٢٦).

(٢) «تطور الفكر السياسي الشيعي»: السيد أحمد الكاتب، ط١، ١٩٩٧م، (ص ١٦٨ ـ ١٦٩).

(٣) «تطور الفكر السياسي الشيعي»: السيد أحمد الكاتب، (ص ٢٥١ ـ ٢٥٢).

الفصل السادس

الأعمال التي يقوم بها الإمام الغائب المنتظر (محمد بن الحسن العسكري) بعد ظهوره

إن روايات ظهور المهدي المنتظر وأعماله بعد ظهوره وقيامه لتدل دلالة واضحة وجلية على نيات وأهداف الذين يدعون ـ كذباً وزوراً ـ بوجود المهدي المنتظر الغائب (محمد بن الحسن العسكري) الذي يقولون عنه: إنه سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت جوراً وظلماً، فإذا برواياتهم عن أعماله بعد قيامه تُظهره بأنه جَزَّارٌ ظالم سادي مجرم في حبه لقتل الناس وإبادتهم وخاصة العرب والمسلمين، والهدم والتخريب للحرمين الشريفين.

عقيدة ابتدعوها وألبسوها للغائب المزعوم تتحقق بها أهدافهم المنبثقة عن خلفياتهم وأحقادهم على الدين الإسلامي وعلى العرب والمسلمين، وليعيشوا على مائدة هذا المزعوم متمتعين بأمور الدنيا من المتعة بالنساء إلى حصول المال الوفير من الخمس.

ينقل السيد حسين الموسوي من علماء النجف[1]: في كتابه «كشف الأسرار

---

(١) السيد حسين الموسوي: من مواليد مدينة كربلاء، نشأ في بيئة شيعية في ظل والده المتدين، أكمل دراسته الأولية في كربلاء، ثم انتقل إلى (الحوزة العلمية النجفية) أم الحوزات ليكمل دراسته العلمية، وأنهى دراسته فيها بتفوق، وحصل على الإجاز العلمية في نيل درجة الاجتهاد من سماحة السيد محمد الحسين آل كاشف الغطا زعيم الحوزة آنذاك. نقلاً عن كتابه «كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار للسيد حسين الموسوي».

وتبرئة الأئمة الأطهار» بعض هذه الروايات التي تتحدث عن أعمال الإمام الغائب المنتظر بعد ظهوره وقيامه، ويعلق على بعض مما ينقله، فيقول:

«ولنر ما يصنعه الإمام الثاني عشر المعروف بالقائم أو المنتظر عند خروجه:

١ ـ وضع السيف في العرب:

ـ روى المجلسي أن المنتظر يسير في العرب بما في الجفر الأحمر وهو قتلهم[١].

ـ وروى أيضاً: «ما بقي بيننا وبين العرب إلا الذبح»[٢].

ـ وروى أيضاً: «اتق العرب فإن لهم خبر سوء، أما إنه لم يخرج مع القائم منهم واحد»[٣].

قلت: (القائل السيد حسن الموسوي): فإذا كان كثير من الشيعة من أصل عربي، أَيشهرُ القائم السيف عليهم ويذبحهم؟؟!

لا... لا... إن وراء هذه النصوص رجالاً لعبوا دوراً خطيراً في بث السموم، لا تستغربن ما دام كسرى قد خلص من النار.

إذ روى المجلسي عن أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب رضي الله عنه): «إن الله قد خَلَّصه ـ أي كسرى ـ من النار وإن النارَ مُحرَّمةٌ عليه»[٤].

هل يعقل أن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه يقول: إن الله قد خلص كسرى من النار وإن النار محرمة عليه؟؟

٢ ـ يهدم المسجد الحرام والمسجد النبوي:

روى المجلسي: «أن القائم يهدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه،

---

(١) «بحار الأنوار» للمجلسي (٥٢ / ٣١٨).
(٢) المصدر السابق (٦٢ / ٣٤٩).
(٣) المصدر السابق (٥٢ / ٣٣٣).
(٤) المصدر السابق (٤١ / ٤).

والمسجد النبوي إلى أساسه»[1].

ويُبيِّن المجلسي: «إن أول ما يبدأ به ـ القائم ـ يُخْرِج هذين ـ يعني أبا بكر وعمر ـ رطبين غَضَّين فيحرقهما ويُذَرِّيهما في الريح ويكسر المسجد»[2].

إن من المتعارف عليه بل المسلم به عند جميع فقهائنا وعلمائنا أن الكعبة ليس لها أهمية، وأن كربلاء خير منها وأفضل.

فكربلاء حسب النصوص التي أوردها فقهاؤنا هي أفضل بقاع الأرض، وهي أرض الله المختارة المقدسة المباركة، وهي حرم الله ورسوله وقبلة الإسلام، وفي تربتها الشفاء، ولا تدانيها أرض أو بقعة أخرى حتى الكعبة، وكان أستاذنا السيد محمد الحسين آل كاشف الغطاء يتمثل دائماً بهذا البيت:

ومن حديث كربلاء والكعبة   لكربلاء بان عُلوّ الرتبة

وقال آخر:

هي الطفوفُ فطفْ سبعاً بمغناها   فما لمكَّة معنى مثل معناها

أرض ولكنها السبع الشداد لها   دانت وطأطأ أعلاها لأدناها

ولنا أن نسأل: لماذا يكسر القائم المسجد ويهدمه ويرجعه إلى أساسه؟

الجواب: لأن من سيبقى من المسلمين لا يتجاوزون عشر عددهم كما بَيَّنَ الطوسي: «لا يكون هذا الأمر حتى يذهب تسعة أعشار الناس»[3] بسبب إعمال القائم سيفه فيهم عموماً وفي المسلمين خصوصاً.

٣ـ يقيم حكم آل داود:

وعقد الكليني باباً في الأئمة عليهم السلام إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم آل داود،

---

(١) المجلسي: «بحار الأنوار» (٥٢ / ٣٣٨). الطوسي: «الغيبة» (ص ٢٨٢).

(٢) المجلسي: «بحار الأنوار» (٥٢ / ٣٨٦).

(٣) الطوسي: «الغيبة» (١٤٦).

ولا يسألون البينة، ثم روى عن أبي عبدالله ـ جعفر الصادق ـ قال: «إذا قام قائم آل محمد حكمَ بحكمِ داود وسليمان ولا يسأل بيِّنة»[1].

وروى المجلسي: «يقوم القائم بأمر جديد وكتاب جديد وقضاء جديد»[2].

وقال أبو عبدالله ـ جعفر الصادق ـ عليه السلام: «لكأني أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس على كتاب جديد»[3].

ونختم هذه الفقرة بهذه الرواية المروعة، فقد روى المجلسي عن أبي عبدالله ـ جعفر الصادق ـ عليه السلام: «لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأَحبّ أكثرهم ألا يَروه مما يقتل من الناس. . . حتى يقول كثير من الناس: ليس هذا من آل محمد، ولو كان من آل محمد لرحم»[4].

واستوضحتُ السيد الصدر عن هذه الرواية، فقال: «إن القتل الحاصل بالناس أكثره مختصٌّ بالمسلمين». ثم أهدى لي نسخة من كتابه «تاريخ ما بعد الظهور» حيث كان قد تبيَّن ذلك في كتابه المذكور وعلى النسخة الإهداء بخط يده.

ولا بد لنا من التعليق على هذه الروايات فنقول:

لماذا يُعْملُ القائمُ سيفه في العرب؟

ألم يكن رسول الله ﷺ عربياً؟

ألم يكن أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب رضي الله عنه) وذريته الأطهار من العرب؟

بل القائم الذي يعمل سيفه في العرب ـ كما يقولون ـ أليس هو نفسه من ذرية أمير المؤمنين؟ وبالتالي أليس هو عربياً؟

---

(١) «أصول الكافي» للكليني (١ / ٣٩٧).

(٢) المجلسي: «بحار الأنوار» (٥٢ / ٣٥٤). النعماني: «الغيبة» (ص ١٥٤).

(٣) المجلسي: «بحار الأنوار» (٥٢ / ١٣٥). النعماني: «الغيبة» (ص ١٧٦).

(٤) المجلسي: «بحار الأنوار» (٥٢ / ٣٥٣). النعماني: «الغيبة» (ص ١٣٥).

أليس في العرب الملايين ممن يؤمن بالقائم أو بخروجه؟

فلماذا يخصص العرب بالقتل والذبح؟ وكيف يقال: لا يخرج مع القائم منهم واحد؟

وكيف يمكن أن يهدم المسجد الحرام والمسجد النبوي؟ مع أن المسجد الحرام هو قبل المسلمين كما نص عليه القرآن، وبين أنه أول بيت وجد على وجه الأرض، وكان رسول الله صلوات الله عليه قد صلى فيه، وصلى فيه أيضاً أمير المؤمنين والأئمة من بعده، وخصوصاً الإمام الصادق الذي مكث فيه مدة طويلة.

لقد كان ظننا أن القائم سيعيد المسجد الحرام بعد هدمه إلى ما كان عليه زمن النبي صلى الله عليه وآله وقبل التوسعة، ولكن تبين لي فيما بعد أن المراد من قوله: «يرجعه إلى أساسه» أي يهدمه ويسوِّيه بالأرض، لأن قبلة الصلاة ستتحول إلى الكوفة.

روى الفيض الكاشاني: «يا أهل الكوفة لقد حباكم الله عز وجل بما لم يحب أحداً من فضل، مُصَلاَّكم بيت آدم وبيت نوح وبيت إدريس ومصلى إبراهيم... ولا تذهب الأيام حتى ينصب الحجر الأسود فيه»(١).

إذن نقل الحجر الأسود من مكة إلى الكوفة، وجعل الكوفة مصلى بيت آدم ونوح وإدريس وإبراهيم دليل على اتخاذ الكوفة قبلة الصلاة بعد هدم المسجد الحرام، إذ بعد هذا لا معنى لإرجاعه إلى ما كان عليه قبل التوسع ولا تبقى له فائدة، فلا بد له من الإزالة والهدم ـ حسبما ورد في الروايات ـ وتكون القبلة والحجر الأسود في الكوفة، وقد علمنا فيما سبق أن الكعبة ليست بذات أهمية عند فقهائنا، فلا بد إذن من هدمها.

ونعود لنسأل مرة أخرى: ما هو الأمر الجديد الذي يقوم به القائم؟ وما هو الكتاب الجديد، والقضاء الجديد؟

إن كان الأمر الذي يقوم به من صلب حكم آل محمد فليس هو إذن بجديد.

وإن كان الكتاب من الكتب التي استأثر بها أمير المؤمنين ـ حسبما تدعيه

---

(١) الفيض الكاشاني: «الوافي» (١ / ٢١٥).

الروايات الواردة في كتبنا ـ فليس هو بكتاب جديد.

وإذا كان القضاء من أقضية محمد وآله، فليس هو بقضاء جديد.

وإن كان الكتاب من غير كتبهم والقضاء من غير أقضيتهم، فهو فعلاً أمر جديد وكتاب جديد وقضاء جديد، وكيف لا يكون جديداً والقائم سيحكم بحكم آل داود كما مر!!

إنه أمر من حكم آل داود، وكتاب من كتبهم وقضاء شريعتهم، ولهذا كان جديداً.

ولذلك ورد في الرواية: «لكأني أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس على كتاب جديد».

كما مرَّ بيانه.

بقي أن نعلم ما يصنعه القائم ـ حسبما جاء في الرواية المروعة ـ فإنه سيثخن في القتل بحيث يتمنى الناس ألا يروه لكثرة ما يقتل من الناس وبصورة بشعة لا رحمة فيها ولا شفقة، حتى يقول كثير من الناس: ليس هذا من آل محمد ولو كان من آل محمد لرحم!!

وبدورنا نسأل: بمن سيفتك القائم؟ ودماء من هذه التي سيجريها بهذه الصورة البشعة؟ إنها دماء المسلمين كما نصت عليه الروايات، وكما بين السيد الصدر.

إذن ظهور القائم سيكون نقمة على المسلمين لا رحمة لهم، ولهم الحق إن قالوا: إنه ليس من آل محمد، نعم لأن آل محمد يرحمون ويشفقون على المسلمين، أما القائم فإنه لا يرحم ولا يشفق، فليس هو إذن من آل محمد، ثم فليس هو ـ أي القائم ـ سيملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعد أن ملئت جوراً وظلماً؟

فأين العدل إذن إذا كان سيقتل تسعة أعشار الناس وخاصة المسلمين؟ وهذا لم يفعله في تاريخ البشرية أحد ولا حتى الشيوعيون الذين كانوا حريصين على تطبيق نظريتهم على حساب الناس فتأمل!!

فمن هو هذا القائم؟ وما المقصود به؟

إن الحقيقة التي توصلت إليها بعد دراسة استغرقت سنوات طوالاً، ومراجعة

لأمهات المصادر هي أن القائم كناية عن قيام دولة إسرائيل أو هو المسيح الدجال، لأن الحسن العسكري ليس له ولد. . . ولهذا روي عن أبي عبدالله ـ جعفر الصادق ـ عليه السلام وهو بريء من ذلك:

«ما لِمَنْ خالفنا في دولتنا نصيب، إن الله قد أحلَّ لنا دماءهم عند قيام قائمنا»[1].

ولماذا حكم آل داود؟ أليس هذا إشارة إلى الأصول اليهودية لهذه الدعوة؟

وقيام دولة إسرائيل لا بد أن يسودها حكم آل داود، ودولة إسرائيل إذا قامت فإن من مخططاتها القضاء على العرب خصوصاً والمسلمين عموماً، كما هو مقرر في بروتوكولاتهم، تقضي عليهم قضاء مبرماً، وتقتلهم قتلاً لا رحمة فيه ولا شفقة.

وحلم دولة إسرائيل هو هدم قبلة المسلمين وتسويتها بالأرض، ثم هدم المسجد النبوي والعودة إلى يثرب التي أُخرجوا منها، وإذا قامت فتستفرض أمراً جديداً وتضع بدل القرآن كتاباً جديداً، وتقضي بقضاء جديد، ولا تسأل بينة، لأن سؤال البينة من خصائص المسلمين، ولهذا تسود الفوضى والظلم بسبب العنصرية اليهودية.

ويحسن بنا أن ننبه إلى أن أصحابنا اختاروا لهم اثني عشر إماماً، وهذا عمل مقصود، فهذا العدد يمثل عدد أسباط بني إسرائيل، ولم يكتفوا بذلك بل أطلقوا على أنفسهم تسمية (الاثني عشرية) تَيمُّناً بهذا العدد.

وكرهوا جبريل عليه السلام، الروح الأمين كما وصفه الله تعالى في القرآن الكريم، وقالوا إنه خان الأمانة، إذ يفترض أن ينزل على علي عليه السلام، ولكنه حاد عنه فنزل إلى محمد عليه السلام فخان بذلك الأمة.

ولهذا كرهوا جبريل، وهذه هي صفة بني إسرائيل في كراهتهم له، ولهذا رد الله عليهم بقوله الكريم: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٧ ـ ٩٨] فوصف من عادى جبريل بالكفر،

(١) المجلسي: «بحار الأنوار» (٥٢/ ٣٧٦).

وأخبر أن من عاداه فإنه عدو لله تعالى.

ومن أعظم آثار العناصر الأجنبية في حرف التشيع عن ركب الأمة الإسلامية هو القول بترك صلاة الجمعة وعدم جوازها إلا وراء إمام معصوم.

لقد صدرت في الآونة الأخيرة فتاوى بجواز إقامة صلاة الجمعة في الحسينيات، وهذا عمل عظيم، ولي والحمد لله جهود كبيرة في حَثِّ المراجع العليا على هذا العمل، وإني أحتسب أجري عند الله تعالى. ولكني أتساءل: من الذي تسبب في حرمان كل تلك الأجيال وعلى مدى ألف سنة تقريباً من صلاة الجمعة؟

فأية يد خفية هذه التي استطاعت بدهائها وسيطرتها أن تحرم الشيعة من صلاة الجمعة مع وجود النص القرآني الصريح في وجوب إقامة الجمعة؟؟!!

وما زالت الأيدي الخفية الخبيثة تعمل وتبث سمومها، فقد أصدرت بزعامة الحوزة في يومنا هذا تعليمات بوجوب إكثار الفساد والظلم ونشره بين الناس، لأن كثرة الفساد تعجل في خروج الإمام المهدي ـ القائم ـ من سردابه.

وقد استجاب كثير من الشيعة لذلك وطبقوا هذه التعليمات، ومارسوا الفساد بكل ألوانه، وكان السيد البروجردي يشرف على تطبيقها في مدينة الثورة في بغداد...

ولم تكتف زعامة الحوزة بذلك بل أرادت تعميم هذا الفساد ليشمل كل أنحاء العراق...

إن الغاية من إصدار هذه التعليمات هي نشر الفساد وتدمير البلاد، وأما خروج الإمام الثاني عشر المعروف بالقائم فأنا واثق بأنهم يدركون أنْ لا وجودَ لهذا الإمام»[1].

وأنا بدوري أتساءل أيضاً: إذا لم يخرج مع القائم المزعوم أحد من العرب، ترى من سيخرج معه؟ هل سيخرج معه ممن كان حاقداً من الفرس؟ أم من اليهود، أم من الاثنين معاً؟

---

(١) السيد حسين الموسوي من علماء النجف: «كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار»، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، دار اليقين (ص ١١١ ـ ١١٩).

يقول المجلسي في رواية: «اتق العرب فإن لهم خبرَ سوء أَمَا إنه لم يخرج مع القائم منهم واحد»[1].

ويروي الكليني عن الإمام الباقر: «إذا قام القائم عرض الإيمان على كل ناصب»[2] فإن دخل فيه بحقيقة وإلا ضرب عنقه، أو يؤدي الجزية كما يؤديها اليوم أهل الذمة، ويشد على وسطه الهميان ويخرجهم من الأمصار إلى السواد[3].

يروي المجلسي في كتابه «حق اليقين» نقلاً عن «علل الشرائع» لابن بابويه القمي الملقب بالصدوق، عن الإمام الباقر: «وحين يظهر قائمنا، أي: المهدي، تُبعث عائشة إلى الحياة وتعاقب وتثأر منها فاطمة»[4].

وفي رواية أخرى للمجلسي: «حين يظهر المهدي عليه السلام يبدأ حسابه وعمله مع السنيين وخاصة علماء السنة، وذلك قبل الكافرين فيقتلهم جميعاً ويبيدهم عن آخرهم[5].

ومن أعمال مهديهم المنتظر الذي يترقبون خروجه منذ مئات السنين يروي المجلسي النص التالي:

كأني بحمران بن أعين وميسر بن عبدالعزيز يخبطان الناس بأسيافهما بين الصفا والمروة»[6].

يقول الدكتور عبدالله الغفاري في كتابه «بروتوكولات آيات قم حول الحرمين المقدسين» معلقاً على هذا النص، فيقول:

---

(١) «بحار الأنوار» (٥٢ / ٣٣٣).

(٢) أي من أهل السنة والجماعة.

(٣) الكليني: «الكافي» (ص ٢٢٧) والهميان: شداد السراويل والمنطقة، وكيس للنفقة يشد في الوسط.

(٤) المجلسي: «حق اليقين» (ص ١٣٩).

(٥) المجلسي: «حق اليقين».

(٦) المجلسي: «بحار الأنوار» (٥٣ / ٤٠)، وعزاه إلى «الاختصاص» للمفيد.

«البروتوكول (أي النص المذكور في رواية المجلسي) الذي بين يدي القارىء من نصوصهم(أي الشيعة الاثني عشرية) السرية المقدسة، ولم يظهر إلا في الأزمان المتأخرة[1] بعد أن صارت لهم قوة وشوكة. وهو نص خطير، وحلم رافضي قديم، كان الآيات يمنون أتباعهم بحصوله، فكان الروافض يترقبون وقوعه بين حين وآخر، ولا شك بأن هذا النص وأمثاله يعبر عن تطلعاتهم، ويصور أحلامهم وأهدافهم في القيام بمجازر دموية في الأمة الإسلامية، وتختار هذه الفئة الحاقدة لذلك أشرف موقع وهو بيت الله الحرام ـ كما ترى ـ فهي تَعِدُ الأتباعَ بحدوث هذه الملحمة في المستقبل حتى تسمي بعض أعيانهم الذين يقومون بالقتل لكنها توقف العمل بهذا البروتوكول (النص) السري، ريثما تقوم لهم دولة... ولا شك بأن تحديد موضع القتل العام بالمسجد الحرام وبين الصفا والمروة، يدل دلالة أكيدة أن المقصود بالقتل هم المسلمون؛ بل حجاج بيت الله الحرام، وأن هذا ما يحلمون به ويخططون له.

وما جرى على أرض البلد الطاهر في عام ١٤٠٧هـ، هو فيما يبدو تمهيد لهذه الخطوة، وتخطيط لهذا العمل، ولكن خيب الله سبحانه آمالهم[2].

كما أن ما قام به القرامطة من قتل الناس في الحرم هو تطبيق لهذا المبدأ، كما تجد أخبار ذلك في حوادث سنة ٣١٧هـ في كتب التاريخ»[3].

---

(١) كان شيوخهم ـ قديماً ـ إذا كتبوا في الغيبة صدروا كتبهم بنصوصهم التي تأمرهم بكتمان أسرارهم عمن ليس من أهلها. انظر ـ مثلاً ـ كتاب «الغيبة» للنعماني ـ من شيوخهم في القرن الثالث ـ، الذي قال في مقدمته «وجعلته أبواباً صدرتها بذكر ما روي في صون سر آل محمد عمن ليس من أهله» «الغيبة» (ص ١٧).

(٢) هذا ما كان عند الطبعة الأولى لهذا الكتاب، ثم وقع بعد ذلك في عام ١٤٠٩هـ حوادث التفجيرات التي ذهب ضحيتها بعض الحجاج الآمنين، وكشف الله سبحانه وتعالى الجناة، وتبين أن جميعهم من الرافضة تصديقاً لما قلناه عنهم، والله المستعان في الدفاع عن بيته المطهر وعليه التكلان في كشف شر هؤلاء الزنادقة. هامش (ص ٥٣) من كتاب «بروتوكولات آيات قم» للدكتور عبدالله الغفاري.

(٣) الدكتور عبدالله الغفاري: «بروتوكولات آيات قم حول الحرمين المقدسين»، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، (ص ٥٢ ـ ٥٣).

ويروي النعماني في كتابه «الغيبة» فيقول:

«كيف بكم (يعني الحجبة على الكعبة كما يعبر النص) لو قُطِّعت أيديكم وأرجلكم وعُلِّقت في الكعبة، ثم يقال لكم: نادوا نحنُ سُرَّاقُ الكعبة»[1].

وتقول رواية أخرى: «إذا قام المهدي هدم المسجد الحرام... وقطع أيدي بني شيبة وعلقها بالكعبة وكتب عليها هؤلاء سَرقةُ الكعبة»[2].

ورواية ثالثة تقول: «يجرد السيف على عاتقه ثمانية أشهر يقتل هرجاً، فأول ما يبدأ ببني شيبة، فيقطع أيديهم ويعلقها في الكعبة، وينادي مناديه: هؤلاء سراق الله، ثم يتناول قريشاً فلا يأخذ منها إلا السيف ولا يعطيها إلا السيف»[3].

هذه النصوص وضعت في الغالب في القرن الثاني تقريباً، بدليل إسنادها إلى جعفر الصادق المتوفى سنة ١٤٨هـ، ويحتمل أنها موضوعة بعده.

وعلى أية حال فهي تصور الرغبة الكامنة في نفوس هذه الفئة بالانتقام من صُلَّاح المسلمين وجيل التابعين الذي يجاورون الحرم، وتَخصُّ منهم مَنْ يتولى الإشراف على شؤون الحرمين، ثم يثني بقريش عموماً فلا يأخذ منها إلا السيف ولا يعطيها إلا السيف.

وهنا نتساءل: لماذا قريش؟ أليس محمد رسول الله ﷺ من قريش؟ وأليس أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من قريش؟ أليس الأئمة الذين يدّعون اتباعهم من قريش؟ فلماذا قريش، ألأنها عربية؟ بل ولأنها مسلمة؟ فما هذا الحقد على العرب والمسلمين؟ يا أتباع عبدالله بن سبأ؟!!

«لا يخفى أن هذه البروتوكولات (النصوص) بغض النظر عن العنصر «الخرافي» فيها هي «إسقاطات واعترافات» تنم عن دخائل نفوسهم وما تكنه صدورهم من مناوأة

(١) النعماني: «الغيبة» (ص ١٥٦).
(٢) المفيد: «الإرشاد» (ص ٤١١). الطوسي: «الغيبة» (ص ٢٨٢).
(٣) «الغيبة» (ص ٢٠٩).

لدين الإسلام، وسعي في الكيد له حتى يتمنوا أن تتاح لهم فرصة لهدم الحرمين، ونبش القبرين الطاهرين، وحينما يحسون بعجزهم عن تحقيق ذلك يُعَزُّونَ أنفسهم، فإن هذا لا بد أن يتحقق عندما تقوم دولتهم على يد منتظرهم، فهي تكشف في الحقيقة ماذا سيفعلون لو واتتهم فرصة الحكم والتسلط.

ولذلك فإن المعاصرين منهم يتمنون فتح مكة والمدينة كما جاء على ألسنة آياتهم ليحققوا أحلامهم التي أفصحت عنها أخبارهم.

يقول آيتهم وشيخهم المعاصر حسين الخراساني: «إن طوائف الشيعة يترقبون من حين لآخر أن يوماً قريباً آتٍ يفتح الله لهم تلك الأراضي المقدسة...»[1] فهو يحلم بفتحها وكأنها بيد كفار، ذلك أن لهم أهدافهم المبيتة ضد الديار المقدسة»[2].

«وفي احتفال رسمي وجماهيري أقيم في عبدان في ١٧/ ٣/ ١٩٧٩م، تأييداً لثورة خميني، ألقى أحد شيوخهم (الدكتور محمد مهدي صادقي) خطبة في هذا الاحتفال سجلت باللغتين العربية والفارسية، ووصفتها الإذاعة بأنها مهمة، ومما جاء في هذه الخطبة:

أصرح يا إخواني المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن مكة المكرمة حرم الله الآمن يحتلها شرذمة أشد من اليهود...

ثم ذكر بأنه حين تثبت ثورتهم على أقدامها سينتقلون إلى القدس ومكة المكرمة وإلى أفغانستان[3].

وهكذا يرى أن مكة وهي تستقبل كل عام الحجيج من كل فج عميق ويرتفع عليها علم التوحيد ويأمن فيها كل معتمر وحاج، يرى هذا كوضع القدس الذي يحتله يهود

---

(١) حسين الخراساني: «الإسلام على ضوء التشيع» (ص ١٣٢ ـ ١٣٣).

(٢) الدكتور عبدالله الغفاري: «بروتوكولات آيات قم حول الحرمين المقدسين»، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، (ص ٧٤).

(٣) أذيعت هذه الخطبة من صوت الثورة الإسلامية من عبادان الساعة ١٢ ظهراً من يوم ١٧/ ٣/ ١٩٧٩م.

ووضع أفغانستان التي يحتلها الملاحدة الشيوعيون (حين إعلان الخطبة).

فأي هدف ينشده في السير إلى مكة، لعله هو ما أفصحت عنه هذه البروتوكولات (النصوص). ولذا نشرت مجلة الشهيد الإيراني ـ لسان حال علماء الشيعة في قم ـ في العدد ٤٦ الصادر بتاريخ ١٦ شوال ١٤٠٠هـ صورة تمثل الكعبة المشرفة، وإلى جانبها صورة المسجد الأقصى المبارك وبينهما (يد قابضة على بندقية، وتحتها تعليق نصه «سنحرر القبلتين»[١]. . »[٢].

وفي رواية يخرج قائمهم أو من يقوم بمهمته: «موتوراً غضبان أسفاً. . . يجرد السيف على عاتقه»[٣]، فيحصد أهل السنة الذين تلقبهم وثائق الرافضة «بالمرجئة» حتى قالوا: «ويح هذه المرجئة»[٤] إلى من يلجأون غداً إذا قام قائمنا»[٥] يذبحهم والذي نفسي بيده كما يذبح القصاب شاته[٦].

ولا يكتفون بقتل أهل السنة بل إن قائمهم. . . يتتبع الشيعة الزيدية غير الغلاة فيقتلهم.

تقول نصوص رواياتهم:

«إذا قام القائم سار إلى الكوفة فيخرج منها بضعة عشر آلاف أنفس ـ كذا ـ يدعون

---

(١) انظر: مجلة الشهيد ـ العدد المذكور، وانظر: صحيفة المدينة السعودية الصادرة في ٢٧ ذي القعدة ١٤٠٠هـ. وانظر ما كتبه الشيخ محمد عبدالقادر آزاد ـ رئيس مجلس علماء باكستان عما شاهده في أثناء زيارته لإيران، حيث يقول: بأنه رأى على جدران فندق هيلتون في طهران الذي يقيمون فيه شعارات مكتوباً عليها: «سنحرر الكعبة والقدس وفلسطين من أيدي الكفار. . ». وانظر: «الفتنة الخمينية» للشيخ محمد آزاد (ص ٩)، هامش (ص ٧٦) من كتاب «بروتوكولات آيات قم».

(٢) عن كتاب «بروتوكولات آيات قم» للدكتور عبدالله الغفاري، (ص ٧٥ ـ ٧٦).

(٣) المجلسي: «بحار الأنوار» (٥٢ / ٣٦١).

(٤) قال شيخهم الطرحي وسماهم مرجئة، لأنهم زعموا أن الله تعالى أخَّر نصب الإمام ليكون نصبه باختيار الأمة بعد النبي ﷺ «مجمع البحرين» (١ / ١٧٧ ـ ١٧٨). «مرآة العقول» (٤ / ٣٧١).

(٥) «الغيبة» للنعماني (ص ١٩٠). «بحار الأنوار» للمجلسي (٥٢ / ٣٥٧).

(٦) المصدرين السابقين.

البترية[1] عليهم السلاح، فيقولون له: ارجع من حيث جئت، فلا حاجة لنا في بني فاطمة، فيضع فيهم السيف حتى يأتي على آخرهم»[2]. ويعلن الروافض أن مهديهم حين يقوم سَيُثْخِنُ في القتل والاستئصال الشامل للبشرية، يذكر أحد نصوصهم فيقول:

«لا يكون هذا الأمر حتى يذهب تسعة أعشار الناس»[3].

وينقلون عن جعفر الصادق قوله: «لا يكون هذا الأمر حتى يذهب ثلثا الناس» فقيل له: فإذا ذهب ثلثا الناس فما يبقى؟ فقال: أما ترضون أن تكونوا في الثلث الباقي»[4].

يقول محمد باقر الصدر: «وهذا القتل الشامل للبشرية كلها... يتعين حصوله بحرب عالمية شاملة قوية التأثير»[5].

وهذا القتل الشامل لا ينجو منه إلا الرافضة، وإن أعلن غيرهم التوبة والرجوع فلا يقبل منهم، يقول محمد باقر الصدر: «إن الإمام المهدي سوف يضع السيف في كل المنحرفين الفاشلين في التمحيص، ضمن التخطيط السابق على الظهور فيستأصلهم جميعاً، وإن بلغوا الآلاف ولا يقبل إعلانهم التوبة والإخلاص»[6].

وتقول نصوصهم أيضاً:

«القائم أمرَ أن يسير بالقتل ولا يَسْتَتِيبَ أحداً»[7] بل إنه يقتلُ مَنْ لا ذنب له، فتقول

---

(١) البترية: هم أصحاب الحسين بن صالح بن حي، وهم فرقة من الزيدية، وهي أقرب فرق الزيدية لأهل السنة.
انظر عنهم: «مقالات الإسلاميين»(١ / ١٤٤)، «الملل والنحل» (١ / ١٩٦)، «الخطط» (٢ / ٣٥٢).

(٢) «بحار الأنوار» للمجلسي (٥٢ / ٣٣٨). «الإرشاد» للمفيد (ص ٤١١ ـ ٤١٢).

(٣) «الغيبة» للنعماني (ص ١٤٦).

(٤) المجلسي: «بحار الأنوار» (١٣ / ١٥٦)، ط الحجر.

(٥) «تاريخ الظهور»: محمد باقر الصدر (ص ٤٨٣).

(٦) محمد باقر الصدر: «تاريخ ما بعد الظهور» (ص ٥٥٨).

(٧) النعماني: «الغيبة» (ص ١٥٣). المجلسي: «بحار الأنوار» (٥٢ / ٣٥٣).

إحدى رواياتهم: «إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين بفعل آبائها»[1].

وهذه الأقوال تدين القائم لخروجه عن سنن الرحمة والعدل التي عرف بها أهل البيت، بل إنه خرج من سنة المصطفى ﷺ، وهذا ما يصرحون به:

فقد سئل الباقر ـ على حد زعمهم ـ أيسير القائم بسيرة محمد؟ فقال: هيهات! إن رسول الله ﷺ سار في أمته باللين، وكان يتألف الناس، والقائم أُمرَ أن يسير بالقتل وألا يستتيب أحداً فويل لمن ناوأه»[2].

ما هذه الجرأة على الله سبحانه وتعالى حين يدّعون بأن غائبهم المنتظر ـ المزعوم ـ أُمر بسيرة خلاف سيرة رسول الله ﷺ، ومن أين أتاه الأمر إلا من الله ـ قاتلهم الله أنى يؤفكون ـ.

لقد أجمع المسلمون أن كل ما خالف سيرته ﷺ فهو ليس من الإسلام.

هذه الروايات تصور ما في قلوب واضعيها من حقد على الناس وخاصة منهم العرب وأمة الإسلام عامة... متمنين يوماً قريباً آتياً يحققون فيه هذه الأحلام التي تكشف حقيقتها هذه الروايات ويترجمها واقع الشيعة في العهد الصفوي، وفي دولة الآيات القائمة وفي منظماتهم في بعض الأقطار الإسلامية.

وفي رواية سئل جعفر الصادق ـ كما يزعمون ـ: «أيسير القائم بخلاف سيرة علي؟ فقال: نعم، وذاك أن علياً سار بالمَنِّ والكَفِّ لعلمه أن شيعته سيظهر عليهم من بعده، أما القائم فيسير بالسيف والسبي لأنه يعلم أن شيعته لن يظهر عليهم من بعده أبداً»[3].

---

(١) المجلسي: «بحار الأنوار» (٥٢ / ٣١٣)، ابن بابويه القمي الملقب بالصدوق: «علل الشرائع» (ص ٢٩٩)، «عيون أخبار الرضا» (١ / ٢٧٣)، فأين تذهبون بالنص القرآني ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾.

(٢) النعماني: «الغيبة» (ص ١٥٣). المجلسي: «بحار الأنوار» (٥٢ / ٣٥٣).

(٣) «الغيبة»: للنعماني (ص ١٥٣). «بحار الأنوار» للمجلسي (٥٢ / ٣٥٣).

ونقل عن جعفر الصادق أنه قال وهو يخاطب بعض الشيعة: «كيف أنت إذا رأيت أصحاب القائم قد ضربوا فساطيطهم في مسجد الكوفة، ثم أخرج المثال الجديد، على العرب شديد.

قال (الراوي) قلتُ: جُعلت فداك ما هو؟ قال: الذبح، قال: قلت: بأي شيء يسير فيهم، بما سار علي بن أبي طالب في أهل السواد؟ قال: لا، إن علياً سار بما في الجفر الأبيض، وهو الكف، وهو يعلم أنه سيظهر على شيعته من بعده، وأن القائم يسير بما في الجفر الأحمر، وهو الذبح، هو يعلم أنه لا يظهر على شيعته[1].

وجاء في إحدى رواياتهم: «القائم له أن يقتل المولّي ويُجْهِز على الجريح»[2].

ولعل ما سمعناه من قتل الإيرانيين للأسرى في الحرب التي دارت مع العراق في الثمانينات من القرن العشرين تطبيق لهذا المبدأ والعمل به.

ومن رواياتهم: إن قائمهم «ليس شأنه إلا القتل فلا يستبقي أحداً»[3]، «ولا يستتيب أحداً»[4].

ومن رواياتهم التي تشير أن قائمهم إذا رجع من غيبته سينسخ شريعة الإسلام ويستبدل بها شريعة أخرى، يذكر عن الصادق أنه قال: «إن الله آخى بين الأرواح في الأظلة، قبل أن يخلق الأبدان بألفي عام، فلو قد قام قائمنا أهل البيت أورث الأخ الذي آخى بينهما في الأظلة ولم يرث الأخ من الولادة»[5].

هذا فيما يخص الميراث، وأما فيما يعم نسخ الشريعة الإسلامية فتقول روايتهم:

جاء في «الكافي» وغيره: «قال أبو عبدالله ـ جعفر الصادق ـ: «إذا قام قائم آل

---

(١) المجلسي: «بحار الأنوار» (٥٢ / ٣١٨)، وهذه الرواية في «بصائر الدرجات» للصفار، كما أشار إلى ذلك المجلسي.

(٢) «الغيبة» للنعماني (ص ١٢١).

(٣) المجلسي: «بحار الأنوار» (٥٢ / ٢٣١).

(٤) المصدر السابق (٥٢ / ٣٤٩).

(٥) «الاعتقادات» لابن بابويه القمي الملقب بالصدوق (ص ٨٣).

محمد يحكمُ بحكمِ داود وسليمان ولا يسأل بينة»[1]، وفي لفظ آخر: «إذا قام قائم آل محمد حكم بين الناس بحكم داود عليه السلام ولا يحتاج إلى بينة»[2].

وقد تبنى الكليني هذه العقيدة، وبَوَّبَ لها باباً خاصاً بعنوان: (باب في الأئمة عليهم السلام أنهم إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود وآل داود ولا يسألون البينة)[3].

أليس هذا نكوصاً عن شريعة محمد ﷺ وعودة إلى دين اليهود الذي هو أحد ركائز عقيدتهم المنحرفة.

وتشير بعض رواياتهم إلى أنه (أي القائم) يحكم بحكم آدم مرة، ومرة بحكم داود، ومرة بقضاء إبراهيم، ولكن يعارضه في هذا الاتجاه بغير شريعة الإسلام بعض أتباعهم، إلا أنه يواجه هذه المعارضة بشدة حيث يأمر بهم فتضرب أعناقهم[4].

هذه الرواية تبين أن المهم هو عدم الحكم بشريعة الإسلام التي جاء بها محمد ﷺ، وليحكم بأي شريعة أخرى مخالفة للشريعة المحمدية.

وجاء في رواية أخرى: «**إذا قام القائم، استخرج التوراة وسائر كتب الله تعالى من غارٍ بأنطاكية حتى يحكم بين أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل القرآن بالقرآن**»[5].

يعز عليَّ أن أكتب مثل هذه الروايات التمثيلية المختلقة، التي يَستخفُّ واضعوها بعقول الناس حين وضعوها، ولكني أكتبها ناقلاً لها عن كتبهم السوداء، تبياناً لحقيقة دين هذه الفئة المعادية والحاقدة على دين الإسلام، وعلى رجالاته الذين حملوه، وجاهدوا في سبيله حتى فتح الله على أيديهم البلاد الواسعة ودخل فيه أقوام كثيرة، وعز العرب وعز الإسلام بفضل الله أولاً، ثم بإخلاصهم وتضحيتهم، وبذلوا الغالي

(١) «أصول الكافي» للكليني (١ / ٣٩٧).
(٢) المفيد: «الإرشاد» (ص ٤١٣)، الطبرسي: «أعلام الورى» (ص ٤٣٣).
(٣) «أصول الكافي» للكليني (١ / ٣٩٧).
(٤) المجلسي: «بحار الأنوار» (٥٢ / ٣٨٩).
(٥) المجلسي: «بحار الأنوار» (٥٢ / ٣٥١)، النعماني: «الغيبة» (ص ١٥٧).

والنفيس من أجل إعلاء كلمة الله. وهم اليوم في عقيدة الرافضة ـ أتباع عبدالله بن سبأ ـ مجرمون يستحقون أشد التنكيل وأشد العذاب. وما أحسب ذلك إلا لأنهم من أعمدة دين الإسلام بعد رسول الله ﷺ.

وهذه إحدى رواياتهم التي تعبر عن سخفهم وحقدهم على أكابر صحابة رسول الله ﷺ وما سوف يجري عليهم بعد ظهور غائبهم المزعوم المنتظر:

في كتاب بعنوان «حق اليقين» للعلامة باقر مجلسي، وهو كتاب ضخم بالفارسية، يذكر مجلسي عقيدة الرجعة عند الشيعة ويدرج رواية طويلة عن المفضل بن عمر، وهو من مريدي الإمام جعفر الصادق، وعلى لسان الإمام جعفر الصادق ورد حديث مفصل لظهور الإمام الغائب المهدي، وننقل هذه الرواية ملخصة عن كتاب «الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام» تأليف الشيخ محمد منظور نعماني ـ كبير علماء الهند:

تقول الرواية: إن الإمام جعفر الصادق قال: حين يظهر صاحب الأمر (الإمام الغائب) سيأتي أولاً إلى مكة المعظمة وهناك سيقول هذا وذاك.

يقول المفضل بن عمر: سألت الإمام جعفر الصادق: يا سيدي حين يرد صاحب الأمر (الإمام المهدي) إلى مكة المعظمة، إلى أي مكان سيذهب بعد ذلك؟ فأجاب: سيذهب إلى المدينة، مدينة جدنا رسول الله، وسيسأل الناس هناك: أخبروني هل هذا قبر جدنا رسول الله؟ فيجيب الناس: نعم هذا هو قبره، فيسأل الإمام: هل هناك آخرون دُفنوا مع جدنا؟ فيجيب الناس: نعم، رفيقاه أبو بكر وعمر، ويقول صاحب الأمر (الإمام المهدي) طبقاً لخططه (وهو يعرف كل شيء): من أبو بكر هذا؟ ومن عمر هذا؟ وبأيِّ حَقٍّ دُفنا مع جدنا رسول الله؟ فيقول الناس: كانا خليفتي رسول الله، وهما والدا زوجتيه (عائشة وحفصة). فيقول صاحب الأمر: هل هناك من يشك في أنهما مدفونان هنا؟ يقول الناس: لا يوجد شك في هذا، فالجميع يعرفون أنهما دفنا هنا مع رسول الله.

وبعد ثلاثة أيام يأمر صاحب الأمر بأن يحطم الجدار، وأن يُخرجَ الاثنان من

قبرهما، جسميهما على حالهما، عليهما صوف الكفن الذي دفنا به، ثم يأمر بنزع كفن كل منهما، وبأن يوضعا على جذع شجرة جافة. . . ذلك وهو يعرف أن حادثة عجيبة ستحدث، يختبر فيها المخلوق ويمتحن، فالشجرة الجافة التي وضعت عليها الجثتان اخضوضرت فجأة وأينعت وظهرت أغصانها مورقة وتمددت وتشعبت، ومن هنا يقول من تبعهما: هذا دليل على حُبِّ الله لهما، وعظمتهما عند الله، سننال النجاة لحبنا لهما.

وحين ينتقل خبر حادثة الشجرة ويشيع بين الناس في أنحاء البلاد، يَفِدُ على المدينة من كان في قلبه ذرة حب لهما.

فينادي مناد من عند (صاحب الأمر) ويعلن في الناس: من كان يحب هذين الشخصين (أبا بكر وعمر) فليقف في ناحية، وهكذا ينقسم الناس إلى طائفتين: طائفة تضم محبي هذين الشخصين، وطائفة تلعنهما، ثم يخاطب صاحب الأمر أولئك الذين يحبونهما ـ أي أهل السنة ـ ويقول:

«أعلنوا براءتكم منهما وإلا نزل عليكم عذاب من الله».

فيجيب هؤلاء الناس: لن نفعل لأنهما مقبولان عند الله، وقد شاهدنا ذلك بأعيننا، فكيف نتبرأ منهما، نحن نعلن براءتنا منك ومن جميع من يواليك، وممن أخرجوا الجثتين من القبر طاعة لأوامرك، ويسمع الإمام قولَ هؤلاء فيأمر العواصف السوداء بأن تهب على أولئك الناس، وأن تصيبهم جميعاً بالموت.

ثم يأمر الإمام المهدي أن تنزل الجثتان ـ جثة أبي بكر وجثة عمر ـ من فوق الشجرة، ثم يحييهما بقدرة من الله.

ويأمر بجمع الخَلْقِ كلهم ويقول: بأن جميع المظالم التي حدثت في بداية الدنيا وحتى نهايتها تقع ذنوبها كلها على هذين الرجلين، وخاصة ما حدث لسلمان الفارسي، وما وقع لأمير المؤمنين (علي بن أبي طالب رضي الله عنه) وفاطمة الزهراء والحسن والحسين، وما حدث من إشعال للنار في بيتهما، وقتل الإمام الحسن بالسم وقتل أبنائهم وأولاد أعمامهم، وسجن أولاد رسول الله، وسفك دماء آل محمد في كل

زمان، وكذلك سفك كل دم بغير حق، وما أصاب كل امرأة، وكل ما أكل حراماً، وكل ظلم حدث، وذلك حتى قيام آل محمد «أي الإمام الغائب» في هذه الدنيا، كل هذه الذنوب تعد وتحصى ويسأل عنها هذان الرجلان، ويقال لهما: ألم تكونا سبب كل هذه الذنوب والمظالم؟ وحينئذ سيعترف الاثنان ويقران بذلك قائلين: نعم.

ذلك لأنه عين الخليفة الحق بعد رسول الله، ولو لم يغصب هذان الاثنان الخلافة لما وقعت كل هذه الذنوب والمظالم والجرائم، وبعدها يأمر صاحب الأمر بأن يقتص جميع الحاضرين من هذين الاثنين وينتقمان منهما، ويأمر صاحب الأمر أن يُصلَبَ الاثنان على الشجرة، ثم يأمر بإحراقهما، وإلقاء رفاتهما في الأنهار(١).

ويسأل المفضل: يا سيدي هل هذا هو نهاية عذاب هؤلاء؟ فيقول الإمام جعفر الصادق: يا مفضل لا لا، أقسم بالله إن محمداً رسول الله والصديق الأكبر أمير المؤمنين (علي) والسيدة فاطمة الزهراء والحسن المجتبى والحسين شهيد كربلاء وجميع الأئمة المعصومين سوف يُبعثون أحياء والمؤمنون، وكذلك يبعث الكافرون، وهكذا سيبعث الجميع أحياء، وسوف يعذب الاثنان بحساب جميع الأئمة، وجميع المؤمنين حتى إن هذين الشخصين يموتان ويعودان إلى الحياة آلاف المرات، ليل نهار، ثم يأخذهما الله حيث يشاء ويظل يعذبهما(٢).

* * * * *

---

(١) ملخص عن «حق اليقين»: للمجلسي (ص ١٢٥)، بيان الرجعة.

(٢) عن كتاب «الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام» تأليف الشيخ محمد منظور نعماني ـ كبير علماء الهند، ترجمة الدكتور محمد البنداري، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م، (ص ١٧٣ ـ ١٧٥)، منقولاً عن كتاب «حق اليقين» لباقر مجلسي، بعد تلخيصه، (ص ١٢٥) عنوان: بيان الرجعة.

الفهرس

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

* * * * *